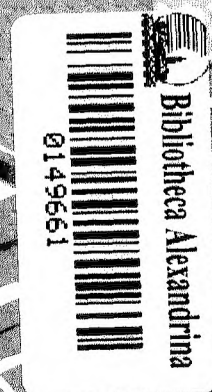


# قصص من الهند الحديثة

ترجمه: جمال الدين زكي الشناوي  
رأية: يوسف شاهين





الإذاعة الداخلية

قصص



الهيئة الوطنية للمكتبات

١٩٨٤

الاخراج الفنى

---

راجيه حسين



# قصص من الرشد الحديث

ترجمہ

جمال الدین زکی الشناوی

مراجعة

یونس شاہین



## كلمة المترجم

يحتوى هذا الكتاب عشرين فصلا كتبها ثلاثة عشر كاتباً هندياً، وهى تعكس بوضوح صورة للهند وحياتها الاجتماعية والثقافية ومعتقدات أهلها الدينية، وتقاليدهم الموروثة وأخلاقهم وطبائعهم وانطباعاتهم الشخصية لما يحدث فى دنياهم .

كما انها تعكس اختلاف نظرات الطبقات المختلفة بعضها لبعض من الأوجه الدينية والطبقية والاجتماعية، والطائفية الدينية التى لا زال لها شأن كبير فى الهند، فهذا مقدس وذاك نجس وهذا طاهر وذاك منبوذ بحسب اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم العديدة، ويذكر العديد من عادات الهندود فى الزواج والطلاق والوفاة والدفن فى صراحة وبساطة فلسفية تمتد القارئ بفكرة جيدة عن الهند وسكانها (حوالى ٧٠٠ مليون الآن) فى دولة نامية تجاهد فى صعود درج التقدم والازدهار .

يعترف الدستور الهندى بوجود ١٤ لغة فى الهند . وكذلك بالأديان السبعة الرئيسية وهى :

الهندوسية، والاسلام، والمسيحية، والبوذية، والجينية، والسيخ، والبارثيز .

وسيقدم الكتاب للقارئ العربى صورة واضحة المعالم عن الثقافة الهندية وعن الأدب الهندى المعاصر .

وكما يقول الناشر فهذا أول كتاب من نوعه يصدر باللغة الانجليزية عن القصص الهندية القصيرة (\*) .

---

اللغة الأصلية التى كتب بها كل قصة مذكورة فى المحتويات .

## عن المحرر

ولد ك. ناتوار سنج في ١٦ مايو ١٩٣١ . تعلم في كلية سانت ستيفن بجامعة دلهي حيث حصل على مراتب الشرف الأولى في التاريخ وكان رئيسا لاتحاد الطلبة وبطلا للجامعة في التنس .

وفيما بعد التحق بجامعة كمبردج في إنجلترا . وبعد أن أصبح أهلا للعمل بالخدمة الخارجية الهندية في ١٩٥٣ ، تعين - بعد فترة من الخدمة بوزارة الشؤون الخارجية في نيودلهي - بالسفارة الهندية في بكين . ولقد جال في أفريقيا وآسيا وأوربا . كذلك زار استراليا وعديدا من الدول في أمريكا الجنوبية ومن أغسطس ١٩٦١ الى أبريل ١٩٦٦ كان يعيش في نيويورك حيث كان مستشارا للبعثة الدائمة للهند في الأمم المتحدة .

كانت مهمته تتضمن تمثيل بلاده في لجنة الوصاية للجمعية العمومية والتي أنتخب مدير علاقات لها في ١٩٦٥ ، وللمجلس التنفيذي لصندوق الطفولة لهيئة الأمم . ومنذ أبريل ١٩٦٦ كان نائبا للوزير بوزارة الشؤون الخارجية في نيودلهي .

ك. ناتوار سنج هو محرر كتاب أ. م. فورستر « تحية » الذي نشر في عام ١٩٦٤ . والوصبة لنهرو وهي تحية تذكارية نشرت عام ١٩٦٥ .

انه ينقد الكتب لراديو الهند جمعا في نيودلهي ، والأسبوعية المصورة للهند في بومباي ، « ساتر داي ريفيو » وفي نقد الكتب في « نيويورك تايمز » .

## كلمة المحرر

هذه هي أول مرة ننشر فيها مجموعة من قصص الهند الحديثة القصيرة لقراء من الغرب . لقد ظهرت مجموعات من القصص المترجمة عن لغات هندية مفردة كالبنغالية والهندية ، ولكن العمل الحالي هو أول ما ينصب على معظم اللغات الأدبية الكبرى للهند بما في ذلك الانجليزية فأرجو أن يتعرف القراء الغربيون على تنوع وثراء الأدب الهندي .

انني لست بحاتئة ، وما أقوله في المقدمة عن تطور القصة القصيرة ومكانها في الأدب الهندي ليس بدراسة كاملة لحاتئة في الأدب الهندي الحديث . ما فعلته هو أنني قدمت للقارئ الغربي أفكارا ممتعة مفضلة لدى شخص قرأ الأدب الهندي بكلتا اللغتين الهندية والانجليزية . لغتي القومية هي الهندية وهذه هي اللغة الهندية الوحيدة التي أعرفها . ان أدب اللغات الهندية الأخرى التي تداولتها خلال الانجليزية وديني الشخصي لتلك اللغة عظيم جدا .

انه لما يبحث في نفس السرور بصفتها خاصة أن أنوه بالمساعدة والتشجيع للذين تلقيتهما من مستر كريشنا كريبالاني سكرتير الأكاديمية الأدبية الهندية في نيودلهي ، فبدون اهتمامه بهذه المجموعة لكان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل أن أنجز هذا المشروع .

وأود أيضا أن أشكر مسنر فوبيون باورز ومستر باتريك جريجوري . الأنسة جين جولدستون لقراءتهم للمقدمة وتقديمهم مقترحات قيمة . انني أيضا سعيد جدا أن أسجل مدى العون الذي وجدته في مقال مسنر س . هـ . فانسيان عن الأدب الهندي في الأدب الهندي المعاصر في مجموعة مقالات نشرتها أكاديمية ساهيثيا في نيودلهي .

وأخيرا ، فهناك دين كان يجب أن أنوه عنه منذ عهد بعيد أدين به لمستر ن . ج . تاكار الذي كان مدرسا للانجليزية بمدرسة سينديا بجواليور من ١٩٣٣ إلى ١٩٦٢ . لقد علمني قيمة النظر داخل الكتب .

بهاراتبور . . راجاستان . .

الهند في ١٦ مايو ١٩٦٦

ل . ناتوارسنج  
المحرر



## مقدمة

بقلم : ك . نازوار سنيج

ان الهدف الاساسى لهذه المختارات الادبية هو اعطاء القارئ الغربى فكرة عن تراء وتنوع الادب الهندى .

وأتمنى أن تلقى القصص العشرون المدونة هنا بعض الضوء على خصائص الادب الهندى وأسلوبه والقوى والمؤثرات التى منحته الحياة وطول البقاء .

لقد ازدهرت القصة القصيرة فى الهند وأسباب هذا الازدهار عديدة ، منها تأثير كبار كتاب القصة القصيرة فى الغرب فى القرن التاسع عشر والسهولة النسبية فى طبع وتوزيع القطع النثرية القصيرة سواء أكانت بالانجليزية أو بعدد من اللغات الهندية ولذلك لم تهمل الكثرة الغالبة من الكتاب الهنود المهمين هذا النوع من الأدب ويمكن القول بأن بعضاً منه قد أتقنوه تماماً .

ولعل استشعار المشهد الهندى لم يقتصر بمثل هذه المهارة ولا كانت الجهود فى اظهاره مرضية الى هذا الحد فى أى نوع آخر من أنواع النشاط الأدبى أو الابتكارى .

هذا وانى آمل ان القارئ سيجد فى هذه النقص تعبيراً معاصراً عن الادب الهندى والحياة الهندية فى الريف والحضر فى كل أرجاء الهند على اختلافها .

ان معظم الكتاب الهنود المهمين فى المائة سنة الأخيرة ممثلون هنا . ويتراوح اختلاف البيئة القصصية فى هذه المجموعة بين حياة الفلاح - التى لا زال لها أصداً من أقصى مراحل ماضى الهند السحيق - الى الأوساط المتعددة الأجناس التى ابتدعت لنفسها حياة مترفة بعيدة عن البساطة فى الأماكن التى يعيش فيها بعض أفراد الطبقة البورجوازية الجديدة فى الهند وهى طبقة غنية عن الشعب . كما أن الخطوط الأساسية لهذه القصص تختلف اختلافاً واسعاً ويرجع ذلك جزئياً الى المنطقة التى نشأ فيها كاتب القصة .

وكذلك نجد أن التباين الكبير فى تناول المواضيع الأساسية فى هذه

القصص يلفت الأنظار إذ أن بعض الكتاب يطرى الفضائل التقليدية والبعض الآخر يركز على الموقف الصعب الذى يواجهه الانسان حين يجد نفسه مواطنا فى بلد قديم يحاول أن يكيف نفسه للتوافق مع حضارة القرن العشرين .

وليتذكر القارئ العربى أن الكتاب الغربيين محاصرون عادة بمشاكل الوفرة بينما يواجه الهنود والكتاب الهنود مشاكل الفقر .

وفى كلا المكانين - الهند والغرب - هناك دور يتسم بالتحدى والصعوبة ، لابد للكاتب الخلاق أن يلعبه ، ولكن طبيعة هذا الدور تختلف فى أحد المكانين عن الآخر .

ولقد كتب « جيمس ت . فاريل » أنشأ الأمريكيون أدبا واقعيا فى وقت كانت الجمهورية فيه ثابتة الأركان وموطدة الدعائم لدرجة أن النقد والتعريض حتى فى روايات سادية لا رحمة فيها لم يكن ليؤثر فى أساس الأمة . » وذلك يختلف عما يجرى فى البلاد الجديدة فى آسيا . ان تلك البلاد تناضل لكى تكون أمما . فما هى حدود النقد التى يجب أن يلتزم بها الكتاب الهنود ؟ هل يستطيعون الكتابة بالواقعية التى لا نهاب والرغبة فى الحق كما كان يفعل اميل زولا ؟ أو بعض كتاب القرن العشرين الأمريكيين ؟ ان فعلوا ذلك ألا يكون هذا اضعافا لأوطانهم .

ان هذه القصص قد تقدم الاجابة على بعض أسئلة مستر فاريل المنطقية وهى مختلفة فى الأسلوب والشعور العاطفى والعقلانى بالقيم والوعى الاجتماعى ومختلفة كذلك فى الخلق الفنى والاحساس بالدفء الروحى ، ولكن عمق انسانيته يمنحها وحدة فى الروح تتفرد بها الهند .

ان تسعة من تلك القصص كتبت أصلا باللغة الانجليزية وهى قصص « مولك راج أناند » و « ر . ك . ناريان » و « راجاراو » و « كواشينت سينج » و « سانتاراما راو » والباقي كانت أصلا باللغة « البنجالية » « طاغور وسارات تشاندرا » ولغة « تاميل » و « س . راجا جو بالاتشارى » واللغة الهندستانية « بریم تشاند » و « اللغة الأردية » « كريشان تشاندر » ولغة « مالايالام » « ت . س . بيلاي » ولغة « ماراثى » « بيهاى » ولغة « تيلوجى » « باداماراجو » .

وعند أخذ هذه القصص ككل فانها تشكل مثلا رائعا للتراث الهندى وتثبت أن الكاتب الهندى سواء كانت لغته هى الهندستانية أو البنغالية أو لغة تاميل أو مالايالام أو الانجليزية فانه يكتب فى نطاق هذه التقاليد وغالبا ما يكون ذلك دون وعى منه .

وفى الهند كما فى جهات أخرى فى آسيا كانت القصة القصيرة ظاهرة أدبية حديثة المنشأ ، فقد نشأت فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر



وتطورها الى شكلها الحالي يعزى بشكل كبير الى تأثير الفكر والآراء الغربية .  
ومثل حضارة الهند نفسها فان الأدب الهندي يعكس تنوعا في الأجناس والثقافات  
والأديان ، ورغم ذلك فان في أعماق ذلك التنوع يعيش تناسق متحد يحتفظ  
بطابعه المميز الفريد .

وانه لمن المهم أن نتذكر أن الأدب الهندي هو حصاد لغات عديدة . وأى  
مقارنة مثمرة بالأدب الغربى لا يمكن أن تتم الا اذا أخذنا أوروبا ككل بوصفها  
خليطا متنوعا من الأجناس والمجتمعات تشارك - بدرجات متفاوتة - تقاليد  
حضارة هندية آرية مشتركة .

ان دستور الهند يعترف رسميا بأربع عشرة لغة قومية هي عشر لغات  
هندية آرية هي السانسكريتية وذريتها التسع ألا وهي « الاساميز » والبنجالية  
وكاجوراني والهندستانية والكشميرية والماراثية والاوريا والبونجابية والأردية  
والمشتقات الأربع كنادا ومالايالام وتاميل وتيلوج .

ومكانة اللغة الانجليزية واضحة جلية . فلكل الأغراض العملية هي اللغة  
المشتركة للطبقة المثقفة في كافة أنحاء الهند .

وفى المكان التالى للغة الأم يشعر المتعلمون فى الهند ( ويبلغ عددهم ربع  
مجممل السكان ) بالراحة التامة فى استخدام الانجليزية ويفضلونها عن أى لغة  
أخرى هندية كانت أو أجنبية .

وليس من الضروري بالطبع أن تقاس الأهمية الأدبية أو العقلانية لأى لغة  
بعدد الأفراد الذين يستخدمونها ، ولكننا لا يجب أن نسقط من اعتبارنا أهمية  
الكم فى هذا المجال .

وهكذا فان اللغة الهندية ( «هندى» بالانجليزية ) ربما أمكن اعتبارها اللغة  
الأولى فى الهند حيث انها تستخدم فى كل شمال الهند ويتحدث بها حوالى  
١٨٠ مليون نسمة تقريبا .

ان التعبير « هندى » هو تعبير فضفاض يقصد به مجموعة من اللهجات  
الهندو آرية التى استطاعت أن تكون لنفسها على مدى خمسة قرون أشكالا أدبية  
واضحة قاصرة عليها . ويقف خلف اللغة الهندية الآن تراث ضخم ومتنوع يضم  
فيما يضم اللهجات التالية « براج بهاشا » « يهوج بورى - ماجاد هي وما يشيل » .

ولقد كتب القديس الشاعر الشهير « كبير » ( ١٤٤٠ - ١٥١٨ ) بلغة  
يهوج بورى وان كان قد استخدم كلمات فارسية عربية أثرت فى اللغة الهندية  
تأثيرا كبيرا وزادت من حيويتها .

ولقد اعترف الدستور الهندي بمكانة اللغة الهندية المتميزة حين منحها ( بلا تحيز ضد الثلاث عشرة لغة الأخرى ) حق كونها اللغة الرسمية للاتحاد الهندي .

وبالرغم من أن ما هو معروف « باللغة الهندية » يسانده ذلك التراث المتنوع إلا أن شكلها الأدبي المعاصر هو شكل حديث نسبيا ، لم تتضح معالمه قبل العقد الأول من القرن التاسع عشر . ولم يبدأ ذلك إلا بظهور الكاتب « بریم تشاند » في أفق الأدب الهندي في السنوات المبكرة للقرن العشرين حيث جذبت القصة القصيرة والرواية باللغة « الهندية » أنظار القراء والمثقفين الهنود واستولت على خيالهم .

أما اللغة الأردية فهي نسيج وحدها ، وهي تعتبر في التصنيف اللغوي « هندو آرية » ولدت في الهند وترعرعت كالهندية في سهل « الجانجيز الهندي » وبعد أن ارتبطت ارتباطا وثيقا باللغة الفارسية – التي كانت اللغة الرسمية للحاشية الملكية في الهند لمائتين وخمسين عاما بعد الغزو المغولي – استطاعت أن تطور نفسها الى لغة مستقلة ذات شخصية ذاتية لا تشاركها فيها لغة أخرى . واليوم وهي اللغة الرئيسية لحوالي خمسين مليون نسمة في شمال الهند وهي كذلك اللغة الرسمية للجزء الغربي من باكستان .

وقد كتب اثنان من الأدباء الهنود الذين ذكروا في هذه المختارات الأدبية بعضا من أحسن أعمالهما باللغة الأردية ألا وهما « بریم تشاند » و « كريشان تشاندار » وإن كان الأخير قد تحول في سنيه الأخيرة للغة الهندية .

وجدير بالذكر أن عددا ضخما من الأفراد الذين يعرفون إحدى هاتين اللغتين يكون عادة ملما الماما جيدا باللغة الأخرى . والمنطقة الوسيطة التي تتقابل فيها اللغتان أطلق عليها اسم « متكلمى اللغة الهندستانية » .

وكانت اللغة الهندستانية هي اللغة التي أحبها غاندى وتمنى أن تكون في يوم من الأيام اللغة المشتركة للمجتمع الهندي ككل ، رغم أن لغته الأم كانت ال « جوجوراتى » .

ولقد استخدم جواهر لال نهرو اللغة الهندستانية في كل خطبه التي لا تعد ولا تحصى في طول البلاد وعرضها .

ولقد أعطيت النسبة العددية لأعداد الأشخاص الذين يتكلمون لغات أخرى في احصائية عام ١٩٦١ وهي كما يلي :

أساميز ٦٨ مليون – بنجالي ٣٨ مليون – جوجيراتى ١٨١ مليون ، كنادا ١٧٩ مليون – كاشميرى ١٩ مليون – بونجاب ٩٧ مليون – مالايالام ١٧ مليون – تاميل ٣ مليون – تيلوجى ٣٣ مليون – وماراتى ٣٠ مليون .

وللوصول الى فهم صحيح لهذا النموذج المعقد لهذه السمات المتباينة يجب أن لا يغيب عن البال أن تعدد اللغات هو من الصفات المميزة للأدب الهندي .

ولعلها قلة قليلة من الغربيين ، هم الذين حاولوا أن يفهموا كنه النشاط الأدبي الذي استطاع أن يحول اللغات الهندية الى وسائل ذات كفاية رحيوية لتوصيل الأفكار والابداع الفني . والتى أوصلت بعض الانجازات فى هذين المجالين ، الى درجه الاعتراف بها كجزء من روائع الأدب العالمى الحديث . ان سر هذه القدرة فى لغات الهند رغم تنوعها يكمن فى أنه تحت ذلك التنوع كانت هناك وحدة استمدت قوتها من تصور الهند كأمة وفى تطابق هذه اللغات مع ثقافة وحضارة سانسكريتية مشرقة .

والأدب الهندي التقليدي سواء أكان بلغة هندو آرية أو باحدى اللغات الوطنية الأخرى كان أساسا أدب عبادات وأديان من جهة وفلسفيا ميثولوجيا من جهة أخرى .

وكانت هناك استثناءات هامة وأبرزها مسرحيات « كاليداسا » والقصص الشعبي والحكايات مثل « بانشر تانثرا » . ولكن لأكثر من ألف عام كان الأدب خاضعا للحماس الدينى وكان يعتمد على الرواية لا الكتابة فى انتشاره .

ولقد استمد الأدب الهندي معظم مادته من التراث الأدبي للملاحم وخاصة ملحمتى « رامايانا » و « ماها بهاراتا » وكان معظمها ينتقل من جيل الى جيل عن طريق الفم .

وحتى الكتاب المسلمين الذين كانوا يكتبون بالفارسية أو بالأردية تأثروا بأدب العبادة كما يبدو ذلك واضحا فى أعمال « كبير » .

وأحد المميزات الرئيسية للأدب الهندي التقليدي كانت نغمته التعليمية المهدبة وقد نالت القيم الأخلاقية فيه اهتماما بالغاً . كذلك أوصى الأدب الهندي بالتقشف والتنسك وانكار الذات والتبتل والتضحية . وكذلك المعاناة وقد نالت كلها الاحترام .

ولا زالت هذه السمة الفريدة ظاهرة فى الأدب الهندي الى اليوم . وخير دليل على ذلك هو « س . راجاجو بالاتشارى » ذلك الكاتب الذى أعاد كتابة « ماها بهاراتا » و « رامايانا » بلغة شعبية سهلة وذاع انتشارها بين الجماهير .

ولم يصبح الأدب الهندي عالميا حقيقة الا بعد النصف الأول من القرن التاسع عشر عندما انتشر تداول الآراء والأفكار الانجليزية .

والى حد ما فان السمة المركبة للأدب الهندي كانت دائما موجودة وكانت بين الحين والحين تتلقى دما جديدا من الخارج .

وحتى في أيام ازدهار اللغة « السانسكريتية » التقليدية المبكرة من عام ١٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ٥٠٠ ق.م ) وهى تشبه فى تطورها اللغة اللاتينية فى العصور الوسطى ، كانت هذه اللغة لغة المثقفين التى على أساساتها استقرت وحدة الهند لمدة ألف عام .

وقد عاصرها جنباً الى جنب تواجد من الأدب المغاير فى لغات أخرى مثل « بالى وتاميل » .

وكما قال السيد « كريشنا كريبالاتى » الذى أرخ لطاغور « ان الأدب الهندى يعتبر من أقدم أنواع الأدب وأحدثهما فى نفس الوقت . وكان أقدمهما فى «ريچ فيدا» عام ١٥٠٠ ق.م وهو بحق أبكر صرح للكلام « الهندى أوربى » وقد كتب جواهر لال نهرو « ان ريچ فيدا - عام ١٥٠٠ ق.م أو كتب « الفيديا » ربما يكون أول كتاب تملكه الانسانية . ولكن لعل قبله دهورا من الوجود الحضارى والفكرى تم خلالهما نمو الحضارة فى سهل الهندوس بين النهرين وكذلك حضارات أخرى » .

ولهذا - فانه احقاقا للحق - أن يتواجد الاهداء التالى فى ال « ريچ فيدا » وهو « الى المتنبئين بالمستقبل ، الى أسلافنا أول من خطوا على الدرب » .

وخلال تاريخ يمتد عبر ثلاثة آلاف عام كان للأدب الهندى لحظات ارتفع فيها الى القمة وأخرى هبط فيها الى القاع . وكانت هناك فترات أعطى فيها العقل الهندى المبدع الخلاق أعمالا على درجة عظيمة من الجمال والسمو مثل مسرحيات « كاليداسا » وكتابات « شانكرا » الفلسفية وأشعار « كبير » وتوليدا واناك ( ١٤٦٩ - ١٥٣٣ ) . وعلى الناحية الأخرى كانت هناك فترات - وعلى سبيل المثال نهاية القرن الثامن عشر - عندما اتحدت الظروف السياسية مع السبب العقلانى وجعلت من المستحيل أن تزدهر الفنون الابداعية أو حتى لتقدير أو تذوق الأدب . وفى تلك الفترة وصلت اللغة الانجليزية الى المشهد الهندى .

وعلى الأقل فانه ابتداء من العصر المسيحى كان للأدب الهندى وسيلتان كبيرتان للتوصيل « السانسكريتية مع ما يتفرع منها من اللغات الهند آرية العديدة » واللغة « الدرافيدانية » لجنوب الهند وهى لغة غير آرية وعلى أية حال فان ذروة اللغات الهندو آرية الحديث كانت فى القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر فى اجتذابهما للأعداد الكبيرة من متذوقى الأدب .

وكان لها منبع مزدوج للإلهام ، الأول هو فى البعث الجديد للاهتمام بالتراث السانسكريتى وخاصة فيما تضمنته الملاحم العظيمة ، والثانى هو موجة المد القوية لعقيدة « الفيشنافزم » وهى قسم من الديانة الهندوسية يتلخص فى مذهب دينى واسع الانتشار لعبادة اله شخصى يتطابق مع «راما» بطل «رامايانا» ومع « كريشنا » بطل « مهاباهاراتا » و « باهوجات بيوراننا » .

وبينما كانت الأعمال الأدبية المبكرة باللغة « الهندو آرية » في شمال الهند أعمالا كلها نثرية في معظمها ، كانت الأعمال الأدبية للغات المشتقة أو لغات جنوب الهند كان بها بعض الشعر .

وكانت السمات الطبيعية لكلا المجموعتين هي الأعمال الكلاسيكية والتراجيح والصور المأخوذة من الملاحم .

وأشهر هذه الأعمال قاطبة هي مؤلف « تولسيदा » المسمى « رام تشاريتر ماناس » في القرن الخامس عشر و « رامايانا » بقلم « كامبان » في القرن التاسع الثمان ظهرت في عدة لغات شعبية مختلفة .

وبجانب تطوير الملاحم الى هذه الصورة الجديدة كان هناك عطاء جليل من الأهازيج التعبدية والابتهالات والأشعار كتبها الشعراء « القديسون » الذين ازدهروا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر مثل « سانكاراديف » باللغة « الانسامية » و « نشاندidas » باللغة « البنجالية » و « فيدا باباتي » باللغة « المايتيلية » و « نارسيمامهتا » باللغة « الجوجيرانية » و « ميراري » باللغة « الراجاستانية » وأعمال « كبير » في خليط من اللغات « بهوج بوري » ، والأردية وسورداس بلغة « بايج باهاسا » و « وايكانات » باللغة الماراثية وجوروناناك باللغة البنجالية .

وقد أشاعت أعمال هؤلاء الرجال الدفء في مجرى دماء الأدب الهندي عبر القرون .

وكان لوصول الدين الاسلامي للهند تأثير ضخم على الأدب الهندي ، فالى جانب أن تطور اللغة الأردية وكذلك أدبها قد تبع من ظهور الاسلام فان لغات هندية أخرى عديدة قد أثرت من أعمال الكتاب المسلمين أنفسهم . فمن خلالهم انتقلت اليها تقاليد من الأدب العربي والأدب الفارسي . وحين اتخذ الكتاب المسلمون الهند وطنا لهم فانهم قد تطلعوا الى الأفكار الأساسية « التيمات » الهندية الخالصة كمصدر للوحي والالهام ، ومثال ذلك القصة البطولية ملكة راج بوت « بادميني » « تشيتور » التي أوحى للكاتب « مالك محمد جايباسي » قصة « بادمانات » وهي قصة رمزية باللغة « الاواظية » كتبت في القرن السادس عشر . وقد يضاف الى ذلك التأثير العام للفكر الاسلامي خاصة في التقاليد الصوفية التي لا تلتزم بها الأغلبية .

ويبدو هذا التأثير واضحا بالأخص في اللغتين « الكشميرية والبنجالية » وقد عرفت الهند فترات مظلمة كثيرة في تاريخها الطويل ولكن النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان جالك القتامة بوجه خاص ، في مجال السياسة والثقافة .

وبموت « أورانجزيب » آخر المغول العظام عام ١٧٠٧ قاست الهند من الفوضى الادارية وعدم الاستقرار السياسى والتبلىد العقلى والتدهور الثقافى عامة وأصيب الادب الهندى بالفقر والانكماش على نفسه .

ولم يتغير حال الادب الهندى الا قرب نهاية القرن الثامن عشر عندما سيطر الانجليز على شرق الهند . وهكذا وصل الانجليز الى الهند فى وقت بدا فيه أن أبواب الأمل فى وجود ينعم بالتقدم والتطوير قد أغلقت الى الأبد .

وكانت الصورة العامة للادب الهندى عشية وصول الانجليز مزيجاً من الارتباك والتعقيد وكان المصدران الأساسيان للادب الهندى هما التقاليد الأدبية والدينية باللغات الجنوبية وباللغة الهندو آرية كما وضعت فى النصوص « السانسكريتية » وتعاليم بوذا والفلكلور الشعبى العظيم الانتشار .

وسواء أكان الكتاب آريين أو هندوسا أو بوذيين أو درافيديين من أهل الجنوب أو مسلمين فقد كان الدافع الدينى فى الشعر والنثر هو السائد دائماً .

وكان الأدب الدينى فى غير مجالات الشعر الغنائى أو الفلسفة أو الجدل ، أو الفقه يتكون أساساً من نصوص للطقوس تستخدم فى الحياة اليومية أو المناسبات الخاصة مثل الزواج ، الميلاد ، الوفيات ، الحج ، النذور وما شابه .

وقد وضع مستر «ماكولى» الانجليزى أساس السياسة التعليمية لحكومة الانجليز فى الهند ولم يكن يكن الا الاحتقار للثقافة الآسيوية والأدب الآسيوى وقد قال مرة بازدراء بين انه مستعد للتضحية بكل آداب الشرف مقابل رف واحد من الكتب الانجليزية وكان يعتقد « أن هدف السياسة الانجليزية هو وجوب نشر الآداب والعلوم الأوروبية بين الأهالى » . وانه لمن الممتع على أية حال أن نلاحظ أن الطلب على التعليم الغربى جاء منذ اللحظة الأولى من المثقفين الهنود أنفسهم . وفى عام ١٨٨٣ كتب « راجا رام ماموهان روى » وهو واحد من أعظم الشخصيات الأدبية فى أوائل القرن التاسع عشر ، كتب الى لورد « امهرست » الحاكم العام فى الهند يحنج على اقامة كلية « سانسكريتية » حكومية فى كلكتا . وطلب أن يتوافر للهنود تعليم وتثقيف غربى من النوع الليبرالى المستنير .

وهكذا فانه فى السنين الاولى من الاحتلال الانجليزى كان تعلم اللغة الانجليزية اختيارياً واقبل الشباب فى البنغال بحماس بالغ عليه وبعد ذلك أقبل عليه متدفقاً الهند فى شبه القارة كلها .

وكان الموقف السياسى فى البلاد هو أننا وان كنا نشهر بالانجليز فى كل ميدان من ميادين الحياة والفكر الا أننا كنا نتعلم لغتهم بجدية وحماسة .

ولا يمكن تصغير شأن الخدمات التى قدمها الانجليز للهند وبالأخص فى مجالات العلوم السياسية والطب والهندسة . فمن الناحية السياسية فقد طورت

وقوت شعورنا بالوحدة الوطنية بشكل فعال ومؤثر كما لم يحدث في تاريخ الهند من قبل . ولو أن اللغة الانجليزية ظلت لغة الطبقات المثقفة الا أنها أيقظت « الاندجنسيا (المتقنين) » بهزة عنيفة من ركودهم الذهني وارتباطهم بالماضي وجلبت الأدب النورى الأوربى والأمريكى وقد أثرت هذه الأعمال تأثيرا عميقا فى الحركة الوطنية فى الهند ، وبالإضافة الى ذلك فإنها قدمت التعليم الفنى والأبحاث وتمكن آلاف من الهنود من تعلم وسائل تقنية جديدة ومعلومات فى هذه الحقول وربطت اللغة الانجليزية بين المفكرين والقادة السياسيين لشبه القارة الهندية كلها وأدى هذا الى وضع الأساس للوحدة الادارية والسياسية .

وانه لمن صدق القول أن الأدب الهندى الحديث يدين بالكثير جدا للغة الانجليزية وأنه ليكون انكارا للجميل أن نحاول التقليل من شأن هذا الأثر . ويتميز تطور الأدب الهندى الحديث ببعض الخصائص التى يشارك فيها الأدب العالمى الحديث فى أجزاء أخرى من العالم وبعض الخصائص الأخرى التى تتعلق بالظروف الخاصة بالهند . ومن تلك الأخيرة الأسلوب الذهني ذو الشقين للمكاتب نفسه .

ولا زالت لعبة الجذب والدفع يستعر أوارها بين التقليدية والتقدمية والتصادم بين الارثوذكسية وغير الارثوذكسية ليس قاصرا فقط على الهند ولكن الصراع بينهما هنا كان يتميز بالعنف الشديد . ان الفكر الغربى متمثلا فى حكومة وثقافة غربية وتركيز على الديمقراطية والحرية نشط رد فعل وطنى قومى وكان رد الفعل هذا بدوره حافزا للبحث عن الجذور .

ومن بداية القرن العشرين ازدادت صبغة الأدب الهندى بالتطلعات السياسية التى عبر عنها بحرارة وحماسة فى أغاني وأشعار طاغور وفى شعر تاميل المسمى « بهاراتى » والشاعر البنغالى « كازى نصر الاسلام » والكاتب الأردى « اقبال » وكتابات « تيلاك » و « غاندى » و « أوربيدو » هى كذلك ترسم صورة للحيرة التى لا يزال يواجهها مثقفو الهند اليوم .

ولعل أحسن مثال لذلك الانفصام هو جواهر لال نهرو نفسه وحسب كلماته فقد كان « خليطا فريدا من الغرب والشرق » .

ومهما كان المنبع الثقافى للمكاتب الهندى - وخاصة اذا كان يكتب باللغة الانجليزية - فى لندن أو نيويورك فان جذوره الروحية يجب أن تكون فى الهند . ان انجذابه نحو الثورة الأمريكية أو الثورة الفرنسية أو الأفكار الانجليزية عن الديمقراطية البرلمانية والعدالة ، وكذلك الثورة الروسية عام ١٩١٧ انجذاب لا يناقش وهذا يؤثر على نظراته العقلية وانتاجه الأدبى .

وفى نفس الوقت فان للهند القديمة سحرا لا يذوب ولا يستطيع الكاتب ان ينأى عن تعاليم « باجافات » ولا عن النفاذ الروحي للبصيرة « للأوبانيشادر » .

ومن الناحية السياسية تعتبر الهند من الدول الحديثة لكنها فى غاية القدم من الناحية الحضارية . ان مشكلة الكاتب الهندى الحديث هي أن يكون هنديا فى المقام الأول وأن يكون عصريا فى نفس الوقت . لقد تأثر الأدب الهندى ولا زال يتأثر الى الآن بالكتاب الغربيين .

وبالاضافة الى تولستوى وجوركى وفكتور هوغو ورومان رولاند وديكنز وثاكرى ، فان باسترناك وسارتر وهاردى وحتى كبلنج وت . س . اليوت وهيمنجواى موجودون كذلك وبالمقابل فان تأثير التفكير والأدب الهندى على الأدباء الغربيين والأمريكيين لم يكن بالشئ النافه .

ولقد بدأ عمل أول بحث علمى عن الأدب الهندى حوالى عام ١٧٦٠ وقد بدأه « وارين هاستنجز » أول حاكم عام للبنغال وكان يعرف اللغة السانسكريتية واللغة الايرانية . وفى مقدمة لترجمة تشارلز ويلكنز لد « جيتا » كتب « أن أعمالا كهذه ستحيى عندما تكون السيطرة الانجليزية على الهند قد زالت منذ أمد بعيد وعندما تكون المنابع التى وهبت كل الشراء والقوة قد آلت الى النسيان » .

ولقد ترجم ولیم جونز « ساكونتالا » بقلم « كاليداسا » عام ١٧٨٩ وظهرت له ترجمة ألمانية عام ١٨٢٣ . كان استقبال جوته الحماسى معروف للجميع . ولقد تأثر « شوبنهاور » تأثرا ضخما بتعاليم « أوبانيشاد » البوذية وكذلك تأثرت الفلسفة الألمانية « ترانسند تالزم » (\*) عموما بالفكر الهندى .

وفى انجلترا كتب « ادوين أرنولد » « أضواء آسيا » التى نالت استحسانا كبيرا . وكذلك فى أمريكا حيث أبدى كل من ثورو وإيمرسون ومارك توين ووالث ويتمان اهتماما بالفكر الهندى . وقد كتب « ثورو » « أن مياه نهر والدين » الصافية امتزجت مع مياه الجانجيز المقدسة » .

ولقد استوحى مستر ي . م . فورستر عنوان روايته الشهيرة « ممر الى الهند » من قطعة شعرية كتبها « ويتمان » .

ومن بين الكتاب الغربيين الشهيرين الذين تأثروا كثيرا بالفكر الهندى « و . ب . بيتس » و « رومان رولاند » و « هيرمان هيسى » و « سومرست موم » و « ت . س . اليوت » و « راديارد كبلنج » و « الدس هكسلى » . وان تأثير كتابات « كبلنج » على نظرة جيله الى الهند لا يمكن أن يغالى فيها .



ولقد نظر العالم الغربى الى الهند من خلال عيون كبلنج لمدة تقرب من ربع قرن على الأقل . وذلك على الرغم من أن معرفته بالهند لم تكن وثيقة وكانت قاصرة على قطاع صغير من النظام الانجليزى - الهندى الحاكم . وعدا كتبهم عن الأدغال فقد كتب عن الموظفين الرسميين وضباط الجيش وحياتهم فى محطاتهم العسكرية .

وكان كبلنج رجعيا فى الأمور السياسية وقد استنكر الهنود تطرفه الاستعمارى ، أما انه روائى فذ فذلك لا ينكره أحد . ولكن شخصياته الهندية التى رسمها كانت مسطحة بوجه عام ، ولم يكن الا بعد ظهور كتاب « اى . ام . فورستر » وهو « ماهر الى الهند » أن قدم الى قراء الروايات من الغربيين نموذجا متكاملًا للهنود يمكنهم التعاطف معه .

وكان لثلاثة رجال التأثير الأعظم على الفكر والأدب الهندى وهم « المهاتما غاندى » ( ١٨٦٠ - ١٩٤٨ ) و « كارل ماركس » ( ١٨١٨ - ١٨٨٣ ) و « سيجموند فرويد » ( ١٨٦٥ - ١٩٣٩ ) والحقيقة أن أحدا من هؤلاء لم يكن كاتبًا أدبيًا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

قدم ماركس وفرويد الروح العلمية وحسب كلمات « كريشنا كريبالانى » فانهما أعطيا هزة عنيفة ، كانت الحاجة تدعو اليها لذلك الرضا الفائق - غير الصحى وغير المبرر عن النفس ، بكل ما ورثته عن الأجيال السابقة من نزوع الى التقوى العاطفية ، وتمجيد الماضى .

وقد أطلق كلاهما الحركة العنيفة للاندفاع العقلانى والسياسى من عقلاهما مما هز المفكرين الهنود ورجال القلم الى أسسهم التى يؤمنون بها فى أنظمة الحكم والدين . ولقد تأثر كل من « مولك راج أناند » و « راجارو » و « بریم تشاند » و « كريشان تشاندر » و « ت . س . بيلاي » و « ساتا رامارو » و « كوشوانت سينج » بالمفكرين العصريين الثلاثة - كل بدرجة قد تزيد أو تنقص .

وتعرضت الحياة الهندية لأفكار جديدة تتعلق بالتغير السلوكى ، لم يعد فى الامكان تجاهلها . وقد كان ماركس وفرويد تأثير ضخم على التفكير الغربى الحديث ولم يكن هناك مناص الا أن يشعر الهنود بذلك التأثير أيضا . ولكن صورة المهاتما غاندى وشخصيته وازنا فى كفتى الميزان بين النفوذ الغربى والأفكار القديمة الى حد ما .

وكان مرشدو غاندى الغربيون هم ثورو وتولستوى وراسكين . وكان أيضا قد تأثر كثيرا بكتاب « كارليل » « عن الأبطال وتمجيد الأبطال » و « البطولة فى التاريخ » . وكانت التوراة و « جيتا » أقرب الكتب الى قلبه بالطبع . وكان

هناك كتاب آخر أثر عليه أيضا - ولأسباب ليست مفهومة تماما ألا وهو كتاب « محمد وخلفاؤه » بقلم « واشنطن ارننج » .

وبعد أن قضى واحدا وعشرين عاما في جنوب أفريقيا عاد للهند عام ١٩١٤ وقدم منشطا أخلاقيا لمسيرة الأدب الذي كان قد بدأ تحوله من العاطفية الى الواقعية . وكان اصرار غاندى على سياسة عدم العنف وعلى بساط وطهارة الفرد قد لمس وترا متجاوبا في المثالية المتوارثة للفكر الهندى وهكذا أصبح اسهاما غير مباشر فى الايحاء بكتابة الأدب الخلاق . وكان أسلوبه البسيط والمباشر الخالى من العبارات الطنانة عاملا صحيحا فى الحد من الميل الطبيعى الى الاسراف فى زخرف القول فى أسلوب كثير من الكتاب الهنود وقد ترك غاندى بصماته واضحة على الأدب الهندستانى والكوجوراتى بوجه خاص .

وعلى سبيل المثال كان بریم تشاند - والذي كان متأثرا بتولستوى وجوركى - قد وقع تحت تأثير سحر المهاتما غاندى . وكان بریم تشاند قد استقال من وظيفة حكومية متواضعة ليكرس نفسه للكتابة عن حياة الفلاح الهندى ، الذى ركز غاندى الكثير من وقته وحياته للارتقاء به وقد عاش بریم تشاند فى قرية زراعية مثلما عاش غاندى .

وقد هاجم فى كتاباته نظام الطائفية ومعاملة المجتمع الهندى للأرامل وزواج الأطفال ( وكان هو نفسه قد تزوج أرملة رغم المعارضة الضخمة فى ذلك الوقت ) وكان يعرف الحياة الريفية بدقائقها وتعطى كتبه تفصيلا صادقا ومحركا للمشاعر لمازق الفلاح الهندى - كرجل خاضع لحكومة أجنبية من ناحية - وتحت رحمة مقرض النقود من ناحية أخرى .

ولم يكن لبریم تشاند رؤية طاغور النفاذة أو حساسيته ، ولما غامر بالكتابة بعيدا عن حياة الفلاحين فى ميادين وأوضاع أخرى فقد جنح الى الاغراق فى العاطفة ولم يحس القراء ولم تأت شخصياته بنبوة الصديق فى تصويره لها . وكانت أولى روايات راجاراو « كانتابورا » مستوحاة أيضا من تعاليم غاندى فى الالتزام بعدم العنف . وقد كتب ر . ك . نارايان عام ١٩٥٦ رواية اسمها « انتظار المهاتما » . وكذلك فان أول قصة للكاتب مولك راج أناند « المنبوذون » تحمل بصمات غاندى التى لا يمكن أن يخطئها أحد .

انتشر نفوذ ماركس فى أوائل الثلاثينات وليس فقط بين سياسيين الهند بل وكذلك بين الكتاب الهنود ولقد قدم كل من « مولك راج أناند » و « كريشان تشاندار » قضية الصراع الطبقي فى الأدب الهندى لأول مرة .

ولقد كان شعور « كريشان تشاندار » أنه ككاتب للقصة القصيرة كانت لديه مهمة هى أن يظهر الرأسماليين والطبقة الحاكمة فى كل قسوتهم ووحشيتهم .

وحتى يومنا هذا فان هذا التأثير لا زال موجودا فى القصص الهندى الى حد ما • ولكنه لم يعد بنفس قوته التى كان عليها منذ جيل مضى وكانت الحرب العالمية الثانية هى السبب فى تلك التطورات السياسية فى الهند كما فى العالم أجمع •

انه لمن الصعب أن يحدد على وجه الدقة مدى تأثير فرويد على الكتاب الهنود • ان من الواضح أن هذا التأثير موجود ، ولقد حرر لحد ما الأدب الهندي من الحزبات غير العلمية • وبعد مجيء الاسلام فان الكبت الجنسي فى الاسلام قد أصاب الأدب الهندي بالشلل • ومن قبل ربما كان موقف الهنود من الجنس صحيا بدرجة أكبر كما صور فى الأدب الكلاسيكى فى « كاماسوترا » بقلم « فاتسيان » فى القرن الثالث الميلادى ، وكذلك فى مسرحيات « كاليداس » • ولقد نوقش الجنس بصراحة وطريقة طبيعية • وعلى كل فان الاسلام بالاشتراك مع أخلاقيات العصر الفكتورى ومع تعاليم البراهمة الضيقة الأفق والتي دعمها وأمدتها بالقوة زهد المهاتما غاندى – كل هذا أغلق الأبواب فى الجزء الأول من القرن العشرين على موضوع الجنس فى الأدب الهندي الا اذا استثنينا ما كتبه غاندى فى سيرته الذاتية – « قصة تجاربى مع الصدق » عن الجنس •

وتسبب فرويد فى اتاحة الفرصة لجيل أصغر من الكتاب والعقلانيين أن يكتب عن الجنس بحرية أكثر ، ولهذا فانه عندما كتب « كوشوانت سينج » و « بادماراجو » قصتيهما عن العاطفة المشبوبة والحب فى الخمسينات وهما « اغتصاب » و « فى القارب » فان أحدا لم يدهش •

كان لجواهر لال نهرو مكانة متميزة فى عالم الأدب • وقد قيل عن حالته ان ما اكتسبته السياسة بانتماؤه اليها ، كان خسارة للأدب • وعلى الأقل فان كتابين من كتبه وهما « سيرتى الذاتية » و « اكتشاف الهند » سيظلان جزءا من آداب اللغة الانجليزية على الدوام وقد كتب نهرو بأناقته وحساسية وكان على مدى فترة من الزمان رئيسا لجمعية القلم فى الهند وكان يستمتع حينئذ بمقابلة الكتاب الهنود والتحدث معهم ولقد أعطاهم كل ما فى وسعه من تشجيع •

كان رايندرانات طاغور ، وهو من البنغال ( ١٨٦١ – ١٩٤١ ) أول كاتب هندي عصرى أعطى للقصة الهندية القصيرة مميزات الواضحة وكان مسئولاً الى حد كبير أيضا عن جعل الهنود يعيدون اكتشاف الهند فنيا • ولقد استطاع أن يمتص الروح الغربية وأن يطبعها لتدخل الأدب الهندي كجزء منه •

وكان طاغور كاتبا ثنائى اللغة ، له النظرة الثاقبة التى جعلته يرى أنه لا بد للأدب الهندي أن يساير تطورات العصر الحديث اذا أراد أن يظل أدبا حيا قويا ، ولقد أمكنه أن يحدد دماء اللغة البنغالية باضافة المرونة والحيوية اليها ،

كما كان السبب في جذب الاهتمام العالمى بالأدب البنغالى خاصة وبالأدب الهندى عامة .

وكان طاغور ضليعا فى الأدب الغربى وكان يعجب بانسانية الكتاب الانجليز المتحررة وكذلك بشعراهم . وقد قرأ بالأخص أدب جوته وشيللى وكيثس و . و . هدمسون وروبرت برنونج ، وكان صديقا ومعجبا ب . ب . بيتس . انه لم ينبذ الماضى وكذلك لم يفتتن بالحاضر . ولقد استمد الكثير من كلاسيات الهند والتقاليد الشعبية فى وطنه ومن « أوبانشادا » ومن تعاليم بوذا ومن « كاليدياسا » كما انه استخدم وتبنى وامتنص الأشكال الأوروبية ، وأساليب معالجتها للتفاصيل الفنية ( التكنيك ) وطبقها بنجاح كبير .

ان أهمية طاغور الرئيسية تتركز فى الدفعة والاتجاه اللذين أضفاهما على مسيرة تطوير ثقافة الهند وأخلاقياتها ، وفى المثل الذى قدمه كعبرى وهب نفسه بكل ما فيها من طاقة الحب لفنه وبنفس هذا التفانى أيضا لخدمة قومه وللانسانية عامة .

ولقد أعطى الشعب الهندى الثقة والايان بلغتهم وبتراثهم الثقافى والفكرى . وذلك رغما عما كان للغة الانجليزية من القيمة والنفوذ . ان النهضة المعاصرة للغات الهندية لتدين له بالكثير .

كان لطاغور شخصية متعددة الجوانب فكان شاعرا ووطنيا وكاتبا مسرحيا وفيلسوفيا ورساما وهوائى موسيقى ومعلما وعالمى النظرة وروائيا وكان تأثيره فائقا وشاملا على جيلين على الأقل من الأدباء الهنود ولقد ناثرت به الرواية . . . والقصة القصيرة والدراما والمقال والمختصات والنقد الأدبى وعلى الأخص فى لغات شمال الهند المختلفة .

ومما لا شك فيه أنه كان أهم قوة حيوية فى الأدب الهندى الحديث الا أن الهامه المباشر قد خبا خلال السنوات الأخيرة .

وقد أقيم احياء لذكرى طاغور مؤخرا فى الهند وخارجها بمناسبة مرور مائة عام على مولده وكان ذلك فى عام ١٩٦١ - ولكننا لا نعدو الصدق اذا قلنا ان الناس تعجب بطاغور فى هذه الايام أكثر مما تقبل على قراءة أعماله .

وفى الكتابة عن موضع الأدب الهندى كما رآه فى عام ١٩٤٥ سجل اى . م . فورستر الملاحظات التالية فى مجموعة مقالاته المسماة « نحييتان للديمقراطية » عن انتاج الكتب « ان الانتاج نشيط للغاية رغم ضالة أجور المؤلفين . القصة القصيرة مرغوبة ومنتشرة وقد قرأت بعض القصص الممتازة عن البنغال . الشعر غالبا ما يعكس صدى ت . س . اليوت وأودين . الأعمال الدرامية لا تأخذ مكان

الصدارة • والنقد ضعيف • وللهنود قدرة ملحوظة على العبادة أو توجيه الانهام ،  
ولكنهم يفتقرون الى الوعي النقدي كما يفهم النقد فى الغرب •

وقد تغير الموقف للأحسن فى العقدين الماضيين ولكن ملاحظات مستر فورستر لا زالت صادقة جزئيا حتى اليوم • ان الطبيعة المعقدة للأدب الهندى طبعها تضاعف من مصاعب الكاتب الهندى ولا زالت اللغة الانجليزية تستعمل كلغة اتصال وكأداة مناسبة لسنهيل وضع الانسان فى المجتمع • ان الانجليزية هى اللغة التى يتخاطب بها رئيس الجمهورية الدكتور رادا كريسنان مع رئيسة وزراء الهند السيدة أنديرا غاندى • ولهؤلاء الذين يكتبون باللغات الهندية فان حواجز اللغة تخلق العقبات الرئيسية وهذه مشكلة ليست مجهولة فى أى مكان آخر !! •

وعلى سبيل المثال ، كم مؤلف نرويجى أو روماني يأمل أن تترجم أعماله الى لغات أعم استعمالا ؟ واذا رم تترجم أعمال هؤلاء المؤلفين الأوربيين فان شهرتهم ودخولهم ستظل محلية ومحدودة للغاية • أما فى الهند فانه ان لم تترجم أعمال المؤلف الهندى الى عديد من اللغات الأربعة عشر، فانه لن يعرفها الا عدد بسيط من مواطنيه •

ولابد أيضا أن نواجه الحقيقة وهى أن العالم لن يتعلم اللغة الهندستانية أو لغة تاميل وأن قدراتنا على استخدام اللغة الانجليزية كأداة فنية وخلاقة للاتصال يجب أن نكون موضع ترحيب بدلا من الحط من قدرها لأسباب سياسية تتسم بضيق الأفق وفى مثل هذا المجال فان بعضا من الكتاب الأفريقيين واجهوا تلك المشكلة بصراحة ليست دائمة الوجود فى الهند •

ويقول مستر « أنسيبه » المؤلف النيجيرى عن اللغة الانجليزية « لقد تلقيت تلك اللغة وانى أنوى استخدامها » •

ولما سئل مستر ليوبولد سنجور « لماذا تختارون الكتابة باللغة الفرنسية أيها الأفارقة ؟ » أجاب « نحن لم نخترها ••• لقد اختارتنا هى » •

ان المناقشة الأساسية التى غالبا ما يقدمها نقاد استخدام الكتاب الهنود فى أعمالهم هى « أن هذه اللغة لا صلة لها بخصائص الهند أو روحها » •

وللاجابة على هذا النقد الذى يكاد يتسم بالسطحية ، نقول ان ذلك ينطبق أيضا على الديمقراطية البرلمانية ، والخطط الخمسية للتنمية ، وحماية حقوق الانسان وهذه كلها جزء رئيسى ومسلم به فى نظام الحكم فى دولة الهند اليوم •

ولعل أوضح مثال لنوايا الكاتب الهندى هى التى عبر عنها « راجارلو » عندما كتب فى عام ١٩٣٨ « على الفرد أن ينقل بلغة غير لغته الروح التى هى

ملكه . وعلى الفرد أن ينقل مختلف الأحاسيس والظلال لفكرة معينة أو حركة يبدو أنها عوملت بقسوة . نحن لا نستطيع الكتابة مثل الانجليز ، ولا يجب أن نغفل ذلك ، ولا يجب أن نكتب بصفتنا هنودا فحسب ، لقد نمونا ونحن ننظر الى العالم الفسيح كأنه جزء منا . يجب أن تكون وسيلتنا للتعبير ، يجب أن تكون لهجة مميزة وغنية بالألوان كاللغة الايرلندية أو الأمريكية والزمن وحده هو الذى سيبرز ذلك » .

ولقد كتب الروائى الأمريكى روبين هوايت والذى أمضى سنين عدة فى الهند فى مقال غنى بالفكر فى مجلة « ريبورتر » فى ١٤ فبراير ١٩٦٣ يقول « مهما بدت مهمة الكاتب الهندى بلا أمل الا أن التحدى قد لاقى بعض النجاح ولعل السبب الرئيسى فى ذلك أن الكتاب أنفسهم يجنحون الى تحقيق نفس القدر من التنوع الذى تتميز به أمتهم » .

وانه لمن المعروف أنه بينما قام الأدب الانجليزى والأدب الغربى بدور العامل المساعد فان الايحاء الأساسى ، وبالأخص فى اللغات الدارجة لا زال يجيء من « الملاحم » و « السانسكريتية » . وانه لمن صادق القول أنه لا يوجد فرع فى نشاط الأدب الانجليزى لم يحظ فيه الكتاب الهنود بالتقدير وبالأخص طاغور ، وراد كريشنان ، ونهرو ، وسيرى أوروبيندوا ، ونيرادتشودهرى . و « السيرة الذاتية لهندي مجهول » و « مولك راج أناند » و « ر. ك. ناريان » و « راجاراو » ، « ب. راجان » « الراقص الأسود » و « زمن أطول من اللازم فى الغرب » ، « ج. ف. ديسانى » « كل شئ عن مستر هاتر » و « سانشاراماراو » و « كمبالا ماركانديا » .

ولم نذكر الا القليل من ذوى السمعة العالمية والجمهور . ولكن الكتاب الاقل شهرة يسعون باصرار الى السيطرة الشامة على لغة أجنبية وينغمسون فيما يسميه « كريبالانى » أنيقة فى الأسلوب تفتقر الى الثقة بالنفس والتأكيد الذى لا مبرر له على الالتزام بالبساطة والطهارة فى مدلول الألفاظ ، والميل الى الافراط فى الكتابة » .

ان السيولة والتكثيف ليسا كافيين ، حيث ان الدقة والوضوح لا يقلان أهمية . ويواجه الكتاب الهنود ظاهرة شاذة فى أنه رغم كون الأدب الهندى وحده الا أن كتاب وقراء احدى اللغات ، لا يكادون يعرفون شيئا عما يكتب بلغة مجاورة وانه لمن الضرورى ايجاد أو ابتكار وسائل وطرق أخرى يتمكن بها الكتاب والأدباء الهنود من أن يتقابلوا عبر حواجز اللغات المكتوبة أو المسموعة وتمكن قراءهم من تقدير التنوع الهائل فى تراث بلدهم الأدبى حق قدره والاستمتاع به . ان مصاعب الكتاب الهنود اليوم ترتبط ارتباطا وثيقا بحالتهم الاقتصادية . ان الكاتب الهندى يجب عليه أن يعمل أكثر من زميله الغربى أو اليابانى ليظل حيا . والنشر ليس تجارة رابحة حتى الآن فى الهند ، ففي عام ١٩٦١ نشر

٢١ ألف عنوان فقط وصغر هذا الرقم بالنسبة لعدد السكان البالغ ٤٩٠ مليون هو شيء يبعث على الضيق . ويخص الأدب من هذه الكتب ٤٠ في المائة فقط ، وأربعة ونصف في المائة للعلوم وأقل من واحد في المائة للتكنولوجيا والتطبيقات العلمى . وخص العلوم الاجتماعية والتاريخ ثلاثون في المائة . وكان نصيب الجغرافيا والتاريخ والدين خمسة عشر في المائة .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أيضا أنه من تلك الواحد والعشرين ألف كتاب كان نسعة آلاف وثلاثمائة وواحد باللغة الانجليزية . و ٢٨٠٥ باللغة الهندية ، و ٢٠٤٣ باللغة البنغالية . وفي كل المدن الكبيرة مثل بومباي وكلكتا ودلهي ومدارس ومعظم الجامعات ( وعددها أكثر من خمسين ) توجد مكتبات مناسبة .

وعلى أية حال فانه لمن المحزن القول بأن شراء الكتب وبيعها فى حياة الهندى متوسط التعليم ليس لها نفس المكانة التى تحظى بها عند مثيله فى الولايات المتحدة وروسيا وانجلترا واليابان وإيطاليا والسبب الوحيد لذلك هو أن أى كتاب يزيد ثمنه على خمس روبيات ( دولار تقريبا ) يصبح بعيدا عن متناول تسعين فى المائة من السكان .

وهكذا فإن الكتابة فى الهند ليست بعد مصدرا للثراء فيما عدا استثناءات قليلة ويجب أن يكون هؤلاء المنجذبون نحو الكتابة من بيوت مستقلة ماديا ، كطافور ، وكوشوانت سنج ، وسانتا راماراو ، وفى مرتبة أقل فليلا يأتى راجارو ، ت . س . بيلاي ، ر . ك . نارايان ، وهؤلاء اما كان لديهم موارد خاصة أو كانت أسرهم المتضامة تساهم فى اعاشتهم طبقا لمنهجهم الخاص الى أن يبدأ بيع كتبهم .

وغالبية الكتاب الهنود يجب عليهم الكفاح حتى يحصلوا على الكفاف . ومثال فذ لذلك هو الكاتب بريم تشاند الذى مات فقيرا فى عام ١٩٢٠ كان أجره عن القصة القصيرة روبيات خمس وكان هذا أجرا نمطيا لتلك الأيام .

وحتى اليوم فان حقوق الملكية للكتاب الهنود تعثر كفاها بالمقارنة بهؤلاء الذين يكتبون فى أماكن أخرى من العالم ، وأن مائة روبية ( حوالى ٢١ دولار ) تعتبر ثمنا سخيا لقصة قصيرة أو مقال فى مجلة . ان « الكتاب الأكثر رواجاً Best Seller لا زال غير معروف بالهند حتى الآن ، ولا كذلك النقابات المهنية أو نوادى الكتاب التى تساند المبيعات .

وتبذل الجهود الآن لتصحيح هذا الوضع . وفى هذا المجال فان خطوة عظيمة قد تمت عام ١٩٥٤ عندما افتتحت جامعة « ساهيتيا » وكان أول رئيس لها هو جواهر لال نهرو بنفسه وكان ثانى رئيس لها هو الذى يشغل الآن

عندئذ نائب رئيس الهند ( س . رادا كريشنان ) وفي خطابه الافتتاحي حدد الدكتور رادا كريشنان اسداف الاكاديمية كالتالى « ان جملة أكاديمية ساهيتيا تجمع كلمتين . الأولى ساهيتيا من اللغة السانسكريتية ، والثانية أكاديمية وهي كلمة أغريقية . وهذا الاسم يوحي بنظرتنا وطلمانا العالمية . و « ساهيتيا » معناها تاليف أدبي ، وكلمة « أكاديمي » تعنى جمعا من الرجال يهتمون بالموضوع وهكذا فإن أكاديمية ساهيتيا ستكون تجمعا لكل هؤلاء المهتمين بالأدب الخلاق والأدب النقدي .

وغرض هذه الأكاديمية هو « أن تمنح تقديرها الى الرجال الذين لهم أعمال عظيمة فى الأدب ، وأن تشجع أولئك الذين يمشرون بالوصول الى مكانة كبيرة فى عالم الأدب وأن ترتقى بالذوق العام وتهذيبه وأن ترفع من مستويات الكتابة الأدبية والنقد الأدبي .

ان مستقبل أى أدب هو بالطبع فى أيدي كتاب الأدب والأدب الهندى ليس استثناء لهذه القاعدة على الرغم من الصعوبات التى يلاقيها كتابه . »

ان المشكلة الابتكارية الرئيسية التى يواجهها كاتب القصص الهندى تكمن فى أنه يجب عليه أن يكمل اتقان استخدام شكل الرواية . ان الرواية الهندية سواء أكانت باللغة الهندستانية أو الماراثية أو الانجليزية غالبا ما تكون جامدة « استاتيكية » وانها رواية أنماط أكثر منها رواية أفراد . ولقد عبر ب . راجان عن ذلك جيدا عندما كتب فى « المسترليند ويكلى أوف انديا » فى ٢٦ مارس ١٩٦٣ « ان كلا من روايات السلوك أو روايات صراع الشرق والغرب تنحو الى الاهتمام بمناطق محددة نسبيا ولا نهتم بها الى عمق له أهميته .

ان الرواية عن الحياة الهندية مهاجمة فى هديتها ويطغى اللون المحلى ويكاد يمحو كل المصادر التقليدية للقصص والقدرة على استخدامها .

ان رواية الفكر لا تتميز دائما بالقوة العقلانية ورواية « المعانى » كذلك لم يتم الاحاطة بها فحسب ، بل انسا تكاد تختنق بجوها الفلسفى ان هذه الاعترافات يجب الادلاء بها ، ولكن الصديق يوجب علينا أنه يجب الادلاء بها عن الأدب الهندى فى لغات غير الانجليزية .

ان طاغور ، وبريم تشساند ، وراجارو ، و ر . ك . نارايان لديهم حاسة الشكل ولكن عديدا من الآخرين لا يبدو أنهم يمتلكون مقومات البناء المعمارى الأدبى التى يجب أن تتوفر للكتاب الجادين فى الغرب وفى اليابان . وهناك نقص مسائل فى الأدب النقدي والأدب الوصفى والدراما الهندية أيضا كما وصفها فورستر من عشرين سنة مضت لا زالت ضعيفة ومحلية وليست عضوية وحية .



وخلص القول انه من الأمان أن نقول ان الأعمال الأدبية الهندية العظيمة ذات الطول الكافى - عدا الأعمال الكلاسية والكتب المقدسة لم تكتب بعد .

ولكن ما خسرته الهندى فى الرواية قد كسبه فى القصة القصيرة حيث عالج بنجاح الانحماح بين تبادل المواقف والشخصية ( أنظر كالوبانجى بقسام كريشان تشاندر ) . ولا أرى سببا فى عدم استطاعة الكاتب الهندى - لو أعطى الوقت - أن يصل الى نفس النتائج فى معالجة الرواية .

ويجب ألا ننسى أن أمريكا كان عليها أن تنتظر مائة عام تقريبا بعد استقلالها للوصول ملفيل ومارك توين .

يفيضى الأدب الهندى هذه الايام بالحيوية والأمل فى مستقبل سعيد ولقد روت حقل الادب الهندى مياه أنهار كثيرة ، منها الهندية ومنها الأجنبية . وهى تستمد مادتها وقوتها من الأعمال الأدبية مثل « الفيداس » و « البيروانا » و « الملاحم » بانشان تانثرا وقصص « جاكاتا » بانابهاراتا ومن سانكرا اشاريا وكبير وناناك وتولسيدلس ومن كامبان وأمير كوسروا ومن بهاراتى وبانكيم تشاندر تشاترجى ومن طاغور وسارات تشاندر و قد تلقت تركة غنية من الادب الغربى عامة والأدب الانجليزى خاصة ومهما كان مصير اللغة الانجليزية فى الهند فستبقى هذه التركة مصدر ثراء للادب الهندى الحديث .

ان حيرة الكاتب الهندى ستستمر فى ازعاجه ولقد كتب ب . راجان عام ١٩٦٥ « ان السؤال المطلوب الرد عليه هو هل ستمكن التقاليد الهندية بقدرتها على الاستيعاب وقوتها الفريدة على التركيب والبناء أن تتعايش مع الجديد ( والجديد لا مفر منه ) ؟ بدون أن تسرى عوامل التآكل فى خصائصها الأساسية ؟

ولتكوين صورة لهذا التحدى قد يكون هناك دور لرجل ذى حساسية مختلطة ، يجد نفسه محاصرا بين النيران من كلا الجانبين ، ويكون عقله عالما مصغرا لما يريد أن يوصله الى الناس .

ان هذا التحدى نبيل . والزمن وحده هو الذى يستطيع أن ينبأنا عن مدى قدرة الأدب الهندى على مواجهته بالكامل . ولكن المحرر يؤمن بأن هذا الكتاب يقدم دليلا قويا على أنه قادر على ذلك .



## رابيندرانات طاغور

ولد في ٥ مايو ١٨٦١ وتوفي في ٧ أغسطس ١٩٤١ أهديت  
اليه جائزة نوبل للأدب سنة ١٩١٣ . وطاغور هو أشهر شخصية  
في الأدب والحياة الثقافية في الهند الحديثة . كان شاعرا ووطنيا  
وروائيا وكاتب مسرحيات وكاتب قصص قصيرة ومؤلفا موسيقيا  
وفيلسوبا ومعلما ورساما ولعب دورا رئيسيا في نهضة الأدب  
والثقافة الهندية .

ولقد ولد وترعرع في أسرة فنانة ميسورة الحال . وكان أبوه  
وجده من رجال العلم وقادة الفكر البارزين في البنغال وكان اخوته  
وأخواته جميعا ذوى موهبة وذكاء . وكان طاغور كاتباً وافر الانتاج  
فقد كتب قصيدته الأولى قبل بلوغه العقد الثاني من عمره وكتب  
روايته الأولى قبل بلوغه التاسعة عشرة . ولا زال أشهر عمل أدبي  
له هو مجلد الشعر المسمى « جيتان جالى » .

ولقد قال « بيتس » عن هذا الكتاب « لقد حملت مخطوطات  
هذه الترجمة معى لأيام عديدة وكنت أقرأها في قطارات السكة  
الحديدية وعلى أسطح الأتوبيسات وفى المطاعم وكثيرا ما كنت أطويها  
حتى لا يرى أى غريب مدى تأثرى بها .

وقصة « كابولى والله » ، والأحجار الجائعة كتبتها باللغة  
البنغالية عام ١٩٨٠ .



## كابولى والله

### كابولى والله

لا تستطيع ابنتى الصغيرة البالغة من العمر سنوات خمس أن تعيش بدون  
ثروة . وانى لعل يقين أنها لم تضع دقيقة واحدة من حياتها فى الصمت . وكانت  
والدتها كثيرا ما تغضب لهذا وتوقف ثروتها ولكنى لم أكن أفعل ذلك . وكان  
شيئا غير طبيعى أن أرى ميني صامتة ولم أكن أتحمّل صمتها طويلا ولهذا كان  
حديثى معها دائما نابضا بالحياة .

وذات صباح - على سبيل المثال - كنت غارقا فى منتصف الفصل السابع  
عشر لقصتى الجديدة عندما تسلفت ميني الصغيرة الى الغرفة وقالت وهى تضع  
يدها فى يدي :

- أبى . ان « رام دايال » يسمى الغراب (Crow) (Krow) غرايا (\*)  
انه لا يفقه شيئا . . . أليس كذلك ؟

وقبل أن أتمكن من أن أشرح لها اختلاف اللغات فى هذا العالم نقلت كل  
اهتمامها الى موضوع آخر . . . فقالت :

- ما رأيك يا أبى . . . ان باهولا يقول ان هناك فيلا فى السحاب يقذف  
الماء من خرطومه ولهذا تمطر السماء .

وفجأة مرقت بسرعة الى موضوع آخر بينما كنت أعد اجابة لهذا السؤال  
الأخير وقالت :

تقول ميني ان البواب يسمى Crow ( الغراب ) Krow  
لها فى الانجليزية - وربما كانت تقصد أنه كان يخطئ فى نطقها -  
ينطقها « كراو »

شيئا  
جيش  
كان  
الرجل  
قد  
نودى  
عليه

والله  
تسعة  
السيوف  
الحدود  
بضعة  
لا  
وجبة  
كرو  
المراجع  
السيوف  
الحدود  
بضعة  
لا  
وجبة  
كرو  
المراجع

buli Wallah  
نور  
عليه

— أبى ٠٠ ما قرابة أمى اليك ؟

فهذهم لفسى بطريقتة لا شعورية « انها أخت زوجتى » ٠٠ ولكننى بنصير  
شجاد على وجهى استطلعت أن أقول لها :

— ميني اذهبي والعبي مع « باهولا » فانى مشغول .

كانت نافذة غرفنى تطل على الطريق وكانت الطفلة قد جلست عند أقدامى  
بالقرب من المنضدة تلعب فى هدوء وهى تنقر على ركبتها ٠ وكنت منهمكا فى  
كتابة الفصل السابع عشر حيث كان « بروتاب سنج ٠٠ البطل » قد احتوى  
كانشأتلاتا « البطلة » لتوه بين ذراعيه وكان على وشك الهروب معها من نافذة  
فى الطابق الثالث من القلعة حينما تركت ميني لعبها فجأة وهرعت الى النافذة  
وهى بصيح « كابولى والله ٠٠ كابولى والله ! » (\*) .

وفعلا كان كابولى والله يسير فى الطريق وهو يسعى ببطء مرتديا ملابس  
طائفته الواسعة الفضفاضة المتربة ذات العمامة الطويلة ويحمل جوالا على ظهره .  
وبعض صناديق العنب فى يده .

ولا استطيع التكهن بمشاعر ابنتى عند رؤيتها لهذا الرجل ولكنها بدأت  
تناديه بصوت عال وقلت لنفسى :

« هه ٠٠ انه سيدخل الدار ولن ينتهى الفصل السابع عشر » ٠٠

وفى هذه اللحظة بالذات استدار الرجل ورفع نظره للطفلة وحينما وقع  
رأسه على ركبتيه سقطت من يده ٠ كان لديها ايمان  
راسخ أن ذلك الجوال الذى يحمله الرجل يحوى طفا ، أو ثلاثة آخرين مثلها .

وفى هذه الأثناء اجناز البائع المتجول عتبة الباب وحيانى بوجه باسم وكان  
موقف بطلى وبطلتى حرجا لدرجة أن أول ما خطر الى هو أن أتوقف وأبتاع  
شيئا حيث كان الرجل قد نودى عليه فعلا .

واشكريت بضعة أشياء وابتدأ حديث حول عبد الرحمن والروس والانجليز  
اسمة الحدود .

وأوسك على الألفراف ساءل :

الفتاة الضعيرة يا سيدى ؟

Cabuli Wallah.

اسم عالم . دى ويطلق على طائفه رجال من  
الذين كانعين جوالين وهم سادات الأجسام حسود الطماع والمظهر  
تلب عليهم صفه الغور .

ولما كان قد نراى لى أن مينى يجب أن تتخلص من خوفها الزائى فتد أرسلت  
فى استدعائها . .

ووقفت بجوار مقعدى ونظرت الى الرجل وجواله .

وقدم لها بعضا من جوز الهند والعنب ولكن ذلك لم يغرها وازداد اقتربها  
منى وقد زادت شكوكها .

وكان هذا لقاءهما الأول . .

وذات صباح بعد أيام معدودة بينما كنت أغادر المنزل أذهلنى أن أبجد  
مينى تجلس على مقعد خشبى قرب الباب وهى تضحك . . وتحدث مع كابولى  
والله الضخم وهو رابض تحت قدميها . وبدأ لى أن مينى لم تجد مستمعا صبورا  
طوال حباتها كهذا الا أباه . . وكان جانب من السارى الذى ترتديه قد امتلأ  
باللوز والزبيب وهدايا ضيفها وسألته :

— لماذا أعطيتها هذا ؟ مقدما اليه قطعة نقود فئة ثمانى أنات ، وقبل الرجل  
النقود بدون أى اعتراض ودسها فى جيبه .

وللأسف فأنى حين عدت بعد ساعة وجدت أن قطعة النقود السيئة الحظ،  
قد سببت ضعف قيمتها من المتاعب حيث ان كابولى والله كان قد أعطاها لمينى  
وما كاد بصر والدتها يقع على تلك القطعة اللامعة المستديرة حتى انقضت عليها  
سائلة إياها :

— من أين لك هذه الثمان أنات ؟

وأجابت مينى بمرح :

— لقد أعطانيها كابولى والله .

وأجابت والدتها وهى مأخوذة :

— أعطاك إياها كابولى والله !! أوه مينى كيف يمكنك أن تأخذيهما منه ؟

وبدخولى فى هذه اللحظة أنقذت مينى من كارثة كانت ستحدث بها ، وبدأت  
فى عمل تحريراتى الخاصة ووجدت أن هذه المقابلة لم تكن الأولى أو الثانية فان  
كابولى والله كان قد تغلب على فزع الطفلة الأول برشوة مناسبة من جوز الهند  
واللوز وأن الاثنين أصبحا صديقين حميمين .

كان لديهما الكثير من الدعايات الطريفة التى جلبت لهما الكثير من التسليمية  
والمتعة . وكانت تجلس أمامه وتنظر الى هيكله الضخم بكل وقارهما الصغير وتند  
ترقرق وجهها بالضحك وتبادره قائلة :

— أوه كابولى والله كابولى والله، ماذا لديك فى جوالك ؟

وكان يجيب فى لهجة الجبليين الخنفاء « فيل » وربما لا يكون فى هذه الكلمة مدعاة كبرى للسرور ولكن لم يكن هناك حد لمنعها بهذه الطراشة ومن ناحيتى فان حديث ابنتى مع رجل كبير السن كان به دائما سىء غريب من الفتنة والسهر .

وحتى لا يعتبر الرجل نفسه مدحورا أو متخلفا فى هذه المباراة فانه كان يأخذ دوره ويسال « حسنا أينها الصغيرة ، وأنت متى ستذهبين لمنزل حماك ؟ »

وكانت معظم عذارى البنغال الصغيرات قد سمعن منذ مدة طويلة عن منزل الحىم .

ولكن لما كنا نميل بعض الشيء الى اتباع المنهج الحديث فى التربية فاننا لم نكن قد أطلعنا ميني بعد على مثل هذه الأشياء ولا بد أنها كانت تستشعر بعض الحيرة عند اللقاء هذا السؤال عليها ولكنها لم تكن تظهر هذه الحيرة ولباقة حاضرة كانت تجيب :

— وأنت هل ستذهب هناك ؟

وبين الرجال من طبقة كابولى والله على كل حال فان من المعلوم جيدا أن عبارة « منزل الحىم » لها معنى مزدوج فهى تعبير ملطف عن السجن ذلك المكان الذى تلقى فيه العناية الكاملة بدون أى تكاليف من ناحيتنا وكان ذلك البائع المتجول القوى يأخذ معنى سؤال ابنتى بهذا المضمون وكان حينئذ يهدد بقبضته رجل شرطة غير منظور قائلا « اننى سأدق عنق حىمى » .

وبسماعها هذا وتصورها لذلك القريب المدحور فان ميني كان يستخفها الطرب وتقهره عاليا ويشاركها رفيقها الرائع فى طربها .

وكانت هذه الأحداث تجرى فى وقت الصباح من أيام الخريف . . . نفس الوقت من السنة الذى كان يخرج فيه الملوك القدامى لغزواتهم — وكنت أنا — ولو أننى لم أغادر ركنى الصغير فى كلكتا أبدا — أطلق العنان لخيالى للطواف حول العالم وعند ذكر أى دولة أخرى كان قلبى يطير اليها ، وعند رؤية أجنبى فى الطريق ، كنت سرعان ما أنسى شبكة من الأحلام أصور فيها جبال وسهول وغابات وطنه البعيدة وكوخه الذى بين ربوعها — والحياة الحرة المستقلة فى البرارى البعيدة .

ولعل مشاهد الترحال تفتن لى وتستعيد مروها فى مخيلتى بشكل أقوى لأننى أحيا حياة نباتية ساكنة ، حتى يقع على أى نداء ، للرحيل وقوع الصاعقة . .



وكان وجود هذا الكابولى والله. يجعلنى فى الحال أجد نفسى عند سفح  
قمم الجبال الجذباء ومضايقتها التى تنشئ يميناً ويساراً خلال ارتفاعاتها الشاهقة  
وأستطيع أن أرى خيط الجمال المتصل وهى تحمل البضائع يصحبها مجموعة من  
التجار المعممين وهم يحملون بعض أسلحتهم النارية الغربية وبعضاً من حراهم  
فى رحلتهم هبوطاً الى الوديان وأستطيع أن أرى ٠٠٠ ولكن عند هذه النقطة  
فان والده ميني كانت تتدخل وهى تضرع الى : « خذ حذرک من هذا الرجل » .

ولسوء الحظ فان والده ميني كانت سيده مخلوعة القلب الى حد كبير ،  
فكلما سمعت ضوضاء فى الطريق أو رأت أناساً قادمين فانها كانت تقفز الى  
الاعتقاد أنهم اما لصوص أو مخمورون أو ثعابين أو نمور أو ملاريا أو صراصير  
أو محاريث أو بحار انجليزى . وحتى بعد كل هذه السنين من التجربة والتجارب  
فانها كانت لا تستطيع التغلب على فزعها ولذا كانت تملؤها الشكوك من ناحية  
كابولى والله وكانت تكرر رجاءها أن أكون على حذر منه ولا أدعه يغيب عن  
نظري .

وحاولت ابعاد مخاوفها برقة ولكنها كانت حينئذ تتحول الى بجدية  
وتسألنى أسئلة رزينة وخطيرة :

« ألم يخطفوا أطفالاً من قبل ؟ » ٠٠

« أليس اذن حقيقة أنه كان هناك رقيق فى كابول ؟ » ٠٠

« وهل من المستحيل أن يستطيع رجل ضخيم كهذا حمل طفلة ضئيلة .  
كهذه ؟ » ٠٠

وكنتم أجادلها شارحاً أنه وان لم يكن ذلك مستحيلاً الا أنه بعيد  
الاحتمال جداً .

ولكن هذا لم يكن كافياً فان مخاوفها لم تغادرها ولكن بما أن هذه المخاوف  
لم تكن واضحة المعالم فانه لم يبد لي من الصواب أن نمنع الرجل من دخول  
المنزل وعلى هذا فقد استمرت الصداقة الحميمة دون قيود .

وكان من عادة « راحمون » فهذا كان اسم كابولى والله « أن يعود لوطنه  
مرة فى السنة وذلك فى أواسط شهر يناير وكلما اقترب الموعد زادت  
مشغوليته بالانتقال من منزل الى آخر ليجمع ديونه . وهذه السنة كان يجده دائماً  
الوقت ليرى ميني .

وكان يخيل لى غريب أن هناك نوعاً من التآمر بين الاثنين فانه ان لم  
يستطع الحضور فى الصباح فانه كان يظهر فى المساء .

وحتى بالنسبة لى أنا فان الموضوع بدا محيرا فى بعض الأحيان حين كنت أفاجئ على حين غفلة ، فى ركن غرفة مظلمة ، ذلك الرجل الطويل ، مرتديا ثيابه الفضفاضة ، ومعه الكثير من الأكياس حيث تدخل ميني وهى تبتسم وتصيح « أوه كابولى والله أوه كابولى والله » ويتقابل الصديقان مع الفارق الضخم بينهما فى السن ليعودا فى هدوء الى ضحكهما القديم ومزاحهما فاننى كنت أطمئن بالا .

وذات صباح قبل أن يعقد العزم على الرحيل بأيام قليلة كنت أقوم بتصحيح إحدى المسودات فى مكتبى وكان الجو باردا ومن خلال النافذة كانت أشعة الشمس تلامس أقدامى وكان ذلك الدفء الضئيل محببا جدا الى وكانت الساعة حوالى الثامنة صباحا والمشاة المبكرون يعودون لمنازلهم وقد غطيت رؤوسهم وفجأة سمعت ضجيجا فى الطريق ونظرت للخارج ورأيت راحمون وهو مغلول اليدين ويقوده رجالان من الشرطة وخلفهم بعض الصبية الفضوليين .

وكانت هناك بعض بقع الدم على ملابس كابولى والله وكان أحد رجال الشرطة يحمل مديّة فى يده وأسرعت خارجا وأوقفتهم وتساءلت عما حدث وأمكننى أن أستخلص من حديث الرجلين أن أحد الجيران كان مدينا لذلك البائع المتجول بمبلغ من المال نظير شال من رامبورى ولكنه أنكر زورا أنه ابتاعه وفى خلال النقاش اعتدى راحمون عليه .

وكان السجين فى ثورة غضبه ينعت عدوه بأقبح الصفات عندما ظهرت ميني فجأة فى شرفة المنزل بنداؤها المعتاد « أوه كابولى والله أوه كابولى والله » وأضاء وجه راحمون وهو يلتفت اليها ولم يكن يحمل جوالا تحت ابطة هذه المرة ، فانها لم تتمكن من مناقشة موضوع الفيل معه وفى الحال انتقلت الى الموضوع التالى :

« هل أنت ذاهب لمنزل حميك ؟ » .

وضحك راحمون وهو يقول :

« نعم انه عين المكان الذى أقصده » ولما رأى أن تلك الاجابة لم تسر الطفلة رفع يديه المفلولتين صائحا :

« آه .. اننى كنت سادق عنق ذلك النجم العجوز لكن يداى مغلولتان » .

وحكم على راحمون بتهمة سب سجين بتهمة الشروع فى القتل .

ومضى الوقت ولم يمد أحد يده ليشكره . كان قدرنا هو العمل المعتاد فى المكان المعتاد وانتمشل الجميع . اما عن فكرة أن ذلك الجبلى الذى كان حرا فى يوم من الأيام واسبح الآن يقضى سنيه فى السجن ، فهى فكرة لم تخطر ببالنا الا نادرا أو لم نخطر ببالنا على الادلاق ، وحتى عن ابنتى ميني الخالية البال فيخرجنى أن أقول اننا قد نسيت صديقتها القديم وملأ حياتها رفقاء جدد ، ولما كبرت فانها

كانت تقضى أغلب أوقاتها مع الصبايا وشغلت بهن تماما واستغرقن كل وقتها إلى الحد الذى جعلها لم تعد تطرق باب غرفة والدها كما كانت تفعل من قبل ووصل بنا الحال إلى أنه لم يعد يجرى بيننا حديث يذكر .

ومرت الأعوام وجاء الخريف ثانية وكنا نعد العدة لزواج ميني وكان مقررا أن يتم فى عطلات عيد « اليوجا » الدينى حين يعود دورجا إلى كابلاس (١) كان نور منزلنا ستذهب إلى منزل زوجها ونترك منزل والدها فى الظلام .

كان الصباح مشرقا وبعد الأمطار فإن الجو كان قد اغتسل بمائها وكانت أشعة الشمس تبدو كذهب مصفى وكانت هذه الأشعة متألفة إلى حد أنها أضفت بهاء جميلا على طوب الجدران المتسخة فى أزقة كلكتا .

ومنذ فجر اليوم كانت مزامير الزواج ترسل أصواتها . وكان قلبى يرتجف عند كل دقة ايقاع كما كان نحيب النغم يبدو أنه يكشف آلامى نتيجة للفراق الوشيك . . ان ميني كانت ستزوج الليلة .

وكان الضجيج والحركة الصاخبة يشملان المنزل منذ الصباح الباكر وفى ساحة البيت تم نصب « الكوشة » على أعمدة البامبو وكان يجب أن تدلى الشرايات ذات الأصداء الرنانة فى كل غرفة ونسفة ولم تكن هناك نهاية للعجلة والاثارة وكنت جالسا فى غرفة مكتبي أراجع الحسابات عندما دخل شخص رحيانى باحترام ووقف قبالتى . كان راحمون الكابولى والله ولم أتعرف عليه للوهلة الأولى فلم يكن يحمل جواله ولم يكن شعره طويلا ولا كان فى نفس النشاط والقوة التى كانت لديه من قبل ولكنه ابنسم وتعرفت عليه ثانية وسألته :

— « متى حضرت يا راحمون ؟ » . . وأجاب :

— « أفرج عني مساء أمس » . .

وكان وقع الكلمات قاسية على أذنى فأننى لم أكن قد تحدثت من قبل مع انسان جرح أخاه الانسان وانقبض قلبى عندما تذكرت ذلك لأننى شعرت ان ذلك اليوم كان يمكن أن يكون بشيرا أكبر بالخير لولا ظهوره وقلت له :

— « سيجرى هنا احتفال وأنا مشغول . . هل يمكن أن تمر على فى يوم آخر » .

وفى الحال استدار خارجا ولكنه تردد قبل بلوغه الباب وقال :

— « ألا يمكننى أن أرى الصغيرة يا سيدى لبرهة قصيرة ! » .

---

(١) عيد وطنى هندى دينى .

وكان يعتقد أن ميني قد ظلت كما تركها وتصورها وهي تعدو نحوه هاتفة  
« أوه كابولى والله أوه كابولى والله ! » .

وتصور انهما يمكنهما أن يضحكا ويتحادثا كسابق العهد .

وفي الحقيقة فانه تذكرارا للأيام الخوالي قد أحضر معه بعضا من اللوز  
والزبيب والعنب وهي مغلفة بعناية بقطعة من الورق ويبدو أنه حصل عليها  
بطريقة ما من أحد مواطنيه حيث ان رأس ماله كان قد تبدد ونضب . وقلت  
له ثانية :

ـ « هناك احتفال فى المنزل ولن تتمكن من رؤية أحد اليوم » .

واكتأب وجه الرجل ونظر الى فى حزن لبرهة وخرج قائلا :

ـ « انعمت صباحا » وشعرت بالأسى قليلا وكنت على وشك أن أنادى عليه  
بالعودة ولكنى وجدته يعود أدراجه من تلقاء نفسه وتقدم الى ماديده بهداياه  
وقال :

ـ « لقد أحضرت هذه الأشياء البسيطة ـ يا سيدى ـ للصغيرة .. هل  
يمكنك أن تعطيتها لها ؟ » .

وأخذت الأشياء منه وكنت على وشك أن أدفع له ولكنه أمسك بيدي قائلا :

ـ « انك عطوف جدا يا سيدى .. ابقنى فى ذاكرتك .. لا تقدم لى  
نقودا » .

ـ « ان لديك فتاة صغيرة وأنا كذلك لى متلها فى وطنى واننى أتذكرها  
وأحضر بعض الفاكهة لابنتك لا لأربح شيئا لنفسى » .

وبقوله هذا فانه دس يده فى ردايه الواسع وأخرج قطعة صغيرة قدرة من  
الورق وبغاية كبيرة فرد تلك الورقة وبسطها على المنضدة أمامى وكان عليها  
بصمات يد صغيرة .. لبست صورة فوتغرافية أو رسما بل بصمات يد صغيرة  
ملطخة بالحبر ومطبوعة على الورق .. وكانت هذه اللمسة البسيطة من يد ابنته  
دائما بالقرب من قلبه كلما حضر سنة بعد أخرى الى كلكتا لبيع بضاعته فى  
الطرق .

وترقرقت عيناي بالدموع ، ونسيت انه بائع فاكهة متجول فقير بينما كنت  
أنا .. ولكن بماذا كنت أزيد عنه ؟ لقد كان كذلك والدا .. وذكرنى  
طابع يد صغيرته « باراباتى » فى موطنها البعيد بميني الصغيرة وأرسلت فى  
طلب ميني فى الحال من غرفتها الداخلية وأثيرت مصاعب عديدة ولكنى لم أستمع

ودخلت ميني وهي ترتدى ثوب عرسها الحريري الأحمر وقد زينت وجهها بوشمة الصندل وتزينت كعروس صغيرة ووقفت خجلى أمامي .

وبدا على كابولى والله قليل من الدهول لدى رؤيته لها ولم يستطع أن يحيى صداقتهما القديمة وأخيرا ابتسم وقال :

— « أيتها الصغيرة هل ستذهبين لمنزل حميك ؟ » .

ولكن ميني كانت قد فهمت الآن معنى كلمة « منزل حميك » ولم تستطع إجابته كسابق عهدها واحمرت وجنتاها عند سماعها هذا السؤال ووقفت أمامه وقد أطرقت بوجهها المزين للعرس .

وتذكرت اليوم الذى تقابل فيه كابولى والله مع ميني لأول مرة وشعرت بالحزن . ولما رحلت فان راحمون زفر زفرة طويلة وجلس على الأرض وفجأة تذكر أن ابنته لابد وأن تكون قد كبرت خلال تلك الفترة الطويلة وأنه يجب عليه أن يستعيد صداقتها من جديد وقطعا لن يجدها كما كان يعرفها وبالإضافة الى ذلك ماذا يمكن يا ترى أن يكون قد حدث لها فى هذه السنين الثمانية . وارتفعت أصوات أبواق الزواج وانسابت شمس الخريف حولنا . ولكن راحمون جلس فى أحد طرقات كلكتا ورأى أمامه جبال أفغانستان الشاهقة .

وأخرجت ورقة مالية ناولته اياها قائلا :

— « عد الى ابنتك يا راحمون فى وطنك ولعل سعادة لقائكما تجلب الحظ لابنتى » .

وبتقديم هذه الهدية كان على أن أختصر بعض متطلبات الحفل ، فلم أتمكن من إقامة الزينات الكهربائية كما كنت أنوى ولا استحضار الموسيقى العسكرية . وجزعت سيدات المنزل لهذا الاجراء ولكن حفل الزواج بالنسبة لى كان أبهى وأجمل وذلك لفكرتى أنه فى بلاد بعيدة قد التأم شمل والد مفقود منذ مدة طويلة مع وحيدته مرة أخرى .



## الأحجار الجائعة

### الأحجار الجائعة

كنت عائداً مع قريبي من كلكتا من رحلتنا الى بوجا عندما قابلنا الرجل في القطار . ومن لباسه وهيئته خيل الينا أنه مسلم من الجزء الداخلي للبلاد . ولكن الحيرة تملكنا عندما سمعناه يتحدث . وقد تحدث الرجل في جميع المواضيع بثقة تامة ، حتى كدنا نظن أن الاله الذي بيده مقاليد كل الأمور في هذا الكون ، كان يستشيرنا دائماً في كل ما يفعل .

وحتى ذلك الوقت كنا في منتهى السعادة ، حيث لم نكن نعلم بذلك السر ولم نعلم أن هناك قوات لم نسمع عنها منهمكة في عمل ما . وأن الروس قد تقدموا وأصبحوا قريبين منا ، وأن للانجليز سياسات خفية عميقة ، وأن الفوضى بين الزعماء الوطنيين قد بلغت أوجها .

ولكن صديقنا الجديد قال بابتسامة مكررة :

— « يحدث في السماوات والأرض يا صديقي هوراشيو أشياء أكثر مما تنشره صحفكم » (١) .

ولما كنا لم نغادر موطننا من قبل فإن سلوك ذلك الرجل قد ألجم ألسنتنا بالدهشة .

ومهما كان موضوع الحديث تافهاً فإنه كان يستشهد بالعلم أو يعلق على الكتابات السرية الهندية المقدسة « الفيداس » أو يعيد رباعيات من شعر فارسي قديم .

المراجع

هذه الجملة اقتباس بتصرف من مسرحية هاملت لشكسبير

ولما كنا لا ندعى علما بالعلوم أو بالكتابات السرية المقدسة أو باللغة الفارسية فان اعجابنا به أخذ يزداد ولما كان قريبي صوفيا لاهونيا «ثيوسوفست» فانه اقتنع بنا بما بأن صاحبنا له قوى خارقة وملهم بنوع غريب من المغناطيسية أو لقوى السحر والتنجيم الخفية ، أو بجرم سماوى ، أو ما شابه ذلك . واخذ يصغى بختشوع ونشوة الى آتفه الأقوال التي كانت تنساقط من بين شفتى صديقنا العجيب . واخذ يدون بعض ما يقول خفية ويخيل الى أن ذلك الرجل العجيب قد لاحظ ذلك وأنه سعد به . ولما وصلنا الى المحطة التي يجب أن نغير فيها القطار تجمعنا في غرفة الاستراحة انتظارا للقطار القادم .

وكانت الساعة حينئذ حوالى العاشرة مساء ولما كان القطار على ما بلغ أسماعنا سيتأخر كثيرا نتيجة لعطل فى الخطوط فأننى بسطت فراشى على المائة وكنت على وسك الاستلقاء لأنال قسطا من الراحة عندما بدأ ذلك الرجل العجيب متعمدا تلفيق القصة التالية .

وبالطبع لم أستطع النوم فى تلك الليلة :

« عندما حدث خلاف حول بعض المسائل الادارية فقد تركت وظيفتى فى « جوناغار » والتحققت بالخدمة عند « نظام حيدر آباد » وعينت على الفور لقوتى وشبابى كجامع لضرائب القطن فى « باريش » .

و « باريش » مكان جميل « وينساب نهر سوستا مثرثا فوق الأحجار ويسمع خريره على الحصى » وهو يجرى ويتهادى برشاقة كراقصة ماهرة وسط الغابات تحت سفح التلال الموحشة .

ويصعد درج من مائة وخمسين درجة من النهر وهناك عند حافة النهر وفى آخر الدرج عند سفح التلال يوجد قصر رخامى منعزل ولا يوجد حوله أى مساكن للبشر فان القرية وحلقة بيع القطن تبعدان عنه كثيرا .

ومنذ حوالى مائتين وخمسين سنة بنى الامبراطور « محمود شاه الثانى » هذا القصر المنعزل لمتعته وتروقه . وفى أيامه كان ماء الورد يتفجر من نافوراته وعلى أرضيات عرّفه الرخامية المبردة برذاذ الماء كانت تجلس فتيات ايرانيات صغيرات وشعورهن غير مرتبة قبل الاستحمام وهن يداعبن الماء الصافى فى خزانات المياه بأقدامهن العارية الناعمة وينشدن على أنغام الجيتار قصائد الغزل الغنائية الفارسية (١) .

(١) الغزل فى الفارسية هو شعر غنائى يراوح حدد الأبيات فى مصادمه من ٦ الى ٢٦



ولم تعد النافورات الآن تخرج الماء • وتوقفت الأغاني • ولم تعد تلك الأقدام الثلجية البيضاء تخطو برشاقة على الرخام الثلجي •

ولم يعد القصر الا مكانا رحبا ومنعزلا لايواء جامعى ضرائب السلع مثلنا - رجال ترهقهم الوحدة ويحرمون من صحبة النساء •

وكان كريم خان - كاتب حسابات مكتبي الكهل - قد حذرني مرارا من الإقامة هناك وكان يقول « امض النهار هناك اذا شئت ولكن لا تقض لياليك هناك اطلاقا » وكنت أستمع اليه باستخفاف • وقال الخدم انهم سيعملون حتى حلول الظلام ولكنهم سيتركون المكان قبل حلول الليل ، وقد وافقتهم على ذلك فوراً •

وكان للمنزل سمعة سيئة بلغت الى درجة أن اللصوص كانوا لا يجروّن على الاقتراب منه بعد حلول الظلام •

وفى بداية الأمر كانت وحشة القصر المهجور تبرك على صدرى كالكابوس ، وكنت أبقي بالخارج وأعمل بكل جهدى لأطول فترة ممكنة ثم أعود فى الليل منهكا متعبا لأوى الى فراشى وأستغرق فى النوم •

وقبل أن يمضى أسبوع بدأ القصر يلفنى فى نوع خفى غريب مهيف من السحر •

ان من الصعب أن أصف ما كنت أحس به للناس ، أو أقنع أحدا بتصديقه كأنما أصبح البيت كله كائنا عضويا حيا يقوم بهضمى بطريقة غير محسوسة ، مستخدما فى ذلك عصارة معدية مخدرة •

ولعل هذه العملية كانت قد بدأت بمجرد وضع قدمى على أرضية المنزل ولكننى أذكر تماما ذلك اليوم الذى شعرت بها لأول مرة •

كان ذلك فى بداية الصيف وكانت السوق خاملة ولم يكن لدى ما أعمله ، وقبل غروب الشمس بقليل كنت جالسا على مقعد مريح قرب حافة الماء عند أسفل الدرج ، وكان نهر سوستا قد انخفض مستواه وعلى الجانب الآخر كانت توجد بقعة عريضة من الرمال توهجت بوهج الغروب وعلى هذا الجانب كان الحصى يلمع فى القاع الضحل • ولم تكن هناك أى نسمة من الهواء • وكان الهواء الساكن محملا برائحة مقبضة للقلب من شجيرات التوابل التى تنمو على التلال القريبة وعندما اختفت الشمس خلف قمم التلال أسدل ستار الظلام الطويل على مشهد النهار واختصرت التلال المتدخلة وقت اختلاط الضوء بالظلام الذى يحدث عند غروب الشمس •

وفكرت فى القيام بجولة بالعربة وبينما أنا على وشك القيام بهذه الجولة

إذا بى أسمع وقع أقدام على الدرج الخلفى واسندت ولكن لم يكن هناك أحد .  
وحيثما جلست ثانية ظانا بأن ذلك كان وهما إذا بى أسمع وقع أقدام كثيرة كما  
لو كان عدد كبير من الناس يندفعون نحو الدرج . وسرت فى جسدى نشوة  
من السعادة مصحوبة بقليل من الخوف على الرغم من أنه لم يظهر أى انسان  
أمام عيني فقد ظننت أننى أرى رهطا من الغيد يهبطن الدرج للاستحمام فى نهر  
سوستا فى تلك الأمسية من الصيف .

ولم يكن هناك صوت فى الوادى أو فى النهر أو فى القصر ليكسر هذا  
الصمت . ولكننى سمعت بوضوح ضحكات العذارى البهجة الطروب كخبر  
ينبوع يتدفق خلال مئات من مساقط المياه وهن يمرقن من حولى متجهات للنهر  
فى تتابع سريع مرح وراء بعضهن البعض ، دون أن يلحظننى على الإطلاق .

ولما كنت لا أراهن ، فيمكننا القول انهن كن أيضا لا يريننى .

وكان النهر هادئا للغاية ولكننى شعرت أن مياهه الضحلة الهادئة قد  
تحركت فجأة بارتظام أذرع كثيرة محاطة بالأساور ذات الرنين وأن الفتيات كن  
يضحكن ويتدافعن ويقذفن بعضهن البعض بالماء وأن أقدامهن الجميلة قد أحالت  
الأمواج الضئيلة الى رشاشات من اللؤلؤ .

وشعرت برعشة فى قلبى ولم أستطع أن أحدد هل كانت الاثارة بسبب  
الخوف أو الفرح أو حب الاستطلاع .

وكانت لدى رغبة قوية أن أراهن بوضوح أكثر ولكن شيئا لم يظهر أمام  
بصرى ، وظننت اننى أستطيع أن أسمع كل ما يقلن لو أننى أصغيت السمع  
جيذا مجهدا أذنى ولكننى رغم اصاغتى واجهادى لأذنى لم اسمع الا زقزقة بعض  
العصافير فى الغابة وبدا لى أن هناك ستارا من مائتين وخمسين عام معلقا أمامى .  
واكتنفتنى رغبة أن أزيح جانبها من هذا الستار وأنا أرتجف وأنظر من خلاله مع  
أن كل الكون على الجانب الآخر كان يلفه الظلام .

وفجأة هبت لفحة من الهواء حررت الهواء الحبيس الذى يقبض الصدر فى  
ذلك المساء وتموج وتمايل سطح النهر الهادى، كأنه شعر حورية من حوريات  
الماء ومن الغابة الملفوفة برداء الليل صدرت فى نفس اللحظة همهمة للريح كما  
لو أن الغابة والنهر كانا يستيقظان من حلم أسود .

قل انها حقيقة أو حلم فان النظرة الخاطفة لذلك السراب الخفى منعكسا من  
دنيا تبعد مائتين وخمسين عاما عن دنيانا اختفت فى لمح البصر وان تلك الأطياف  
الغامضة التى مرقت من جانبي بخطواتها الفارغة من الجسد وضحكاتنا العالية  
التي لا صوت لها وألقين بأنفسهن فى النهر ولم يرجعن - كما كان منتظرا - وهن

يعصرن ملابسهن المبللة وعن يسرن كالشذى الذى يطير مع الرياح فقد تبددن بهبوب نسمة واحدة من الربيع .

ثم ملأنى خوف مفعم بالحيوية أن تكون « موزيه » (١) الهة الفنون الجميلة قد استغلت وحدتى واستولت على روحى - فمن الواضح أن الساحرة جاءت لتقضى على شيطان مسكين مثل يربح قوته من جمع ضرائب القطن .

وقررت أن أتناول عشاء مشبعاً فمن خلال المعدة الخاوية تجد جميع الأمراض المستعصية فريستها السهلة .

وأرسلت فى طلب طباخى وأصدرت أوامرى بأعداد عشاء فاخر دسم على الطريقة المغولية مليئاً بالبهارات والزبد .

وفى صباح اليوم التالى بدت كل المسألة كأنها خيال جامع ( فانتازيا ) غريب . وبقلب مرح ارتديت قبعة بيضاء ( سولا ) كالأوربيين وقدت عربتى الى مقر عملى وكان المقروض أن أكتب تقرير الربع سنوى ذلك اليوم وأن أعود متأخراً ولكن قبل حلول الظلام وجدت نفسى مشدوداً بشكل غريب نحو منزلى .  
بماذا ؟ لست أدرى !!

وشعرت أن الجميع ينتظروننى وأنه لا يجب على التأخير أكثر من ذلك وتركت تقريرى الغير كامل ونهضت وارتديت قبعتى وجعل الطريق الموحش الظليل من قرقعة عربتى ووصلت الى القصر الهادى الواسع الرابض على السفوح الموحشة للتلال .

وكانت درجات الطابق الاول تؤدى الى ردهة واسعة يمتد سقفها العريض على أقواس مزركشة ترتكز على ثلاثة صفوف من الأعمدة الضخمة التى كانت تئن ليل نهار تحت وطأة ثقل حدنها الزائدة .

وكان النهار قد انتهى لتوه ولم تكن المصابيح قد أضيئت بعد وحينما فتحت الباب خيل الى أن ضوضاء كبيرة تنساب من حولى للدخل كأن جبهة من الأشخاص قد تفرقت فى ارتباك دون نظام واندفعت خلال الأبواب والنوافذ والحجرات والشرفات والردهات لتهرب على عجل .

ولما كنت لم أر أحداً فاننى وقفت حائراً مدهوشاً وقد وقف شمس رأسى فى نشوة من الفرح ، وتلقت بانفى آثار ضئيلة من رائحة العطر والمروج التى كاد أن يعطسها مرور الزمن الطويل .

(١) الموزيه Muse - هى إحدى الآلهات النسخ المستعصات فى الميثولوجيا الإغريقية اللواتى يحمين البناء والسحر والفنون والعلوم .  
المراجع .

وكنت واقفا في ظلام تلك القاعة الفسيحة الموحشة بين صفوف الأعمدة العتيقة وأمكنني الاستماع الى خرير النافورات وهي تنشر الماء على الأرضيات الرخامية والى طنين عجيب من قيثارة والى جلجلة الحلى ورنين الخلاخيل ودق الأجراس وهي تعلن الوقت ونغمة نائية من ناي سحري ورنين دلايات الشريات البللورية تهزها النسمة الرقيقة ، وأغنيات البلابل في أقفاصها في الممرات ونقطة اللقلق في الحداث . كل هذا خلق حولي موسيقى غريبة لا تنتمي الى هذه الأرض ثم وقعت تحت تأثير سحر جعلني أعتقد أن هذه الرؤيا غير الملموسة البعيدة عن واقع الأرض والتي لا يمكن ادراكها عن طريق الحواس تكاد تكون هي الحقيقة الوحيدة في العالم وأن كل ما عداها هو مجرد حلم . وأن قولي - كما يمكن أن أقول - سير جوت كذا ابن كذا وكذا الابن الأكبر لكذا لطبيب الذكر كذا وكذا ، هو فعلا ذلك الرجل الذي يتقاضى مرتبا شهريا قدره أربعمائة وخمسون روبية لأداء واجب وظيفة كجامع لضرائب القطن والذي يذهب لمقر عمله يوميا وهو يقود عربة صغيرة ويرتدى سترة قصيرة وقبعة بيضاء كبيرة . . . . . كوني كل هذا ، بدا لي وهما شديد الغرابة والسخف حتى انني انطلقت في قهقهة عالية وأنا واقف في ظلام تلك القاعة الفسيحة الصامتة .

وفي تلك اللحظة دخل خادمي وهو يحمل مصباح غاز في يده ولا أعرف ان كان قد ظن أن بي مسا من الجنون أو فقدت صوابي ولكنني استعدت ذاكرتي على الفور بأنني حقا سير جوت كذا وكذا ابن كذا وكذا « طيب الله ثراه وأنه ان كان في قدرة شعرائنا وحدهم - كبيرهم وصغيرهم - أن يقولوا ان هناك ، اما في باطن الأرض أو ظاهرها منطقة فيها نافورات تتراقص مياها في حركة دائمة لا تتوقف وقيثارات سحرية تعزف عليها أنامل غير مرئية الكسيفونيات الخالدة ، الا أنه لا شك على الاطلاق في أنني جابى ضرائب القطن في باريس وانني أتقاضى على هذا العمل أربعمائة وخمسين روبية في الشهر كمرتب .

وضحكت في مرح كبير على أوهامي الغريبة وأنا أطلع صحيفتي جالسا الى مائدة المعسكر التي يضيئها مصباح الكيروسين . وبعد أن انتهيت من قراءة الصحيفة ومن عشائي الفاخر الدسم أطفأت المصباح واستلقيت على سريري في غرفة صغيرة جانبية . وخلال النافذة المفتوحة كانت هناك نجمة براقعة فوق تلأل آفالي تحوطها ظلمة الغابات تحديق بتركيز من بعد ملايين وملايين الأميال في السماء الى السيد جابى الضرائب وهو يرقد على فراش معسكر متواضع . وتعجبت وراقنتني تلك الفكرة ولا أعلم متى استغرقت في النوم أو كم نمت ولكنني استيقظت فجأة وأنا أحس برعشة لا ارادية تسرى في جسدي رغم أنني لم أسمع صوتا ولم أر أحدا يقتحم غرفتي ولا لاحظت شيئا سوى أن النجمة الثابتة على قمم الجبال كانت قد غربت وأن ضوء القمر الجديد الخافت كان يتلصص الى داخل الغرفة من خلال النافذة المفتوحة كما لو كان يخجل من تطفله

ولم أر أحدا ولكننى شعرت أن شخصا يدفعنى برفق ولما استيقظت لم ينبس  
ببنت شفة ولكنها أنارت الى بأصابعها الخمسة المحلاة بالخواتم أن أتبعها فى  
حذر .

ونهضت أن أحدث أى صوت وبالرغم من أنه لم يكن هناك كائن حى سوى  
فى الشقق التى لا حصر لها فى هذا القصر المهجور بأصوانه النائية ، واصدائه  
اليقظة ، فأننى خشيت فى كل خطوة أن يستيقظ أحد . وكانت معظم غرف  
القصر مغلقة ولم أدخلها اطلاقا .

وتبعت دليلى الخفى بخطى صامتة وأنا مبهور الأنفاس ولا أعرف حتى الآن  
الى أين . ولا عرفت كم من الممرات المظلمة الضيقة التى لا نهاية لها ولا كم من  
الدهاليز الطويلة وقاعات الاستقبال المهيبة الصامتة والزنايات الخفية المغلقة  
مررت خلالها .

ولو أننى لم أستطع أن أرى دليلتى الحسناء الا أن شكلها لم يكن غير  
منظور أمامى بعين عقلى . فتاة عربية . ذراعاها القويتان الناعمتان ، تظهران من  
خلال كميتها الفضفاضين وقناع خفيف ينساب على وجهها من حافة غطاء رأسها  
وخنجر رفيع مقوس حول وسطها . وخطر لى أن ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة  
العربية قد وفدت على آتية من عالم الرومانسية وأننى فى سكون الليل البهيم  
أأخذ طريقى المتعرج خلال الأزقة الضيقة فى بغداد الهاجعة الى مكان لقاء محفوف  
بالمخاطر .

وأخيرا وقفت دليلتى فجأة أمام ستارة عميقة الزرقة وخيل الى أنها تشير  
الى شئ على الأرض ولكن لم يكن هناك شئ . ولكن رعبا مفاجئا جمد الدم فى  
عروقى وخيل الى أننى أرى على الأرض هناك فى أسفل الستارة زنجيا خصيا  
أسود اللون يرتدى حلة من الحرير المطرز الثمين وقد غلبه النعاس وقدماه  
ممدودتان وفى حجره سيف جرد من غمده وتخطت دليلتى الحسناء رجله بحركة  
رشيقة ورفعت جانبها من الستارة وأمكننى أن أختلس نظرة الى الغرفة المفروشة  
بسجادة فارسية وكان هناك شخص يجلس على سرير بالداخل . ولم يمكننى  
أن أراها ولكننى لمحت فقط قدمين فانتنيتين فى خف مطرز بالذهب تتدليان من  
سروال فضفاض زعفرانى اللون وترتكزان على البساط البرتقالى المخملى . وعلى  
جانب كانت هناك آنية بللورية زرقاء بها بعض التفاح والكشرى والبرتقال  
وعناقيد كبيرة من العنب وقدحان صغيران وقنينة مذهبة كان ظاهرا أنها تنتظر  
الضيف .

وكاد يتغلب على حواسى ، دخان شذى يثير النشوة ناتج عن احراق نوع  
غريب من أعواد البخور داخل الغرفة . وعندما حاولت - بقلب مرتجف - أن

أَتخطي بقدمي ذلك الخصى الممتد فانه هب واقفا فجأة وسقط السيف من حجره  
برنين حاد على الأرض الرخامية .

وسمعت صرخة مهولة جعلتني أقفز ثم رأيت نفسي جالسا على سرير المعسكر  
الذي أنام عليه وأنا أتصعب عرقا . وبدا الهلال شاحبا في ضوء الصباح كسريض  
متعب بقي مسهدا حتى الفجر .

وكان المعتوه « ميهرخان » يصرخ كعادته كل يوم « ارجعوا للخلف - ارجعوا  
للخلف » وهو منطلق في الطريق الموحش . وهكذا كانت النهاية المبتورة لليلة  
من الليالي العربية ولكن بقيت ألف ليلة أخرى .

وتبع ذلك نفور شديد بين أيامي وليالي ففي أثناء النهار أذهب لعملي وأنا  
متعب مجهود وأنا ألعن الليل الساحر وأحلامه الخاوية . ولكن عندما يحل المساء  
فإن حياتي اليومية بأصفادها وأغلالها في العمل تبدو غرورا مضحكا زائفا حقيقيا .

وبعد حلول الظلام فأنني أقع فريسة مغلوقة على أمرها في شراك نشوة  
غريبة وعندئذ أنتحول الى شخص آخر مجهول من زمن غابر أودى دورى في  
تاريخ غير مسجل وبسودو سترنى الانجليزية القصيرة وسروالى الضيق غير  
ملائمين بالمرّة .

وبغطاء رأس هرمزي أحمر وسروال واسع وصديريّة مطرزة ورداء حريرى  
طويل ومناديل ملونة معطرة فأننى أكمل زينتى المتقنة وأجلس على مقعد عال  
ذى وسائد وأستبدل سيّجارتى بنرجيلة ذات لفات كثيرة مملوءة بماء الورد كأننى  
أنتظر على أحر من الجمر لقاء غريبا مع محبوبتى .

وليس لدى من القدرة ما أستطيع به وصف الحوادث الرائعة التى تكشف  
عن نفسها كلما أوغل الليل .

وكنّت أسعر بأنه فى تلك الوحدات السكنية العجيبة فى ذلك الصرح  
الواسع كانت تتطايّر شذرات قصة جميلة - كان بوسعى تتبعها عن كثب ولكن  
لم يكن فى استطاعتى قط أن أرى نهايتها - فى هبوب مفاجئ لنسمة من نسيمات  
الربيع . ومهما كان الأمر فقد كنت اهيم طوال الليل من غرفة الى أخرى متتبعا  
تلك الشذرات .

وفى وسط دوامة شذرات الأحلام هذه ، وسط رائحة الحنة ورنين القيثارة  
وبين تموجات النسيم المعطر بالشذى فأننى ألح كخطف البرق . . . . . عادة  
حسنا .

وكانت على نفس الفتاة التى ترتدى السروال الزعفرانى اللون وذات القدمين  
الورديتين ذاتا الخف المطرز بالذهب وباصابعها المقوسة وصديريّة ضيقة موشاة

بالذهب وغطاء رأس أحمر يتدلى منه أهداب على جبينها الناصع ووجنتيها الورديتين وكانت قد ملكت لبي وبعتها عنها فاننى كنت أهييم من غرفة لأخرى ومن طريق الى طريق بين متاهة من الممرات فى أرض الاحلام المسحورة فى العالم السفلى الذى يحكمه سلطان النوم .

وأحيانا عندما كنت أفوم بارتداء كسونى بعناية كامير ملكى امام مرآة كبيرة على جانب منها سمعة مضيئة ، كنت ألمح فجأة انعكاس صورة تلك الفارسية الجميلة بجانب صورتى فى المرآة وبلقنة عاجلة من عنقها ونظرة خاطفة مليئة بالرغبة والشوق والالم الذى يبدو فى عينيها السوداوين الواسعتين ، وبمجرد شبهة من كلام يرتسم على شفتيها القرمزيتين ، وبقوامها النحيل المشوق يتوجه شباب كالغصن فى حالة الازهار ، ثم تنصب قامتها الرشيقية ، وفى ومضة تبهر الأبصار ، تجمع بين الالم والرغبة المحمومة ونشوة الفرح ، وأخيرا بنظرة وابتناسمة ، وفى وهج من بريق الجواهر ولمعان الحرير ، رأيتها تذوب وتختفى أمام عيني .

وتهب ريح عانية محملة بشذى التلال والغابات فتطفئ المصباح . وبعد ذلك أرمى كسونى جانبا وأستلقى على سريرى مغمض العينين وجسمى منتش بالسعادة وحولى فى النسيم المحمل بشذى عطر الغابات والتلال ، يطوف خلال الليل الصامت عديد من التربيت وعديد من القبلات واللمسات الرقيقة من الأيدي وهممات رائعة فى أذنى وأنفاس عطرة تداعب جبينى أو منديل معطر يمسح مرة بعد أخرى على وجنتى .

وببطء أشعر كأن ثعبانا غامضا يلتف حولى ويعصرنى بين لفات جسده المذهلة وأروح فى غيبوبة أسقط منها الى سبات عميق .

وذات مساء قررت أن أمتطى جوادى وأخرج للنزهة – ولا أعلم من توصل الى لابقى – ولكننى لم أستجب لأى نداء فى ذلك اليوم وكنت قد وضعت سترتى وقبعتى على أحد الرفوف وكنت على وشك أن آخذهما ، عندما هبت ريح عاتية محملة برمال نهر سوستا والأوراق الجافة الميتة من شجر تلال آفالى وحملتتهما معا وأخذت تدور بهما وتدور بينما انطلقت جلبة عالية من الضحك والمرح أخذت تعلو وتعلو لامسة كل أوتار المرح حتى ماتت بعيدا فى دنيا الغروب ولم أستطع الخروج لنزهتى ، وثانى يوم قررت الاستغناء عن سترتى الانجليزية وقبعتى البيضاء الشاذتين الى الأبد .

وفى ذلك اليوم أيضا وفى جوف الليل البهيم سمعت تشنجات مخنوقة تقطع نياط الثلوث لشهيق ما – وكأنها تأتى من تحت السرير ، أو من تحت أرضية الشرفة ، أو من تحت الأساسات الحجرية لذلك القصر الشامخ ومن أعماق قبر رطب مظلم سمعت صوتا يصرخ بطريقة تبص على الرثاء ويقول راجيا اياى :

« أوه - أنقذنى - اخترق هذه الأبواب المصنوعة من الوهم الصلب . ومن النوم العميق الذى يشبه الموت ، ومن الأحلام الجذباء وضمنى بجانبك على السرج وضمنى لقابك وطربى خلال التلال والغابات وعبر النهر وخذنى الى الاشعاع الدافئ فى حجراتك المشمسة فوق ! » .

— « أنا ... ومن أكون أنا ؟ وكيف لى انقاذك ؟ أى جمال غارق وأى عاطفة مشبوبة متجسدة فى شكل بشر . سأجر الى الشاطئ بعيدا عن دوامة الأحلام هذه ؟ - ايه أيتها الرؤية الأتيرية الجميلة ! - أين ازدهرت ومتى ؟ وبقرب أى جدول ماء رطيب تحت النخيل ولدت ؟ وفى حجر أية هائمة فى الصحراء دون مأوى كانت هذه الولادة ؟ . وأى بدوى اختطفك من بين ذراعى أمك وأنت لا تزالين زهرة تتفتح . مقطوفة من نبات برى متسلق ووضعك معه على ظهر حصان أسرع من البرق . وعبر بك الرمال المشتعلة . وفى أى مدينة ملكية . كان سوق العبيد . التى اقتادك إليها ؟

وهناك ... يا ترى ... أى ضابط من ضباط البادشاه الذى حين رأى روعة شبابك فى ازدهاره الخجول ، ووضعك فى محفة ذهبية ، وقدمك هدية لمولاه ، يضمها الى سراى حريمه ؟ ويا ترى ... ما تاريخ هذا القصر بالموسيقى المنبعثة من السارنج ( نوع من الكمان ) مع رنين الخلاخيل الذهبية وهضات الخناجر فى بعض الأحيان ، وتورد النبيذ الشيرازى المسقم ، والنظرة الخاطفة النافذة ، أو أى عظمة خالدة وأى عبودية لا نهاية لها !

الجواري على يمينك وعلى يسارك ، يلوحن لك بذبول اليك ، بينما يبرق الماس من أساورهن . ويركع البادشاه ملك الملوك عند قدميك الناصعتين فى خفهما المطعم بالجواهر . وفى الخارج يقف العبد الحبشى الخصى المريع الذى يبدو كأنه رسول الموت ولكنه يرتدى لباس الملائكة ، ويقف وفى يده سيفه المسلول !

وبعد - يا زهرة الصحراء . وقد جرفك محيط العظمة المبهر المخضب بالدماء بزبد من الغيرة ، بصخوره وأماكنه الضحلة التى تصنعها المؤامرات . فعلى أى شاطئ من شواطئ الموت القاسى ألقى بك ، أو فى أى أرض أخرى أكثر روعة وأكثر قسوة قذف بك ؟

وفجأة فى هذه اللحظة بالذات ، صاح ذلك المخبرل ميهري على : « ارجعوا للخلف ... ارجعوا للخلف !! كله زيف ... كله زيف ! » وفتحت عيني ووجدت أن النهار قد انبلج . وحضر تابعى وقدم الى بريدى ووقف الطاهى وهو يؤدى السلام فى انتظار أوامرى ، وقلت لنفسى :

« لا ... لن أستطيع المكث هنا أكثر من ذلك » .



وفى نفس اليوم حزمت متاعى . . وانتقلت لمكتبى وابتنسم العجوز كريم  
-بان ابتسامة صغيرة وهو ينظر الى وأغاظنى ذلك ولكنى لم أقل شيئا وانفسمت  
بى عملى .

ولما اقترب المساء سمعت كأننى تأله وسمعت كأننى على موعد يجب ان ائى  
به وبدا لى أن مراجعة حسابات القطن عمل لا جدوى منه بشا . وحتى الضريبة  
التي تخص نظام حيدر آباد بدت لى كأنها ليست ذات قيمة تذكر .

وبدا له أن كل ما يمت للحاضر وكل ما يتحرك ويمثل ويعمل للقيمة العيش  
تافه وحقد ولا معنى له . وألقيت بقلمى وأغلقت دفاترى وقفزت الى عربتى  
وقدتها ولاحظت ان العربى وقفت من تلقاء نفسها عند مدخل القصر المرمى عند  
غروب الشمس تماما .

وارتقيت الدرج بخطى سريعة ودلفت الى الحجرة وكان الصمت المطلق يخيم  
على المكان وبدت الغرفة المظلمة متحججة كما لو كانت غاضبة . وسمعت بأن قلبى  
قد سحق من الشعور بالذنب . ولكن لم يكن هناك أحد لأشكو له همى أو  
أستمعيه عنرا !

وهمت فى الغرف الخالية بعقل شارد وتمنيت لو أنه كان معى قيثارة  
لاغنى بها للجهول .

» أوه أيتها النار . . ان الفراشة البائسة التي حاولت عبثا أن تطير بعيدا  
قد عادت أدراجها اليك فاصفحى عنها هذه المرة فقط والتهمى جناحيها وابتنسمها  
فى لهيبك .

وفجأة سمعت بدمعتين سقطتا من أعلى على جبينى وكانت قمم تلال آفارى  
ذلك اليوم تغليها غيوم داكنة كثيفة وكانت الغابات الداكنة ومياه نهر سوسنا  
المعتمة تنتظران فى قلق بالغ وفى هدوء منذر بالسوء .

وفجأة اهتزت الأرض والمياه والسماء وهبت ربيع صرصار عاتية يعوى  
زئيرها خلال الغابات البعيدة التى لا طريق فيها وهى تكشر عن أنيابها المصنوعة  
من البرق كأنها مارد مجنون فك من عقال . وضربت أبها القصر الموحشة أبوابها  
بعنف وهى تشن من اللوعة والكرب . وكان كل الخدم بالمكتب ولم يكن هناك  
أحد لاضاءة المصابيح وكانت الليلة كثيفة الغيوم ولم يسطع لها قمر . وفى  
ظلمة الليل بالداخل كنت أشعر بوضوح أن هناك امرأة ترقد على وجهها على  
البساط تحت السرير وهى تشد وتجذب شعرها الطويل المشعث بأصابع يائسة  
وكان الدم ينساب على جبهتها الجميلة وهى تضحك مرة ضحكة جافة صلبة  
لا سرور فيها ، ثم تنفجر مرة أخرى فى نوبات من النشيج العنيف ، ثم تمزق

صديريتها وتضرب على صدرها العاري بينما كانت الريح تزار من خلال النافذة المفتوحة والمطر يسيل مدرارا ويهاطها وينفذ الى جسدها حتى العظام .

وطوال الليل لم يبدأ هدير العاصفة ولا ذلك الصراخ المجهوم . وهمت على وجهي من حجرة لأخرى في الظلام . وقلبي منفل بذلك الأسى الذي لا جدوى فيه . من أستطيع أن أراسى عندما لا يكون هناك أحد !!

ومن كان صاحب هذا الألم الدفين المروع ؟

ومم حدث هذا الحزن الذي لا يقبل العزاء ؟

وصاح المعتوه ميهري على « ارجعوا للخلف . . . ارجعوا للخلف !! كله زيف . . . كله زيف . . . » .

ثم رأيت أن ضوء الفجر قد انبثق ولا زال ميهري على يدور في القصر مرددا صرخاته المعتادة في ذلك الجو الفظيع .

وفجأة خطر لي أنه ربما هو أيضا قد عاش في ذلك القصر وأنه بالرغم من أنه قد فقد رشده فانه كان يجيء يوميا ويدور ويدور مجذوبا بذلك السحر الشبحي الغامض النابض من ذلك المارد المرمرى .

وبالرغم من العاصفة والمطر فانني عدوت نحوه وسألته :

« أوه - ميهري على . . . ما هو الزائف ؟ » .

ولم يجب الرجل بشيء ودفعني جانبا وهو يدور ويصرخ صراخا مسعورا كأنه الطير الذي تنومه الحية مغناطيسيا ، فيفقد ارادته في الهرب ويدور حول فكيتها . واستمر ميهري على في صياحه وهو يحاول مستميتا أن يحذر نفسه بتكراره « ارجعوا للخلف . . . ارجعوا للخلف . . . كله زيف . . . كله زيف . . . » .

وعدوت كرجل فقد رشده خلال المطر المنهمر الى مكتبي وسألت كريم خان :

« قل لي ما معنى كل هذا ؟ » .

وكان كل ما جمعه من ذلك الرجل العجوز هو ما يلي :

« انه في وقت من الأوقات كان القصر يموج بشبهوات لم تنطفئ ورغبات لم تشبع وقد ارتفع لهيب الملذات والمجون حتى أن لعنة القلوب المسحوقة ، والآمال المحطمة قد جعلت كل حجر في القصر ظمأنا وجوعانا ومستعدا كأي غول استنيد به الجوع ، أن يبتلع أي بشر يلقي به قدره الى هناك . ولم ينج من أنيابه القاسية أي رجل قضى به ثلاث ليال متوالية سوى ميهري على الذي أمكنه الفرار

على حساب رشده » • وتساءلت •• ألا توجد هناك وسيلة لخلاصى ؟ وأجاب  
الرجل العجوز •• « توجد وسيلة واحدة ولكنها صعبة للغاية وسأخطرك بها •  
ولكن قبل ذلك يجب أن تسمع قصة فتاة إيرانية صغيرة عاشت ذات يوم  
فى ذلك القصر البهيح • ولعل مأساة أغرب من هذه أدعى لتجزيق القلوب •  
لم تحدث قط على الأرض » •  
وفى هذه اللحظة بالذات نادى عمال المحطة بأن القطار على وصول ••  
أهكذا سريعا ؟!

وحزنا متاعنا على عجل بينما أقبل القطار • وكان رجل انجليزى يبدو  
أنه استيقظ لنوه من النوم يطل من نافذة فى مركبة الدرجة الأولى محاولا قراءة  
اسم المحطة وحالما وقع بصره على رفيقنا صاح « هاللو » وأخذه لديوانه • ولما كنا  
من راكبي الدرجة الثانية فلم تسنح لنا الفرصة لمعرفة شخصية الرجل أو كيف  
انتهت قصته •• وقلت :

« يبدو أن الرجل قد استخف بعقولنا وخدعنا لمجرد التسلية » ••

« ان القصة ملفقة من أولها لآخرها » ••

وانتهت المناقشة التى تلت ذلك الى قطيعة بينى وبين قريبنى الصوفى دامت  
طوال العمر •



## سارات شانندرا شاترجى

كان سارات شانندرا شاترجى ( ١٨٧٦ - ١٩٣٨ ) كاتباً  
للرواية والقصة القصيرة من البنغال .

ولد فى بيت فقير بالقرب من كلكوتا ولم يتلق تعليماً منتظماً  
ولم يبدأ الكتابة الا حين قارب الثلاثين من عمره .

ونشرت أول قصة له « ماندير » أو ( المعبد ) سنة ١٩٠٧  
وبعدها اكتسح عالم البنغال الأدبى وانتشر قراؤه فى جميع أنحاء  
شبه القارة وترجمت كتبه لكل لغات الهند الأساسية . ورغم أنه قد  
اصطدم مع النقاد الأرثوذكس التقليديين والمحاكمين وهاجم بعنف  
الأخلاقيات الزائفة التى يتظاهر بها ذووها ، الا أن أسلوبه كان مبشراً  
وبسيطاً ولم يكن ممن يملؤون كتاباتهم بالمواعظ .

وقد كتب اثنتى عشرة رواية وكثيراً من القصص القصيرة ، أمكنه أن يخلق  
فيها للريف البنغالى صورة غنية بالألوان والمآسى معا ، ونافست شهرته فى  
العشرينات والثلاثينات شهرة طاغور . وتحولت كثير من رواياته الى أفلام هندية  
ناجحة .



## القحط

### القحط

كان اسم القرية كاشيبور . وكانت قرية صغيرة ولو أن  
( زاميندار ) ( ١ ) القرية كان أصغر حجما إلا أن مؤجى أراضيها  
كانوا لا يستطيعون الوقوف أمامه لأنه كان قاسيا لا يرحم .

وكان اليوم عيد ميلاد ابنه الأصغر ، وكان الوقت ظهرا وكان  
« تاركارانتا » الكاهن ، فى طريق عودته لمنزله من منزل زاميندار  
القرية حيث كان يقدم الدعوات .

كان ذلك فى أواخر شهر مايو إلا أنه لم يكن بالسما أى أثر  
للسحاب ، وكانت القبة الزرقاء التى لا مطر فيها تصب حممها على  
الأرض

وفى نهاية الحقل قرب الطريق كان منزل جافور النساج . ولما كانت  
جدرانها الطينية مهدمة فإن ساحة المنزل أصبحت تتصل بالطريق العام وأصبحت  
أخص خصوصيات سكان هذا المنزل تحت رحمة أبصار المارة . ووقف تاركارانتا  
تحت ظل شجرة بالطريق ونادى :

« ايه . . . جافور - هل هناك أحد بالداخل ؟ »

وظهرت ابنة جافور الصغيرة البالغة من العمر عشر سنوات على الباب  
قائلة :

(١) « زاميندار » هو نظير الملتزم فى مصر فى عهد الأنراك . وهو الذى كان يعهد إليه  
بمساحة معينة من الأرض يؤجرها أو يزرعها . نظير مبلغ معين يدفعه للحكومة كل عام . المرجع

« ماذا تريد ؟ ان أبى مريض بالحمى » . .

« حمى !! . . . استدعى ذلك الوغد » . .

وخرج جافور على الصوت وهو يرتجف من الحمى وكان هناك ثور مربوط الى شجرة السنطة النى نسمند الى الحائط المهدم . وتساءل تاركاراتنا « ماذا أرى هناك ؟ » وهو يبنى الثور .

« ألا تعلم ان هذه القرية هندوسية وأن صاحب الأرض نفسه من البراهمة ؟ » . .

وكان وجهه سديد الاحمرار من الخيل ومن حرارة الشمس . وكان من المنتظر أن تكون كلمته لاذعة وقاسية . ولكن جافور تطلع اليه ببساطة وهو لا يقدر حظورة حديثه . وقال تاركاراتنا :

« حسنا . . لقد رأيته مربوطا فى الصباح وها هو لا يزال فى مكانه للآن وإذا نطق الثور فان سيدك سيسلخك حيا . . انه ليس من البراهمة العاديين » .

« وماذا أستطيع أن أفعل يا أبى فانا لا حول لى ولا قوة فأننى مصاب بالحمى منذ عدة أعوام ولا أستطيع أن أخرج به للمرعى فأننى منهوك بالمرض » .

« ألا تستطيع أن تتركه يرعى بمفرده ؟ » .

« وأين سأتركه يذهب يا أبى ؟ فان الأهالى لم يتسوا بعد دراسنتهم للأرز بالنورج ولا زال ملقى بالحقول . ولم يجمعوا قش الأرز بعد وكل نى، احترق حتى صار هشيمًا . ولا يوجد أى عود واحد من الحشيش فى أى مكان . فكيف أتركه طليقا يا أبى ؟ فانه قد يدس أنفه فى أرز أحد الناس أو يأكل قش غيره » .

ولان جانب تاركاراتنا قليلا وقال :

« ولكنك على الأقل يمكن أن تربطه فى مكان ظليل وتعطيه حزمة أو اثنين من قش الارز ليأكل ، ألم تطبخ ابنتك أرزا ! لماذا لم تعطه دلوًا من نقيع الأرز المغلى ؟ وتدعه يشربه » .

ولم يجب جافور وتطلع بلا حول الى تاركاراتنا وهو يزفر زفرة عميقة .

« لقد فهمت . . ليس لديك حتى ذلك القدر . . ماذا صنعت بحصتك من القش ؟ أظن أنك ذهبت لبيعها لتشبع معدتك ؟ ولم تبق منها حتى حزمة واحدة للثور - ما أقساك يا رجل !! » .

وبدا على جافور أنه فقد القدرة على الكلام عند سماعه هذا الاتهام القاسى وبعد لحظة تردد وقال ببطء :



« كان من المفروض أن آخذ حصتي من القش هذه السنة ولكن السيد أبقاها كلها سدادا لايجار السنة الماضية وتوسلت اليه جاثيا عند قدميه قائلا :

« يا سيدى أنت سيدنا وأميرنا ٠٠ أين سأذهب لو تركت أرضك ٠٠ اعطني على الأقل قليلا من القش فلا قش على سقفى وليس لدينا الا كوخ نعيش فيه نحن الاثنين - الوالد والبنات - وسنغطي السقف بسعف النخيل وسنجدنا هذا الجو الممطر بطريقة ما ٠٠ ولكن ماذا سيكون من أمر ماهيش « الثور » بدون طعام ؟! » .

« حقا !! فأنت مغرم بالثور لدرجة أنك تسميه ماهيش ٠٠٠ هذه ملححة . ولكن تهكمه لم يؤثر فى جافور الذى استطرد قائلا :

« ولكن السيد لم تأخذه بي رحمة ٠٠ وأعطاني أرزا يكفى لمدة شهرين فقط ٠٠ وأضاف نصيبي من القش الى نصيبه ولم يحصل ماهيش حتى على حزمة صغيرة منه » .

وقال تاركارانتا الذى لم يتأثر :

« حسنا ٠٠٠ أأست مدينا له بنقود ؟ هل تنتظر أن يعولك صاحب الأرض ؟! » .

« ولكن كيف لى أن أدفع له ؟ نحن نزرع له أربع قطع صغيرة من الأرض . وقد جف الأرز فى الحقول أثناء الجفاف فى السنتين الماضيتين . ولا يوجد لدينا أنا وابنتى ما يكفى لقوتنا . أنظر الى الكوخ فعندما تمطر السماء فاننى أقمع مع ابنتى فى أحد الأركان طوال الليل ولا نستطيع حتى أن نمد أرجلنا . أنظر الى ماهيش انك تستطيع أن تحصي ضلوعه . بربك أقرصنى حزمة من القش حتى يتسنى له أن يجد شيئا يأكله ليوم أو اثنين . وسقط جافور على الأرض عند قدمى الكاهن :

« لا ٠٠ لا ٠٠ تنح جانبا ٠٠ دعنى أذهب لمنزلى فقد تأخر الوقت » .

وتحرك تاركارانتا هاما بالرحيل وهو يبتسم :

« يا الهى - انه يبدو كمن يلوح بقرنيه نحوى مهددا هل سيهاجمنى ؟ » .

قالها مذعورا غاضبا وهو يتراجع مسرعا بعيدا عن الثور .

وتشاغل جافور واقفا على قدميه وقال وهو يشير الى حزمة الأرز الرطبة والفاكهة فى يد تاركارانتا :

« انه يريد أن يأكل حفنة مما معك » وقال الكاهن وهو يبتعد تدريجيا عن الثور :

« يريد أن يأكل ؟! حقا - الحيوان مثل سيده - ليس لديه حتى القش للأكل ويجب أن يأكل أرزا وفاكهة ؟ بعده واربطه في مكان آخر . يا لهذه القرون ، انه سوف يطعن شخصا بهما في أحد الأيام » . ثم أسرع بالانصراف . وحول جافور نظره من الكاهن الى الثور الذي امتلأت عيناه البنيتان العميقتان بالآلم والجوع وتمتم :

« لقد بخل عليك حتى بحفنة واحدة » قالها وهو يربت على عنق الثور وظهره وهمس للتور :

« أنت ولدى يا ماهيش . فلقد بلغت من السن عتيا وخدمتنا لسنوات ثمان ولا أستطيع حتى أن أقدم لك ما يكفيك من الطعام . ولكنك تعلم مدى حبي لك . . . أليس كذلك ؟! » .

ومد ماهيش عنقه فقط وأغلق عينيه سرورا واستطرد جافور :

« أخبرني . . . كيف لي أن أبقى حيا في هذه السنة الفظيعة فاذا تركتك طليقا فانك ستبدأ بأكل أرز الناس الآخرين أو بمضغ أوراق أشجار موزهم . ماذا أفعل بك ؟ لم يبق لك قوة في جسدك ولا أحد يريدك . وقد طلبوا مني أن أبيعك في سوق الماشية » .

وامتلأت عيناه بالدموع عند ذكر تلك الفكرة بالذات . ومسح دموعه بظهر يده والتفت ذات اليمين وذات اليسار وأحضر حزمة من القش لا لون لها من خلف الكوخ وقال بحنان وهو يقدمها لماهيش :

« كلها يا صغيرى بسرعة والا . . . » .

« أبى » .

« ماذا ؟ » .

وأجابت بنت جافور وهي تطل من الباب :

« تعال تناول غذاءك . . . ماذا . . . هل أعطيت ماهيش قشا من السقف ثانية ؟! » .

وكان هذا ما يخشاه فأجاب وهو يشعر بالخجل :

« انه قش قديم . . . وكان متعفنا » .

« لقد سمعتك تجذبه يا أبى » .

« لا يا حبيبتي لم يكن هذا تماما . . . » .

« ولكنك تعلم يا أبى أن الحائط سيهدأى » •

وصمت جافور •• ولم يكن قد بقى له شيء إلا ذلك الكوخ •• ومن كان يعلم أكثر منه أنه ان لم يحافظ عليه فإنه لن يتحمل موسما ممطرا آخر •• وعلى أى حال ما جدواه حقا؟! وقالت الفتاة :

« اغسل يديك واحضر لتناول طعامك لقد جهزت لك الطعام » •

« اعطنى ماء الأرز ودعيني أغذيه » •

« لم يبق منها شيء يا أبى •• لقد جف فى القدر » •

ومر حوالى أسبوع •• وكان جافور جالسا فى الساحة مريضا ومضطربا فان ماهيش لم يعد منذ أول أمس •• وكان يشعر بالعجز وكانت أمينة تبحث عن الثور فى كل مكان منذ الصباح الباكر •• وكان المساء قد حل عندما عادت للمنزل وقالت :

« هل سمعت يا أبى •• ان « مانيك جوس » قد أرسل ماهيش الى حظيرة الشرطة ؟ » •

« هراء » •

« نعم يا أبى •• انها الحقيقة •• لقد قال خادمه أخبرى والدك أن يبحث عن الثور فى دار يابور » •

« ماذا فعل ؟ » •

« لقد دخل حديقتهم يا أبى » •

« ولم يجب جافور » •

« وبعد ثلاثة أيام – كقولهم – فان الشرطة ستبيعه فى سوق الماشية » •

وأجاب جافور :

« دعهم يبيعونه » •

ولم تعرف أمينة معنى كلمة سوق الماشية •• ولقد لاحظت دائما أن والدها يصبح قلقا عند ذكرها مرتبطة بماهيش •• ولكنه خرج هذا اليوم دون أن يقول شيئا آخر •

وفى ظلام الليل دلف جافور الى حانوت « بانشى » وقال وهو ينضج طبقا من النحاس تحت المقلع :

« يا عمى .. يجب عليك أن تقرضني روبية » (\*) .

وكان بانشى معتادا على مثل هذا التصرف ففي السنتين الأخيرتين كان قد اقترض روبية خمس مرات على الأقل نظير رهن هذا الطبق .. ولم يبد اعتراضا ذلك اليوم أيضا .

وفي صباح اليوم التالى شوهد ماهيش فى مكانه المعتاد ثانية .

ووقف رجل مسلم كهل يفحص ماهيش بعين ثاقبة . وعلى جانب ، وبالقرب منه قبع جافور على الأرض . ولما انتهى الفحص أخرج الكهل ورقة من فئة العشر روبيات من أحد أركان شاله حيث كان معقودا عليها وأخذ يتحسسها مرارا يقال :

« هاك .. خذ هذه ولن أخصم منها شيئا فسأدفع الثمن كاملا » .

ومد جافور يده وأخذ النقود ولكنه بقى صامتا . ولما هم الرجلان اللذان كانا مع الكهل بالامساك بالحبل الذى كان حول رقبة الحيوان فانه هب واقفا فجأة وصاح بوحشية :

« لا تلمس الحبل ... قلت لك ... احترس فانى أحذرك ... » .

وجفل الرجلان وتساءل الكهل فى عجب :

« لماذا ؟ » وأجابه بنفس اللهجة :

« ليس هناك لماذا لهذا ؟ انه ملكى ولن أبيعنه انه سعادتى » .

وألقي بالورقة بعيدا .

وقال الثلاثة بصوت واحد : « ولكنك قبلت التأمين أمس ! » .

وقال جافور وهو يقذف لهم الروبيتين : « هيا ... استعيدهما » .

واستجدى جافور ماء الأرز من بعض الجيران وأطعم ماهيش . وبينما كان يربت على رأسه وقرنيه كان يهمس له ببعض كلمات اعزاز مبهمة .

وحل منتصف شهر يونيو ولا يستطيع شخص لم يتطلع لسماء صيف هندي أن يتصور فظاعة وقسوة الحرارة فلا أثر للرحمة فيها على الإطلاق . واليوم فانه حتى فكرة أن مظهر السماء هذا سيتغير يوما ما ، وأن السحب الهشة المشبعة ببخار الماء ستحجب عنها ضوء الشمس ، كانت تبدو ضربا من المحال ، وبدا أن السماء كلها تتلظى بالنار يوما بعد يوم بلا نهاية وللأبد .

\* الروبية حوالى ٨ فروش . والا ١/٢ من الروبية .

وعاد جافور لمنزله ظهرا • ولم يكن معتادا أن يعمل كعامل أجير ولم تكن حرارته قد هبطت الا منذ أربعة أو خمسة أيام وكان جسده لا يزال ضعيفا •

وكان قد خرج ليجت عن عمل ولكن بلا جدوى فلم يصادفه النجاج وكان جائعا عطشانا متعبا وبدا له كل شيء قاتما أمام عينيه •

رنادى من الساحة : « هل جهزت الطعام يا عزيزى أمينة ؟ » •

وأعاد جافور سؤاله : « هل الطعام جاهز ؟ » ولكنه لم يتلق ردا •

« ماذا تقولين ؟ • لا • • • لماذا ؟ » •

« لا يوجد أرز يا أبى » •

« لا أرز • • • لماذا لم تخبرينى فى الصباح ؟ » •

« لماذا ؟ لقد قلت لك مساء الامس » • وحاكها جافور متهمها :

« لقد قلت لك مساء أمس ! كيف لى أن أتذكر ما قلتيه لى مساء أمس • وكان غضبه يزداد كلما تكلم • • وتجهم وجهه غضبا وزمجر :

« طبعا لا يوجد أرز • • وماذا يعنك أنت ان اكل والدك أو لم يأكل ؟ ولكن الأنسة الصغيرة لابد أن تحصل على وجباتها الثلاث • • سأغلق على الأرز عندما أخرج بعد ذلك • • أعطني ماء لأشرب فأننى أموت عطشا • • • وهكذا ليس لديك حتى الماء » •

وبقيت أمينة واقفة مطاطة الرأس كما كانت •

ولما أدرك انه لا توجد نقطة ماء واحدة فى المنزل فانه فقد السيطرة على نفسه تماما وانفذ نحوها وصفعها بقوة على وجهها قائلا :

« أيتها البنت اللئيمة • • ماذا تفعلين طوال اليوم ؟ يموت كثير من الناس فلماذا لا تلحقين بهم ؟ » •

ولم تنبس الفتاة ببنت شفة وأخذت الجرة الطينية الخالية وخرجت تحت شمس بعد الظهيرة وهى تسبح دموعها فى صمت •

وفى المظلة التى غابت فيها عن نظره تملكه تأنيب ضيق قاتل فلقد كان الوحيد الذى يعلم كيف نشأت هذه الفتاة المحرومة من أمها • وكان يعلم أن ابنته العطوف التى تقوم بواجباتها فى هدوء لا لوم عليها فلم يكن لديهم أبدا الكفاية من الغذاء حتى عندما كان مخزون أرزهم موجودا وكان من المستحيل أن يتناولا

ثلاث وجبات في اليوم • ولم يغيب عنه كذلك سبب نقص الماء فان خزاني المياه أو الثلاثة التي كانت في القرية كانت قد جفت •

ولم يكن الماء القليل الذي بقي في خزان سيبو بابو الخاص مباحا للجمهور وكانت بعض الحفر قد حفرت في قاع الخزانات الأخرى ولكن الزحام والتدافع بالمناكب حولها للحصول على قليل من الماء كان شديدا لدرجة أن تلك الفتاة الضئيلة لم تستطع حتى الاقتراب منها ، فقد كانت تنتظر بالساعات في آخر الصف وبعد استجداء طويل كان بعضهم يعطف عليها وتعود الى المنزل بقليل من الماء •

وكان يعرف كل هذا فربما لم يكن هناك ماء اليوم أو لم يجد أحد وقتا ليتعطف عليها بقليل من الماء ولا بد أن شيئا من هذا القبيل قد حدث ذلك اليوم • ولما تذكر ذلك امتلأت عيناه هو أيضا بالدموع • وصاح أحدهم من خارج الساحة :

« جافور ••• هل أنت بالداخل ؟ أرسل السيد في طلبك ••• تعال »  
وأجاب جافور :

« أنا لم أتناول أى طعام بعد •• سأحضر بعد برهة » •

وبدت وقاحته غير محتملة للرسول الذي زمجر وهو ينعته بأقبح الصفات •  
« انها أوامر السيد أن تجر اليه وتضرب أمامه » •

وفقد جافور السيطرة على نفسه للمرة الثانية وأجاب رادا المجاملة :

« نحن لسنا عبيد أحد •• نحن ندفع ايجارا لنعيش •• لن أذهب » •

ولكن في عالمنا هذا فانه ليس فقط من العيب للضعيف أن يتظلم الى السلطة بل انه من الخطر عليه أيضا أن يفعل • فمن حسن الطالع أن الأصوات الضعيفة نادرا ما تصل للأذان الكبيرة والا فمن يعلم ماذا كان يمكن أن تكون نتائجها ؟

ولما عاد جافور لمنزله من عند مالك الأرض واستلقى بهدوء على ظهره ، كان وجهه متورما ، وكذلك عيناه •

وكان ماهيش هو السبب الرئيسي لكل هذا العذاب فعندما غادر جافور منزله ذلك الصباح فان ماهيش أفلت من قيده ، وتسلل الى أراضي مالك الأرض وأكل الزهور وقلب نظام محصول الذرة الذي كان يجفف في الشمس ، وأخيرا عندما حاولوا الإمساك به فانه أصاب ابنة المالك الصغرى وهرب •

ولم تكن هذه أول مرة يحدث فيها ذلك ولكن جافور كان يغفر له ذلك لفقره ولو كان قد ذهب الى مالك الأرض واستغفره كالمرات السابقة لكان من الممكن أن ينال عفوه ولكنه بالعكس ادعى أنه يدفع ايجارا وانه ليس عبدا لأحد .

وكان هذا أكثر مما يحتمله شيبو بابو الزامندار • وتحمل جافور الضرب والعذاب بدون احتجاج وكذلك فانه رقد فى منزله فى ركن من الأركان دون أن يتكلم ونسى الجوع والعطش ولكن قلبه كان يحترق فى داخله كالشمس فى الخارج • ولم يعرف للوقت حسابا وهو على هذه الحال •

وفجأة هب من رقاده مذعورا على صرحة فتاة • كانت ترقد منبطحة على الأرض وقد وقعت الجرة التى كانت تحملها وكان ماهيش يلحق الماء الذى كان ينسكب من الجرة على الأرض •

وفقد جافور صوابه تماما ودون أن ينتظر دقيقة أخرى فانه أمسك بكلتا يديه برأس المحراث الذى كان قد تركه بالأمس لاصلاحه وهوى بقوة على رأس ماهيش المنحنى •

وحاول ماهيش محاولة واحدة أن يرفع رأسه ولكن جسده الهزيل تهاوى على الأرض فى الحال • وتدفقت بعض شطرات الدم من أذنيه واهتز جسده مرة أو مرتين ثم مد قدميه الأماميين والخلفيتين الى أقصى ما تستطيع أن تصل اليه ووقع ميتا •

وانفجرت أمينة باكىة وهى تقول :

« ماذا فعلت يا أبى ؟! ان ماهيش قد مات » •

ولم يتحرك جافور أو يجب وظل يحدق دون أن تطرف عيناه فى عيني الثور الزجاجيتين السوداوين ، اللتين لا حراك بها •

وقبل أن تنقضى ساعتان كان دباغو الجلود الذين يعيشون فى طرف القرية قد أقبلوا وحملوا ماهيش على عمود من البامبو • وارتجف جافور لرؤية نصالهم اللامعة فى أيديهم وأغلق عينيه ولم يتكلم •

وأخطر الجيران أن مالك الأرض قد استدعى تاركاراتنا ليسأله النصيح كيف يكفر جافور عن قتله الحيوان المقدس ؟

ولم يجب جافور على هذه الملاحظات بل بقى جالسا القرفصاء وذقنه على ركبتيه •

وفى جوف الليل أيقظ أمينة قائلا :

« هيا يا عزيزتى أمينة لنذهب » وكانت أمينة ترقد فى الساحة وقامت وهى تفرك عينيها وتتساءل : « الى أين يا أبى ؟ » •

« للعمل فى مصنع الجوت فى فولير » •

ونظرت الفتاة اليه وهي لا تكاد تصدق أذنيها ففي خلال كل مآسيه وبؤسه  
كان عازفا عن الذهاب الى فولبير .. وكانت تسمعه مرارا يردد :

« لا دين .. لا احترام ولا خصوصية لجنس النساء هناك » .

وقال جافور :

« هيا يا صغيرتي فأمامنا شوط طويل نقطعه » .

وهمت أمينة أن تأخذ جرة الشرب وطبق والدها النحاسي ولكن جافور  
قال لها :

« اتركيهما جانبا ياعزيزتي كجزء من فدية قتل ماهيش » .

وخرج جافور في جوف الليل وهو يمسك أمينة بيده فلم يكن لديه أحد  
آخر في القرية ولا كان لديه شيء يقوله لأى شخص .

ولما وصل الى شجرة السنط وقف لا حراك به وانفجر يصرخ عاليا وهو  
ينظر الى السماء الداكنة المرصعة بالنجوم :

« يا الهى عاقبنى كيفما شئت فلقد مات ماهيش والظمأ فى شفتيه .. لم  
يترك له أى شخص أى قطعة أرض مهما كان صغرها ليرعى حشائشها .. أرجوك  
يا الله أن لا تغفر خطيئة صاحب الأرض الذى لم يسمح له بأكل شيء من الحشيش  
أو شرب شيء من الماء ، الذى أنعمت به على عبادك » .

وانطلقا فى طريقهما الى مصنع الجوت .

ترجمها الى الانجليزية - س . سنها .



## س . راجاجو بالاتشارى

ولد س . راجاجو بالاتشارى عام ١٨٧٨ فى مقاطعة سالم الجنوبية على بعد ألف ميل جنوب دلهى . كانت أسرته من البراهمة الرفيعة الدرجة فى نظام الطوائف ولكنهم كانوا فى غاية الفقر . أتم دراسته الثانوية والجامعية فى بنجالور وحصل على إجازته الجامعية بكالوريوس الحقوق من مدراس . وقد كتب عن نفسه يقول :

« لم أسافر للخارج للدراسة . مارست المحاماة من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٩ ، ولم أصبح قط « كاتبا » . كان اهتمامى الأساسى فى الإصلاحات الاجتماعية واستقلال الهند .

كنت أكتب اذا شعرت بميل الى الكتابة ، وفى الوقت الذى أشعر فيه بهذا الميل ، ومن الطبيعى أن ذلك كان بغرض اعطاء دفعة لهاتين القضيتين ، وليس ككاتب محترف ، أو رجل كرس نفسه للتأليف .

وشارك فى حركة غاندى « لعدم التعاون » عام ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن عدة مرات بين عام ١٩٢١ الى ١٩٤٢ .

وأنتخب رئيسا لوزراء ولاية مدراس فى برنامج الحكم الذاتى الذى قدمته بريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية .

وبعد الاستقلال خدم كحاكم للبنغال ومن يونيو ١٩٤٨ الى يناير ١٩٥٠ كان الحاكم العام للهند . وكان وزير داخلية الهند عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ وكبير الوزراء لمدراس من ١٩٥٢ الى ١٩٥٤ .

وفى الوقت الحالى يشغل وظيفة رئيس حزب الحرية « سواتانثرا » وفى عام ١٩٦٢ سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية كعضو فى وفد غاندى للسلام لمناقشة حظر تجارب القنابل الذرية مع الرئيس كينيدي .

وتشمل مؤلفاته « العربى القاتلة وقصص أخرى » « الطريق للخروج » و « ماركوس أوريليوس » و « رامايانا ومهابهاترا » ، باللغتين الانجليزية والتاميلية .

ويعيش الآن فى مدراس ويشرف على تحرير مجلة أسبوعية بالانجليزية تسمى « سواراجايا » .



## أردهانارى

### أردهانارى

كان أردهانارى صبيا من طائفة المنبوذين من قرية كوكالاي في إقليم سالم . وذهب الى دلهي مع السيد مالكانى سكرتير جمعية خدمة طائفة المنبوذين . وعندما كان السيد مالكانى في جنوب الهند فقد أعجب بذلك الصبي الذى قابله فى سالم وحسبهم على الفور أن يصطحبه الى دلهي حيث أدخله مدرسة وأرلاه عنايته . واتصل بمؤسسة تجارية شهيرة فى دلهي حيث وجدوا له وظيفة فى مكاتبهم بمرتب شهري قدره ٦٠ روبية .

ولما كان أردهانارى أمينا متابرا وذا شخصية فقد لازمه النجاح وكان مرتبه قد ارتفع الى ١٥٠ روبية شهريا قبل أن يبلغ الرابعة والعشرين وبعد مدة خلا مركز فى أحد المصانع الكبيرة التابعة للمؤسسة فى بنجالور وتولى أردهانارى ذلك المنصب بمرتب بلغ ٢٠٠ روبية شهريا .

وقضى سنتين سعيدتين فى بنجالور وكان رئيسه المباشر جوفندا راو قد تدرب فى مانسستر لمدة عامين وكان هو وأردهانارى فى عمر متقارب ولما كان معجبا بطباع أردهانارى فقد أصبحا صديقين حميمين .

وكان لجوفنداراو شقيقة تدعى بانكاجا وكان الأخ والأخت يحبان بعضهما حبا جما . وكان والداهما قد توفيا عندما كانت الفتاة فى العاشرة من عمرها وأصبحت الآن فى العشرين وغير متزوجة . وكانت قد قابلت أردهانارى مرارا عندما كانت ترافق أخاها لزيارته وعندما كان الأخير يزور أخاها .

وعندما بدا لجوفنداراو أن شقيقته وأردهانارى معجبان ببعضهما اسعده ذلك . ولطالما سأل نفسه :

« لماذا لا يتزوج هذان الشخصان ويستقران هنا ؟ »  
 وفى يوم من الأيام سأل جوفنداراو شقيقته :  
 « بانكاجا ٠٠٠٠ هل فكرت قط فى الزواج ؟ » ٠٠ وأجابته :  
 « ليس لدى اهتمام قوى بهذه المسألة »  
 « اذن ما رأيك فى الزواج من صديقنا اردهانارى ؟ »  
 ولم تبد بانكاجا اعتراضا على توجيه هذا السؤال اليها ، ولكنها تجنبت  
 الاجابة بالهروب الى موضوع آخر .  
 وبعد بضعة أسابيع أثير نفس الموضوع عرضا وقالت بانكاجا وهى  
 تضحك :  
 « ويحك يا جوبى ٠٠٠٠ هل أصبحت عبثا ثقيلا عليك ؟ »  
 ثم انخرطت فى البكاء ٠ فالفتيات وخصوصا اللاتى فقدن أمهاتهن يصبحن  
 حساسات جدا ويصبح شعورهن مرهقا للغاية .  
 « أيتها البلهاء ٠٠٠٠ لا تتحدثى عن كونك عبثا على أو أننى سئمتك ٠٠٠  
 فقط أخبرينى اذا كانت فكرة الزواج تهلك ، واذا كانت اجابتك بالرفض فان  
 ذلك سيسعدنى لأننى فى هذه الحالة سأبقىك دائما معى »  
 قال ذلك وهو يسمح دموعها ثم أردف قائلا :  
 « والدتنا توفاه الله ومن هناك ليسألك عن شعورك نحو الزواج ؟ »  
 وقالت بانكاجا :  
 « اذا تقرر ذلك فأننى سأتزوج ٠٠٠٠ ولكن ما أسباب اثاره ذلك  
 الموضوع الآن ؟ »  
 « يبدو أنكما معجبان كل بالآخر ولما كنا لم نعد نهتم بالطائفية أو الطبقة  
 فلماذا لا تتزوجينه ؟ » وقالت بانكاجا :  
 « طبعا لم نعد نهتم بالطائفية ولكننا لا نعرف بعد شعوره نحو هذا  
 الموضوع » ٠٠ وأجابها شقيقها :  
 « لا ندعى هذا يقلقك فانه لا بد أن يعتبر نفسه محظوظا جدا ان حصل على  
 زوجة منك » ٠ وكان متأكدا أنه لا توجد فى العالم من تقارن بشقيقته .  
 ولما علم اردهانارى بذلك فاقت سعادته كل الحدود ولكنه بعد لحظة أطرق  
 برأسه واجما ثم قال :

« ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ٠٠٠ جوفنداراو !! » وتساءل جوفنداراو :

« لماذا ؟ هل هناك أى موانع ؟ » وقال اردهانارى :

« المانع هو ما بين طائفتيننا من فارق كبير » وأجاب جوفنداراو ضاحكا :

« أوه ٠٠٠ لا تتحدث عن موضوع الطوائف ٠٠٠ فهذا هراء ٠٠٠ من هم البراهمة ومن هم غير البراهمة ؟ لقد كفنا عن التفكير فى مثل هذه الأشياء منذ زمن طويل فإذا كنتم تتبادلان المحبة وقررنا الزواج نهائيا فلن يزعجنا موضوع الطوائف »

كان اردهانارى قد أحبرهم من قبل أنه من مقاطعة كويمباتور وأنه من أتباع الالهة « سايفا » وأتباع هذه الالهة قوم نباتيون من طائفة ذات مكانة عالية ، ولكنهم لبسوا من البراهمة .

وكان تصريجه هذا فى أحد المناسبات كنوع من التفاخر ولم يستطع أن يتراجع بعد ذلك . وكان خجلا من الاعتراف بحقيقة طائفته . وفى دلهى كان هناك قديلون يعرفون أسلافه أما فى بنجالور فلم يكن هناك أحد يعرف شيئا عن طائفته .

وتساءل اردهانارى : « وما رغبة بانكاجا ؟ »

« يبدو أن بانكاجا تميل اليك واجاباتها على أسئلتى تدل على أنها راغبة فى هذا الزواج » .

وقال اردهانارى : « أليس من اللائق أن أسألهما وأعلم منها بنفسى » .

وأجابه جوفنداراو : « نعم » .

وهكذا أقفل الموضوع وقرر أن يصارح بانكاجا بالحقيقة مهما كانت العواقب ولكنه فى آخر الأمر عدل عن قراره وساءل نفسه :

« لماذا أتطوع بإخبارها بذلك . اننى لو فعلت فإن جوفنداراو وبانكاجا سوف يمتدنانى . لقد صرحا بأنهما لا يؤمنان بنظام الطوائف وما فيه من فروق بينهما . ولكن اذا حدث وعلما أننى من طبقة المنبوذين فانهما سوف لا يوافقان اطلاقا على الزواج وساعتبر كاذبا فى نظرهما » .

وفى اليوم التالى أعاد التفكير فى الموضوع ثانية وتوجه الى منزل جوفنداراو وقد عزم على مصارحته بالحقيقة ولكنه وهو فى طريقه تنازعتة الأحاسيس مرة أخرى وناقش نفسه قائلا :

« اذا كنا نحب بعضنا نحن الاثنين فلماذا أثير موضوع الطوائف ؟ ولماذا

نولى هذا الظلم هذا القدر من الاهتمام ؟ من خلق نظام الطوائف ؟ أليس هذا النظام أكذوبة فلماذا اذن أعيره ذلك الاهتمام الكبير وأصدارها بالحقيقة ؟ لماذا أصدارها وأفسد كل شيء ! لقد قالوا لى بصراحة أنهما لا يهتمان بموضوع الطوائف ؟ اذن لماذا أعود اليه على الاطلاق ؟ » .

وصمم على اخفاء الحقيقة .

وسألها : « بانكاجا ... هل تحبيننى حقا ؟ وهل سنتزوج ؟ ونعيش معا » . وقالت بانكاجا :

« ولكن هل ترغب أنت فى ذلك ؟ » .

وكان والدى اردهانارى - مونيابان - وشقيقه رانجا ووالدته كوبايبى يعيشون فى حى المنبوذين فى كوكالاي . وكان اردهانارى يرسل اليهم عشرين روبية شهريا بانتظام عندما كان فى دلهى أو فى بنجالور وكانت هذه تعتبر منحة ملكية بالنسبة اليهم وكانوا يعيشون بها فى سعادة بالغة ولم يكونوا يعلمون بمرتب نجلهم ولكن عشرين روبية فى الشهر كانت ثروة بالنسبة لهم .

ولسوء الحظ كان « مونيابان » مدمنا على الشراب ولما بدأت النقود تصله بانتظام شهريا فان حالته ازدادت سوءا ولم يكن ذلك يعجب رانجا ولكنه لم يستطع أن يمنع ادمان والده .

وكان رانجا مدرسا فى مدرسة بالقرية ولم يكن متزوجا ولما كانت والدته تلح عليه ليتزوج كان يقول :

« ليس الآن ... فلننتظر قليلا » . وكان دائما يماطل فى هذه المسألة . وكان اردهانارى بعد نقله الى بنجالور معتادا أن يزور أهله مرتين فى السنة ولما وجد أن والده قد أدمن الخمر أحس ، بخجل لا يوصف ، ولم يطق قذارة المنزل وعدم ترتيبه ، وكان يبقى لديهم يوما أو يومين ثم يسرع بالعودة .

وكان والده يقول وهو يتأهب للعودة الى بنجالور :

« سنذهب معك يا اردهانارى » وكان اردهانارى يجيبه :

« لا قطعاً ... فلو رأوك معى فانهم سيفصلوننى » وكان رانجا يوافق قائلاً :

« نعم يا أبى ... فأمثالنا لا يجب أن يذهبوا هناك » .

ولما كان يرسل لهم نقودا باستمرار فانهم لم يكونوا يطيلون المناقشة فى هذا الموضوع وهكذا سار الحال على هذا المنوال فترة من الزمن وكان اردهانارى

يرى أن الأنسب له أن يرحل لأبعد من هذا البلد في الشمال بعد زواجه وكانت الأفكار تتجاذبه بين الحين والحين فيخاطب نفسه قائلا :

« ولو أنهم في غاية الود وحسن المعاملة معي إلا أنهم لو علموا أنني من طبقة المنبوذين فلا بد أن تتعقد الأمور وحتى لو لم يبدو اعتراضا على ذلك فإنهم لو شاهدوا تصرفات وعادات أبي فلا بد أن بانكاجا ستتقزز ولن تنظر الى وجهي بعد ذلك » . وبتكرار مثل هذا الحديث مع نفسه ، كان اردهانارى يؤكد تصميمه على اخفاء الحقيقة .

وقرر أن يعجل بالزواج ما أمكن ثم يرحل للشمال وارسل خطابات لمديري شركته طالبا نقله الى مصنع آخر للنسيج في الهند الشمالية .

وفي يوم من الأيام فاجأته بانكاجا قائلة :

« اردهانارى اننى أود حقا أن أرى والدتك . . . لقد قررنا أنه يجب أن نأخذ اجازة ونذهب نحن الثلاثة الى كويمباتور والى أماكن أخرى . . . فما رأيك ؟ » .

وقال جوفنداراو أيضا :

« لا يوجد الآن عمل كثير في المكتب وسيناسبنا تماما الأسبوع الأول من الشهر القادم » .

وأسرعت ضربات قلب اردهانارى وقال :

« آره . . . نعم . . . نستطيع أن نفعل ذلك ولكننى تلقيت اليوم خطابا يفيد أنه هناك كوليرا بشكل وبائى خطير فى قريتنا » .

وانزعجت بانكاجا لسماع هذا النبأ وقالت :

« كوليرا !! هل طلبت من أهلك الانتقال لمكان آخر ؟ لماذا لا تطلب منهم الحضور الى هنا ؟ » . وقال اردهانارى :

« هذا نفس ما كنت أفكر فيه الآن ! » .

وبعد ثلاثة أيام تلقى اردهانارى خطابا من رانجا يقول فيه : « تحياتى للأخ الاصغر اردهانارى . . . انتشرت الكوليرا بشدة هنا وكان عدد الوفيات كبيرا ونحن فى خوف . . . لا زال الوالد على ما تركت ولا يسمع نصيحنا . نفذت كل النقود التى أرسلتها هذا الشهر . وإذا استطعت أن ترسل ثلاثين روبية فسنغلق المنزل ونذهب الى مقاطعة سالم حتى يزول الخوف من الكوليرا . . . أخوك المحب رانجا !! » .

وأصابته اردهانارى الدهشة والانزعاج وتساءل :

« ماذا يعنى هذا ؟! ما قلته خداعا ينقلب حقيقة !! لعل الله يختبرنى ! » .  
ولم يعرف ماذا يجب عليه أن يفعل ، وبعد تفكير قرر أن يرسل النقود فى اليوم  
التالى . ولم يمتض لاردهانارى جفن تلك الليلة ، وساورته أفكار سيئة ، وأفكار  
مخجلة وكلمة تذكر والده شعر بأشمئزاز وعاودته مرارا الرغبة فى أن نقضى  
الكوليرا على والده ويزيح عنه كل هذا الشقاء .

وفى اللحظة التالية كان يلوم نفسه على هذه الأفكار .

ومضى ليلته ينقلب قلقا فى فراشه وفى الصباح أخذ حماما باردا .  
واحضر ساعى البريد خطابات وكما توقع كان من بينها خطاب آخر من  
القريه ورفض الخطاب بأيد مرتجفة وقرأ .

« أصيب والدك بالكوليرا . نحن فى خوف بالغ . لا بد أن ننقذنا فلم  
يبق معنا فلس ! - رانجا » .

واغبر وجه اردهانارى عندما قرأ الخطاب وظل جالسا فى مقعده لفترة  
طويلة . ولم يرسل أى نقود ذلك اليوم .

ولم يرسل أى نقود فى اليوم التالى كذلك . وسألته بانكاجا :

« كيف حال الكوليرا فى قريتكم ؟ » . وأجابها :

« أخشى أنها لا زالت خطيرة » . وسأله جوفنداراو :

« هل سكر القهوة كاف ؟ » . وأجابه اردهانارى :

« نعم انها جيدة جدا » .

ولما عاد الى منزله كان هناك خطاب آخر فى انتظاره .

« ظهرت بوادر الكوليرا على الوالدة أيضا . انك لم ترسل لنا بعد أى  
نقود . نحن فى حالة يائسة . احضر حالا - رانجا » .

ولم يرسل اردهانارى نقودا ذلك اليوم أيضا فقد تحول قلبه الى صخر  
وكان يقول لنفسه :

« والآن سيختفى ذلك الوجه المخجل من حياتى الى الأبد . وهذا الحل  
يبدو انه من كرم الله وليس هناك دين أو عدل أعلى من مشيئته ولماذا أحاول أن  
أفسدها ؟ اذا مات أبى وماتت أمى فلن يبقى هناك مانع من زواجى من بانكاجا » .  
وفجأة سمع صوتا يصيح به مؤنبا : « ويحك . ما هذه الأفكار الشريرة أيها  
الرجل الشرير ؟ » .

وعندما أدار رأسه رأى بانكاجا تقف خلفه وخشى أن يكون سره قد انكشف .



وبعد فترة عاد لذهنه صفاؤه وعرف أن أحدا لم يتكلم وان ذلك كان وهما فى مخيلته . . وسألها :

« كيف دخلت بدون أن تحدثنى أى صوت ؟ . وضحكت بانكاجا وهى تقول :

« لقد قرعت الباب ثلاث مرات ثم دخلت . هناك شىء يتلقتك ولهذا لم تسمعنى وأنا أدخل » . وقال اردهانارى :

« يجب أن أذهب الى قريتي . . يبدو أن وباء الكوليرا قد ازداد سوءا . . والذى ووالدنى هناك يجب أن أعمل بعض الترتيبات لأجلهما » . . وأجابته :  
« نعم . . كان المفروض أن تقوم بهذا منذ فترة طويلة . . اذا توجهت لهنالك الآن فيجب أن تكون فى غاية الحرص ويجب أن لا تأكل أو تشرب شيئا أثناء تواجدك هناك » .

وتوجه اردهانارى الى سالم فى ذات الليلة ولكن بدلا من التوجه مباشرة الى كوكالاي فقد تمهل فى الطريق ولم يبلغها الا بعد أربعة أيام .

وكانت والدته قد توفيت ولحق بها المسكين رانجا ولم ينجح الا والده السكير الذى ظل حيا واستعاد صحته . وتوسل الى اردهانارى قائلا :

« خذنى معك الى بنجالور . . ماذا سأفعل هنا بعد ما حدث ؟ » .

ولكن اردهانارى أصم أذنيه عن رجاء أبيه فقد غدا قلبه كأنه قد من صخر وقال لوالده :

« سأرسل لك نقودا كافية ويجب أن تبقى هنا ولا تسألنى أن أصحبك معى لأننى لا أستطيع أن آخذك معى » .

وتضرع الوالد لولده كالطفل الصغير وقال وهو ينتحب :

« لا أستطيع البقاء هنا » ورفض اردهانارى الاستجابة لدموعه وكان يقول لنفسه :

« كيف أتخلى عن بانكاجا !! » ولم يستمع الى توسلات ونحيب والده .

وفى اليوم التالى دس ورقة مالية من فئة العشر روبيات فى يد والده وسافر الى سالم .

« يا للهول !! ماذا جنيت ؟ لقد قتلت والدتى وأخى ! لماذا فعلت ذلك ؟ ! » .

« هل يوجد من هو أشر منى فى هذا العالم ؟ كيف آخذل والدى هكذا ؟ !  
ماذا سأقول لبانكاجا ؟ » .

واستغفرته هذه الافكار حتى لم يستطع أن يغمض له جفن في القطار .  
وعندما وصل الى بنجالور قطع المسافة كلها الى منزله سائرا وهو شارد الفكر  
وهناك أغلق الباب على نفسه واسنلقى على فراشه . ولم يخطر جوفنداراو أو  
بانكاجا بمرورته ولم يذهب الى مقر عمله كذلك .

وفي نفس الليلة أخذ متاعه وذهب مرة ثانية الى محطة السكة الحديد  
وابتاع تذكرة الى سالم . وهناك سمع أن رجلا من طائفة المنبوذين قد انتحر بالقاء  
نفسه في بنر في كوكالاي . ولما بلغها علم أن الرجل كان والده بالذات .

وقال شخصي ان رجال الشرطة يقومون بالتحقيق في قضية السكير  
مونيابان . ولم يتوجه الى قسم الشرطة ولكنه غافل الجميع وانسل الى سالم  
وعاد بالقطار الى بنجالور .

وقال اردهاناري . « بانكاجا يجب أن تحاول أن تنسيني ! » .

وأجابته بانكاجا : « سأفعل ذلك فيما بعد . ما أخبار سالم ؟ » .

وقال اردهاناري : « لقد توفي الجميع . وذلك لأنني لم أفعل ما كان  
يجب ان أفعله . ولقد فعلت كل اهتمامي بالحياة الآن . سأستقيل من وظيفتي  
وأذهب الى ثرپتي . أرجو أن تنسيني » .

وتنذرت اليه بانكاجا نظرتين أو ثلاث ثم فزعت واندفعت مهرولة لتخبر  
أخاها .

وأصيب اردهاناري بالحمى . وفي أول الامر أعلن الطبيب انه مصاب  
بالنمود ثم قال انه مصاب بحمى في المخ ولزم الفراش ما يزيد عن الشهر .  
ولازمه جوفنداراو وبانكاجا ملازمة مستمرة طوال الوقت وفي نهاية الأسبوع  
الرائع سبغت الحمى وقال الطبيب :

« لم يعد هناك سبب للقلق . وعما قريب سيبتحسن وسيتمكن من  
الجلوس في سريره » . وقال اردهاناري :

« أنا عن طائفة المنبوذين . أنا مذنب . أنا في الحقيقة من طائفة  
المنبوذين . كاذب . انني أتبرأ من الزواج . بربك انسيني » .  
وتجيب بانكاجا ضاحكة :

« ماذا يهمني من أي طائفة تكون ؟ لماذا يجب أن نفترق ؟ » ولم يوافق  
اردهاناري وقال :

« أنت لا يهمك الى أي طائفة أنتمى وأنا أعلم ذلك . ولكنني قاتل .  
لقد قتلت والدي والديتي . » وقص عليهم القصة كاملة .  
ولما شفى من علته استقال من منصبه وعاد الى كوكالاي وهو الآن ناسك  
يدير مدرسة في معبد ماريامان .

## بريم تشاند

يعرف « بريم تشاند » ( ١٨٧٨ - ١٩٢٦ ) بوجه عام بأنه أعظم الكتاب الروائيين وكتاب القصص القصيرة باللغة الهندية .

ولد في أسرة من الطبقة المتوسطة الفقيرة في شمال الهند ولقد كان « دهانبات راى سري ستافا » - وهذا اسمه الحقيقي - نتاج ثقافة هندية إيرانية ونشأ في بيئة كانت تستخدم كلا اللغتين الأردية والهندية كلأدب وكتابة .

وخلال سنينه الخمس والستين كتب عشر روايات وحوالي ٢٥٠ قصة قصيرة . وكان إنتاجه المبكر باللغة الأردية ولكنه تحول الى الكتابة باللغة الهندية عام ١٩١٤ .

تميز صباه وشبابه بالفقر المدقع والمأسى العائلية فقد توفي والده ولما بلغ العشرين ولدت بهما زوجته الصغيرة .

تقلد وظائف حكومية صغيرة وبعد مجهوعته الأولى من القصص القصيرة « سوز - وطن » التي حظر نشرها عام ١٩٠٧ لغيرتها الوطنية العالية ، بدأ الكتابة تحت اسم مستعار هو بريم تشاند .

كان تولستوى وغاندى مرشديه روحيا وأديبا . وكان متأثرا كذلك بفكتور هوجو ورومان رولاند .

وكان لماركس وفرويد تأثيرهما الواضح في ذلك الحين على المثقفين الهنود ولم يكن بريم تشاند بعيدا عن ذلك التأثير ولكنه لم يكن يؤمن بالوسائل الثورية ولذلك صار أكثر ميلا الى تعاليم غاندى .

وفي عام ١٩٢٠ عندما بدأ غاندى حركة « عدم التعاون » مع الانجليز استقال بريم تشاند من وظيفته وكرس كل وقته للكتابة .

عرف بريم تشاند الريف الهندى معرفة مباشرة عن كتب وصور حياة الفلاحين بصدق مذهل ونظرة ثاقبة وتفهم عميق وتعاطف . وكان كاتباً خلاقاً من الطراز الأول ، كما كان دؤوباً ومستعداً للجهد في سبيل الوصول إلى



## الدفن

### الكفن

عند باب الكوخ وأمام نار خبت جذوتها جلس الأب والابن وفي الداخل استلقت « بودهيا » زوجة الابن الصغيرة تعاني آلام المخاض ، وبين الحين والحين كانت تطلق صرخات تمزق القلب كانت كافية لازعاجهما .

كانت ليلة شتاء وبدت الطبيعة خرساء وكان الظلام يخيم على القرية .  
وقال « جيشو » الأب :

« يبدو أنها لن تعيش . لقد كان يوما محموما . . . لماذا لا تذهب لتلقى نظرة عليها ؟ » وقال « ماهداف » متوترا :

« اذا كان لابد أن تموت فلماذا لا تعجل بالموت ؟ ماذا أستطيع أنا أن أفعل حيال ذلك ؟ » وأردف جيشو :

« يا لك من فظ غليظ القلب . . لقد جعلتك سعيدا لعام كامل والآن تبدو بهذه القسوة ! » .

« ربما . . . . ولكنني لا أتحمل أن أراها تتقلب وتتلوى » .

كانت أسرتهما من العمال غير المهرة وكانت لديهم سمعة سيئة في القرية .  
وكان جيشو اذا عمل يوما استراح ثلاثة وكان ماهداف عديم الأمانة في عمله الى حد أنه بعد كل نصف ساعة عمل كان يدخن لمدة ساعة !!

ولم يكن العمل يخطر على بالهما ان كان بالمنزل حفنة من الأرز . وكان اذا برح بهما الجوع تسلق جيشو شجرة وأسقط بعض الأغصان الجافة يحملها ماهداف للسوق لبيعها .

وطالما كان لديهما مال فانهما يتكاسلان نم يدفع بهما الجوع ثانية لجمع بعض الحطب أو البحث عن عمل .

ولم تكن هناك ندرة في الأعمال في القرية فقد كانت قرية زراعية حيب الحاجة دائمة للأيدي العاملة . وعلى أية حال فان هذين الشخصين لم يكن يحتاج اليهما الا عندما يضطر صاحب العمل لانجاز عمل رجل واحد برجلين .

ولو كان جيشو ومادهاف قد تحولوا الى طبقة النساك التي تستجدي قوتها لكنا سعيدين حقا لأنهما كانا بطبيعتهما قانعين وكانا ذوى صبر لا ينفذ .

كانت حياتهما غريبة وكان كل ما يملكانه بضعة أوان طينية في الكوخ وتنطى عوراتهما أسمال بالية . وهكذا كانا يطفوان على سطح الحياة غير مباليين بما حولهما وكانا غارقين في الديون يقاسيان من الالهات والتحقير وحتى الضرب لم ينجوا منه . . . . . ولكن . . . . . هل ألقيا بالا لذلك ؟!

وكانت حياتهما بائسة الى حد أن بعض القوم كانوا يقرضونهما مبالغ زهيدة وهم يعلمون ضالة فرصة استعادتها .

وعندما كان يحل وقت الحصاد كانا يسرقان البطاطس والبسلة ويقومان بسلقها وأكلها أو يخلعان أعواد قصب السكر ويمصانها ليلا .

وقضى جيشو أعوامه الستين في حياة لا استقرار فيها ولا ضمان وخطا ابنه البسار على نفس الدرب وفي الحقيقة فان الابن فاق أباه الذي تمرس بهذه النوع من الحياة طويلا .

وكانا جالسين أمام النار التي خبا أوارها يشويان البطاطس التي سلباها من حقل أحد الزراع .

وكانت زوجة جيشو قد توفيت منذ مدة طويلة ولكن مادهااف كان قد تزوج السنة الماضية فقط . ومنذ حضور « بودهيا » للكوخ حاولت جاهدة أن تشيع فيه نوعا من النظام وكانت تطحن الغلال أو تقطع الحشائش لتشتري قدحا من دقيق القمح يلتهمه هذان المخلوقان اللذان لا يعرفان الخجل ولم تؤد المعاملة الكريمة الا الى زيادة في تكاسل هذين الطفيلين ، بل لقد أدت الى غرورهما فكنا ان عرض عليهما عمل يطلبان ضعف الأجر بلا خجل .

والآن وهذه المرأة تكاد تموت من آلام الوضع كان الاثنان ينتظران موتها حتى يمكن أن ينعم بالنوم في هدوء .

وقال جيشو وهو يلتقط قطعة من البطاطس من الرماد وينزع قشرتها : « هيا الق نظرة عما يحدث بالداخل . . لابد أن هذا من فعل أرواح شريرة . . . ولكن استدعاء أحد الأطباء السحرة سيكلفنا روبية على الأقل » .

وخشى مادهاف أنه ان دلف الى الداخل فان جيشو سيزدرد معظم البطاطس  
:وأجاب :

« أنا أخشى الدخول هناك » .. وأردف جيشو :

« ما يخيفك هناك وأنا هنا ؟ » .. فقال مادهاف :

« لماذا لا تدخل أنت ؟ » .. وقال جيشو :

« عندما توفيت امرأتى فاننى لم أتحرك من قربها لثلاثة أيام متواصلة  
ولكن ..... ألا تخجل زوجتك منى ؟ وأنا الذى لم أر وجهها طوال هذه المدة ..  
أيجب أن أراها فى عريها المخجل ؟ يا له من موقف بالنسبة لها ولو رأتنى فانها  
لن تتمكن من التلوى والتقلب بحرية » .

« ان ما يقلقنى هو ماذا سنفعل لو ولد طفل ؟ فليس لدينا عسل أسود  
أو زيت أو زنجبيل جاف فى المنزل » .

« كل شئ سيتوفر .. ليهبنا الله الطفل أولا فان القوم الذين كانوا يبخلون  
علينا بالنحاس سوف يقدمون لنا الفضة . لقد رزقت بنسعة أولاد ولم يكن  
بالمنزل شئ ولكن الله ساعدنى بطريقة ما على الوصول الى بر الأمان » .

وفى مجتمع ليس نصيب الفلاح الكادح فيه أفضل كثيرا من حظ هذين  
الرجلين وحيث ينعم فقط أولئك الذين يستغلون الفقراء فان هذا الموقف لم  
يكن مستغربا ويمكننا القول أيضا بأن جيشو كان أعقل من الفلاحين . فبدلا من  
اتباع قطيع الفلاحين الذين لا يفكرون ، فانه قد انضم الى صفوف المتقاعدین  
الكسالى مع أنه كانت تنقصه الوسائل ليتبع عادات ومبادئ هذه القبيلة !

وهكذا فبينما وصل بعض أعضاء القبيلة الى أماكن الزعامة والرئاسة فى  
القرية فانه كان ينظر اليه باحتقار ولكن ما كان يعزیه أنه بالرغم من فقره وغوزه  
فانه لم يضطر لأن يعمل حتى نصف عمل الفلاحين وأن أحدا لم يستطع استغلال  
بساطته وبؤسه !!

واستمر كلاهما فى التقاط البطاطس من النار وازدادها ساخنة كالجمر  
فلم يكونا قد أكلا شيئا منذ أمس ولم يستطيعا الانتظار حتى تبرد .

واحترق لسانهما مرارا . فحين تنزع قشرة البطاطس عنها فان سطحها  
لا يبدو ساخنا ولكن حالما كانت تقضم فان جوفها كان يلسع اللسان وسقف  
الحلق والبلعوم وكانت المجازفة أكبر فى ابقاء الكرات المحترقة فى الفم بدلا من  
ابتلاعها لأنه توجد داخل المعدة استعدادات أكبر لتبريدها وهكذا فأنهما واصلا  
ابتلاعها بسرعة ولو أن المجهود كان قد أدمع عيناهما .

وتذكر جيشو حصل زواج تاكور الذى حضره منذ عشرين عاما فان الاحساس بالمتعة والشبع فى هذا الحفل جعله خالدا فى مخيلته وطل يتذكره الى هذا اليوم • وقال جيشو :

« لا أستطيع أن أنسى هذا الحفل •• ومنذ ذلك الحين لم يملأ معدنى مثل هذا الطعام فان أهل العروس اطعموا الجميع صنادا وكبارا أطباقا من الياغورت وخبزا محمرا فى زبد صافى وثلاثة أصناف من الخضروات طبخت جافة وأخرى بالزبد والكارى والبهارات ••••• عدا الحلوى والفاكهة • كيف لى أن أصف الآن كم كانت هذه الوليمة شهية • ولتعلم أنه لم تكن هناك أنصبة محددة لا يتعدها الفرد ، بل كان كل شئ متوفرا وبأى كمية تريدها ••• وأكل القوم وأكلوا حتى لم يعد هناك موضع لرشقة ماء ، وبالرغم من ذلك فان الخدم والوا تقديم المشروبات وكنا نعرض بتغذية الأطباق بأيادينا ولكنهم كانوا يملئوننا رغما عنا • وبعد أن اغتسلنا قدموا لنا ورق البيتل وحب الهان • ولكن كيف أنظر الى البيتل وحب الهان وأنا لا أقوى على الوقوف على رجلى •• وهرعت الى فراشى ومددت نفسى عليه • لقد كان تاكور حقا رجلا سخيا •

وقال ماهداف وهو يستطيع كل هذه المشهيات فى مخيلته :

« لا أحد يقدم لنا مثل هذه الولائم هذه الأيام •• وأجاب جيشو :

« وكيف يستطيعون ؟ لقد كانت تلك الأيام مختلفة •• الآن الكل يفكر فى التدبير والاقتصاد •• لا تنفق على حفلات الزواج •• لا تنفق على مراسم الدفن •• اننى أسألهم ماذا سيفعلون بكل هذه النقود التى أخذوها من الفقراء ؟ فان الأخذ مستمر والاقتصاد فى الصرف فقط •• وسأله ماهداف :

« لابد أنك قد أكلت حوالى عشرين رغيفا •

« أكثر من عشرين •

« لقد كنت أكل خمسين •

« أنا لم أكل أقل من الخمسين •• لقد كنت ضحكا وأنت لا تبلغ حتى

نصفى •

وانتهيا من أكل البطاطس وشربا بعض الماء واستلقيا قرب النار وهما يغطيان جسديهما بعباءتيهما وقد ثنيا ركبتيهما أسفل بطنيهما كعبدانين ملتفين •

واستمرت بودھيا فى الأنين •

وفى الصباح دخل ماهداف الكوخ وكانت زوجته راقدة باردة وقد فارقت الحياة وكان الباب يحوم حول وجهها وتسمرت عيناها الجامدتان شاخصتين لأعلى ، وكان جسدها مغطى بالتراب والطفل هبت داخل الرحم •



وهرع ماهداف خارجا الى جيشو وأخذ الاثنان يصرخان ويولولان بصوت عال وهما يضربان على صدريهما • وسمع الجيران عويلهما وأقبلوا يقدمون التعازى الواجبة للمسكينين •

ولكن لم يكن هناك فسحة من الوقت لكثير من العويل فكان يلزم الحصول على كفن وخشب حريق لاحتراق الجثة وكان المال نادرا فى المنزل ندرة اللحم فى عش الحداة •

وهرع الأب والابن الى عمدة القرية وهما يبكيان وكان العمدة يكره حتى مجرد النظر اليهما وكان قد ضربهما بيديه بين الحين والحين مرة للسرقة ومرة أخرى لعدم حضورهما فى الموعد المحدد للعمل • وقال العمدة بتكبر :

« ماذا حدث يا جيشو ؟ ولم هذا العويل ؟ اننا لم نعد نراك هذه الأيام ويبدو أنك لا تستطيب الحياة فى هذه القرية » •

ولمس جيشو الأرض بجهته وهو يقول بعينين مغرورتين بالدموع :

« أنا فى محنة شديدة يا سيدي •• لقد توفيت امرأة ماهداف الليلة السابقة • وكانت تقاسى آلاما شديدة طوال الليل يا سيدي وجلسنا بجانبها طوال الليل •••• وأمددناها بما يلزم من الدواء ولكنها رحلت عنا •• والآن لا يوجد شخص يمدنا بالخبز •• لقد حل علينا الخراب وقضى على منزلنا •• أنا عبدك يا سيدي ••• ومن غيرك سيجعل الاجراءات الأخيرة ممكنة •• ولقد صرفنا كل ما معنا على دوائها ويمكن حرق جثتها فقط لو تعطف سيدي •••• وأى باب أطرق غير بابك !؟ » •

وكان قلب العمدة رحيما ولكن فعل الخير لجيشو كان عملا لا طائل تحته وكان أول ما خطر له أن يقول له بجفوة : « أغرب عن وجهى •• انك لا تحضر أبدا عندما أرسل فى طلبك ، والآن تأتى وتتذلل الى لأنك فى ميسيس الحاجة أيها الخسيس الفاشل » •

ولكن لم تكن المناسبة لغضب أو جزاء •

وألقى العمدة اليهما بروبيتين وهو يشتعل غضبا فى داخله فى صمت ، دون أن ينظر اليهما أو يقدم كلمة تعزية كان كمن يلقى عن كاهله عبئا ثقيلا •

والآن وقد تبرع العمدة بروبيتين كيف يجرؤ مرابو القرية أو أصحاب الحوانيت على الرفض !!

وعرف جيشو جيدا كيف يستغل كرم العمدة وأعطاه بعضهم قناعة من ذات الاناتين وأعطى البعض الآخر أنات أربع ••• وفى غضون ساعة كاملة كان

قد جمع خمس روبيات كاملة • وجانب ذلك كله كان قد حصل على بعض الحبوب  
من هنا وبعض الحطب من هناك •

وعند الظهيرة توجه جيشو ومادهاف الى السوق لشراء الكفن • وقام بعض  
الافراد بقطع أخشاب البامبو وأخشاب أخرى •

وأقبلت طيبات القلب من نساء القرية يلقين النظرة الأخيرة على جثمان  
المتوفية ورجعن وهن يذرفن الدموع على مصير بودهيا المسكينة •• وعند وصولهما  
للسوق قال جيشو :

« لدينا حطب كاف لاحتراق جثمانها •• أليس كذلك يا مادهاف ؟ »  
وأجاب مادهاف :

« نعم لدينا الكفاية •• وما نحتاجه الآن هو الكفن ، »  
« اذن دعنا نشترى واحدا رخيصة » •

« طبعاً •• سيكون الظلام قد حل عند اخراج الجثة •• ومن سيرى الكفن  
فى الظلام ؟ » •

« يا لها من عادة سخيفة •• أن تلك التى لم تجد خرقة لستر جسدها فى  
حياتها يلزم لها كفن جديد عند موتها !! » •  
« ولكى يحرق مع الجسد ليس الا !! » •

« وعدا ذلك لو كان لدينا هذه الروبيات الخمس فى وقت مبكر لأمكننا  
شراء بعض الأدوية لها » •

وكان كلاهما يعرف ما يدور بخلد الآخر • وتجولا فى السوق متنقلين من  
محل بيع أقمشة الى آخر ، وشاهدوا أنواعا مختلفة من الأقمشة •• من الحرير  
•• ومن القطن ولكنهما لم يستقر رأيهما على شئ حتى حل الظلام • ثم – وكان  
قوة خفية تجذبهما – وجدا أنفسهما أمام حانة وكانما كانت الزيارة مقررة من  
قبل فقد دخلا ومكثا برهة واقفين لا يستقران على رأى ثم تقسدا جيشو الى  
« البار » قائلا :

« أيها الساقى ••••• إلينا بزجاجة » •

وتبع الزجاجة بعض الأطعمة الخفيفة والسماك المقل ، وجلس الاثنان فى  
الشرفة وأخذوا يحتسيان الخمر فى تعاقب سريع حتى انتشيا • وقال جيشو :  
« وما فائدة الكفن ؟! انه سيحترق على أية حال ومن المستحيل أن  
يرافقها » •

ونظر ماهداف الى السماء كمن يتضرع الى الآلهة لكي تشهد على براءته  
وقال :

« هكذا سنة الحياة ٠٠٠ والا لماذا يعطى الناس آلاف الروبيات لطائفة  
البراهمة ؟ ومن يعلم ان كانت هذه العطايا ستسترد في العالم الآخر ؟ »  
« لدى الأغنياء مال فليبددوه اذا شاءوا ٠٠ ولكن ماذا نملك نحن من مال  
يمكن أن نبده ؟ »

« ولكن ماذا سنقول للناس ؟ ألن يسألوا أين الكفن ؟ »

وضحك جيشو قائلاً :

« سنقول لهم ان النقود سقطت من الحزام وفقدت في الطريق ٠٠ واننا  
قد بحثنا جيداً ولكننا لم نعثر عليها ٠٠ ولن يصدقنا القوم ولكنهم سيعطوننا  
بعض المال مرة أخرى على أية حال »

وضحك ماهداف أيضاً على هذا الحظ غير المنتظر وقال :

« لقد كانت روحاً طيبة تلك الفتاة المسكينة ٠٠ فانها لا تزال تطعمنا حتى  
في موتها »

وكانا قد أتيا حتى ذلك الوقت على نصف الزجاجة تقريباً وطلب جيشو  
بعضاً من الشطائر والخبز والمربى والمخللات واللحم

وكان الحانوت على الناحية المقابلة من الطريق وهرع ماهداف الى الحانوت  
وعاد حاملاً ما لذ وطاب على ورقتين عريضتين من ورق الشجر

وكانا قد أنفقا روبيّة ونصف حتى الآن وبقي لديهما بعض دريهمات  
قليلة ٠٠٠٠

وجلسا يأكلان بشهية كبيرة كأسد يلتهم فريسته في الغاب ٠ ولم يأبها  
بأحد ٠ فلا رد على سؤال أو خشية نقد من المارة فقد كانا قد ألقيا وراء ظهرهما  
هذه الوسوس من فترة طويلة ٠ وتفلسف جيشو قائلاً :

« ألا تظن أنها ستكافأ في العالم الآخر على ما قدمته لنا من بهجة ؟ »

وأحنى ماهداف رأسه باحترام موافقاً

« طبعاً ستكافأ ٠٠ يا الهى ٠٠٠ أنت أعلم بكل القلوب وأرجوك ارسالها  
الى الجنة فنحن نباركها من أعماق قلوبنا فاننا لم ندق مثل هذا الطعام من قبل »

وبعد برهة ساورت ماهداف الشكوك فتساءل :

« نحن أيضا سنذهب هناك يوما ما ... أليس كذلك يا أبتاه ؟ » •

ولم يجب جيشو على هذا التساؤل الساذج فلم يكن يرغب أن يعكر صفو معتقده الآن بالتفكير في العالم الآخر • وأكمل مدهاف كلامه :

« لنفترض أنها ستسألنا هناك لماذا لم تعطيني كفنا ؟ ماذا سنقول ؟ » •

« هسراء » • •

« ولكنها لا بد ستسأل ؟ » •

« كيف لك أن تعلم أنه لن يكون لديها كفن ؟ أتخسبني أبله الى هذا الحد ؟ » •

« أظننني لم أتعلم شيئا طوال هذه السنين الستين • سيكون لديها كفن أحسن مما يخطر على بالك » •

ولم يقتنع مدهاف وتساءل :

« من سيقدم لها الكفن ؟! لقد ابتلعت أنت النقود • وستلقى اللوم على أنا الذي وضعت القرمز على جبينها » ( كناية عن الزواج في الهند ) •

وقال جيشو غاضبا :

« لقد قلت لك انها ستحصل على كفن • لماذا لا تصدقني ؟! » •

« لماذا لا تقول من سيقدم لها الكفن ؟ » •

« نفس الأشخاص الذين قدموه من قبل وربما لن يضعوا النقود في أيدينا » •

وعندما اشتد الظلام وازداد لمعان النجوم ازداد النشاط في الحانة وأطلق أحدهم عقيرته بالعناء وثرثر تان وتعانق ثالث مع صديق ودفع آخرون بالكثوس الى شفاة رفائهم • وانتشى الجو في الحانة وئمل الهواء وئمل البعض من الدورة الأولى للكثوس وكان الهواء والجو أقوى مفعولا من الخمر •

وكان القوم قد انجذبوا الى الحانة هربا من متاعب الحياة لينسوا لبرهة ان كانوا أحياء أو أمواتا أو حتى ان كان لهم وجود على الاطلاق •

واستمر هذان الشخصان - الأب والابن - يشربان ويمرحان وثبتت جميع الأعين عليهما • أى حظ عظيم أن يكون لهما زجاجة كاملة لا يشاركهما فيها أحد !! » •

ولما امتلأت بطونهما أعطى مدهاف ما تبقى من الخبز والشطائر الى سائل كان واقفا ينظر اليهما بعيون نهمة • ولأول مرة في حياته شعر بفخر وعظمة ونشوة « الاعطاء » :

« خذ هذا واملا معدتك وبارك لها - فان هذا يخص شخصا توفاه الله - ولكن ابتهالك لابد أن يصل اليها ٠ دع كل شعرة في جسدك تباركها فان هذه النفود كانت صعبة المنال » ٠ ونظر مدهاف للسماء قائلا :

« انها ستذهب الى الجنة يا أبتاه ٠٠٠ وستكون ملكة في الجنة » ٠

ونفض جيشو واقفا كمن يطفو على أمواج السعادة وقال :

« نعم يا ولدي ٠٠ ستذهب الى الجنة ٠٠ انها لم تضايق أو تنتهر أى شخص هنا ، وبموتها حصلنا على أعظم ما نميناه في حياتنا ٠٠ فان لم تذهب الى الجنة أظن أن أولئك المتخمين سيذهبون اليها ٠٠ هؤلاء الذين ينهبون الفقراء يميننا ويسارا ، ويغسلون ذنوبهم في نهر الجانجيز ويقدمون القرابين في المعابد ؟ » ٠

وسرعان ما تبدلت حالة التوقير والتبجيل تبدا سريعا - فان عدم الاستقرار على حالة واحدة هي صفة أصيلة للسكران - واستولت عليهما نوبة من الحزن واليأس وقال مدهاف :

« لقد قاست البائسة الكثير في حياتها يا أبتاه وكم كانت وفاتها مؤلمة » ٠  
وغطى عينيه براحتي يديه وطفق يبكي وينتحب بصوت عال ٠٠ واساء جيشو قائلا :

« لماذا تبكي يا ولدي ؟ أولى بك أن تسعد لأنها تحررت من شباك الأوهام بهذه السرعة » ووقف الاثنان وبدأ في الغناء :

« لماذا هذا السحر في العيون أيها الجمال الزائف ؟ » ٠

وتركزت عليهما عيون كل رواد الحانة بينما استمر غناؤهما غير شاعرين بما حولهما ٠

ثم أخذوا يرقصان ووثبا وقفزا ودارا ونمايلا وصخبوا وفي النهاية سقطا على الأرض، مخمورين فاقدى الوعي ٠



## استقالة

### استقالة

ان الكاتب النمطي في مكتب من المكاتب حيوان آخرس . فانك ان قطبت جبينك في وجه أحد العمال فانه يرد عليك بالمثل . واذا سببت أحد العمال فسيلقي بحمله على الأرض ، واذا أهنت شحاذا فسيجد طريقة لتصغير شأنك وحتى الحمار فانه سوف يركلك برجليه الخلفيتين اذا أذيته أكثر من اللازم . ولكن الأمر ليس كذلك مع كاتب حسابات المكتب . قطب له جبينك ، تعال عليه ، أهنه . . . . اضربه فانه سيتحمل كل هذا في صمت .

ان لديه السيطرة على مشاعره الى الحد الذي لا يصل اليه ممارس اليوجا بعد سنين طويلة من التكفير وضبط النفس . . انه صورة من القناعة والرضى ونموذج للصبر وتجسيد للاخلاص ، ومثال للتبجيل ، ومجموعة تضم جميع الفضائل . وبالرغم من ذلك فان الحظ لا يتسم له قط .

وحتى سقف القنص لعشة حقيرة لفلاح بائس له دوره في الالتقاء بالحظ . . . . . ففي ليلة « الديوال » ليلة احتفالات المصاييح فانه يضاء وينعم بحمام من المطر ويسعد برؤية تغير الفصول ولكن رتابة حياة الكاتب لا تتغير قط ، ولا يوجد اطلاقا أى شعاع من النور في الظلام المحيط به . كما لا يوجد نور الابتسامة قط على وجهه . وكان « لالا فاتح تشاند » من أعضاء هذه الفصيلة البكماء من فصائل الجنس البشرى .

يقولون ان للاسم تأثيرا على الشخصية لحد ما . واسم « فاتح تشاند » يعنى قمر النصر ولكن من شخصية بطلنا هذا يبدو أنه من الملائم أن نسميه « عبد الهزيمة » فقد فشل في عمله وفشل في حياته الخاصة وكان فاشلا بين أصدقائه وأحاطت به خيبة الأمل والفشل احاطة السوار بالمعصم .

ولم يكن له ولد بل ثلاث انات . ولا اخوة بل شقيقتان لزوجته ولا شيء من المال يلجأ اليه في الشدائد . وكان الجود والطيبة طبيعتين فيه وكان معنى ذلك أنه كان يستغل الجميع . وفوق ذلك فانه كان دائماً عليل الصحة وفي سن السابعة والثلاثين كان شعره خليط الملح والفلفل . وقد خبا بريق عينييه وساء جهازه الهضمي وكان شاحب الوجه غائر الوجنتين ساقط الكتفين ولم تكن هناك سحابة في قلبه ولا قوة في دمايه .

وكان يذهب الى عمله في التاسعة صباحاً ليعود في السادسة مساءً وبعد ذلك كله لم يكن يتوفر له الجهد ليغادر منزله ولم يكن يدري ما يدور في العالم خارج حوائط مكتبه أو منزله . وكانت حياته الحاضرة والمستقبلية ونعيمه وجحيمة في عمله . ولم يكن يهتم بالدين ولا بالترويح عن النفس ولا حتى بالخطيئة وكان لا يتذكر آخر مرة لعب فيها الورق فقد مضى عليها عهد طويل .

وكان الشتاء قد حل وتناثرت بعض السحب في السماء وعندما عاد « لالا فاتح تشاند » في الخامسة والنصف مساءً كانت الشموع قد أضيئت قبيل وصوله وكالعادة فانه استلقى لمدة عشرين دقيقة على سرير خفيف في الغرفة المظلمة قبل أن يستجمع ما يكفي من الطاقة لفتح فمه !!

وكان لا يزال راقداً هناك عندما علا ضجيج في الخارج وسمع صوتاً يناديه وخرجت ابنته الصغيرة نستطلع الأمر وعادت لتقول انه ساع من المكتب وفي تلك اللحظة كانت زوجته « شاردا » تغسل بعض الأوعية بالرماد قبل أن تقدم الطعام لزوجها وقالت للفتاة :

« اسأليه ماذا حدث ؟ لقد عاد لتوه من المكتب ولماذا يريدونه ثانية ؟ » .

وقال الساعي :

« ان المدير يريد ان يقول ان الامر في غاية الأهمية » .

وقطعت تلك الضجة على « لالا فاتح تشاند » غفوته القصيرة ورفع رأسه المتعب عن سريرته متسائلاً :

« من هناك ؟ » وأجابته « شاردا » :

« انه الساعي من المكتب » .

« الساعي !! لماذا ؟ هل يريدني المدير ؟ » .

« نعم .. انه يقول انه يريدك لأمر هام .. أى نوع من الرجال مدرك هذا ؟ يبدو انه يريد دائماً .. ألم يكفه ما أخذه منك اليوم ؟ قل له انك لن تستطيع الذهاب .. وأسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن يفصلك من ذلك العمل البائس .. دعه يفعل ذلك » .. وتمتم « فاتح تشاند » وكأنه يخاطب نفسه :



« لقد أنهيت كل شىء .. لماذا يريدنى ؟ هذا شىء غريب !! »  
 ثم صاح للساعى الذى كان لا زال واقفا بالخارج :  
 « اننى قادم » . ونهض استعدادا للذهاب وقالت « شاردا » :  
 « كل شيئا .. فانك لو بدأت الحديث مع الساعى فانك ستنسى كل  
 شىء آخر » .

وأحضرت له وعاء به بعض العصيدة المصنوعة من العدس . وكان فاتح  
 تشاند قد نهض ليذهب ولكنه ما ان رأى ذلك الطعام المنشط حتى جلس ثانية  
 ونظر اليه بنهم ثم سأل زوجته :  
 « هل أكل الاولاد شيئا منه ؟ » .

وأجابته « شاردا » بغضب كأنها كانت تنتظر ذلك السؤال :  
 « نعم نعم لقد حصلوا على نصيبهم والآن كل نصيبك » .  
 وفى هذه اللحظة ظهرت الابنة الصغرى ووقفت بالقرب منهما ونظرت  
 اليها « شاردا » بعيون يتطأير منهما الشرر وقالت :

« ماذا تفعلين هنا ؟ هيا أخرجى والعبي بالخارج » .  
 وقال فاتح تشاند :

« لا تخيفى الطفلة .. هيا يا « شانى » تعالى واجلسى هنا وخذى بعضا  
 من هذا » .

ورنت « شانى » فى خوف نحو والدتها ثم انطلقت الى الشارع .  
 وقالت « شاردا » :

« ليس هناك الكثير منه كما ترى .. وليس هناك ما يكفيك منه حتى  
 تتخلى عنه لغيرك ، فلو قدمت شيئا منه ، فستطالب الأخرتان نصيبهما منه  
 كذلك » . وفى هذه اللحظة نادى الساعى من الخارج قائلا :

« يا سيدى لقد تأخر الوقت » .

وقالت « شاردا » :

« لماذا لا تقول له انك لا تستطيع الذهاب فى مثل هذا الوقت من الليل » .  
 « وكيف أستطيع ؟ وأنا أعتمد عليه فى معاشى » .

« انك تدعه يرهفك بالعمل حتى الموت .. هل نظرت الى وجهك في المرأة ؟ انك تبدو كما لو كنت مريضا منذ ستة شهور » .

والتهم « فاتح تشاند » بضعة ملاعق من العصيدة بسرعة وشرب كوب ماء وأسرع خارجا . ولم ينتظر حتى نفرغ شاردنا من اعداد الطبق الرئيسى لعشائه .  
« لقد استغرقت وقتنا طويلا يا سيدى .. وآلآن دعنا نسرع والا فان المدير سيبدأ فى السباب حالما يراك » .

وحاول « فاتح تشاند » أن يركض لبضع خطوات ولكنه سرعان ما أقلمع عن ذلك قائلا :

« فليسب اذا شاء .. أنا لا أستطيع أن أركض .. هل هو فى بيته أم فى المكتب ؟ » .

وقال الساعى :

« ولماذا يكون فى المكتب ؟ هل هو ملك أو مهرج ؟ » .

وكان الساعى معتادا على السير بسرعة وعلى العكس فقد كان الكاتب « فاتح تشاند » معتادا على السير ببطء . ولكن كيف سيعترف بذلك ؟ فلقد كانت لديه بقية من كبرياء وحاول جاهدا أن يساير صاحبنا ولكن دون جدوى وشعر بألم فى ضلوعه وضيق فى تنفسه ودارت رأسه وتصبب جسداه عرقا لزجا واسودت الدنيا أمام عينيه .

وحذره الساعى منتهرا اياه :

« أسرع الخطى يا حضرة الكاتب ... انك بطيء للغاية » .

ووجد « فاتح تشاند » صعوبة فى الكلام وقال :

« اذهب أنت وأخطره أننى سأحضر فى التو » وانتحى جانبها على الرصيف وجلس وأمسك برأسه بين يديه وجذب أنفاسا عميقة . ولما رآه الساعى على هذه الحال صمت ولم يقل شيئا وأكمل طريقه .

وكان « فاتح تشاند » يخشى ما عسى أن يقوله هذا الشيطان للمدير الانجليزى وقام من جلسته بمجهود وبدأ السير ثانية وكان بمقدور طفل أن يصصره أرضا ولكنه تحامل بطريقة ما وتعثر حتى وصل الى بيت المدير . وكان المدير يذرع الشرفة ذهابا وإيابا وكان ينظر بين الحين والحين الى البوابة ويستشيط غضبا عندما يرى أن أحدا لم يصل بعد . وعندما رأى الساعى صرخ فيه قائلا :

« أين كنت طوال هذا الوقت ؟ » .

وأجاب الساعى وهو يقف على درج المنزل :

« سيدى .. لقد تأخر « فانح تشاند » حتى أننى لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك .. وكما ترى فأننى ركضت طوال المسافة عائدا الى هنا » .

وقال المدير فى لهجة هندية رديئة :

« ماذا قال ؟ » .

« انه قادم .. لقد استغرق حوالى الساعة ليخرج من منزله » .

وفى هذه الأثناء، وصل « فانح تشاند » الى الساحة الواسعة أمام المنزل . واقترب يحيى المدير وهو ينحنى انحناء شديدة وانتهره المدير قائلا :

« لماذا تأخرت هكذا ؟ » . ولما رأى فاتح تشاند سحنة المدير تجمد الدم فى عروقه .

« سيدى ... لقد غادرت المكتب منذ فترة وجيزة ولكن حالما نادانى الساعى فأننى غادرت منزلى بأسرع ما استطعت » .

« انك تكذب .. اننى أنتظر هنا منذ ساعة » .

« سيدى .. أنا لا أكذب .. ربما قد استغرقت وقتا أطول من المعتاد فى السير لأننى أشعر بوعكة ولكننى غادرت المنزل وقت أن نادانى الساعى » .

ولوح المدير بالعصا التى كانت فى يده وكان يبدو أنه مخمور وصاح :

« اخرس أيها الخنزير .. اننى كنت واقفا هنا منتظرا لأكثر من ساعة .. امسك أذنيك واطلب الصفح !! » .

« أنا لم أرتكب خطأ » . وصاح الانجليزى المخمور :

« أيها الساعى اجذب أذننى ذلك الخنزير » . وأجاب الساعى فى صوت خفيض ولكنه حازم :

« سيدى .. انه كذلك رئيسى .. كيف أستطيع أن أجذب أذنيه ؟ » .

« اجذب أذنيه ... أنا أمرك بذلك وان لم تفعل فسأضربك » .

وأجاب الساعى :

« سيدى .. لقد حضرت للمكتب لكى أشتغل لا لكى أضرب وأنا - كذلك - عندى احترامى لنفسى وكرامتى .. يستطيع سيدى أن يعفينى من عملى .. أنا

مستعد لأن أطيع كل أوامرك .. ولكننى لا أستطيع أن أهين كرامة شخص آخر .. لن أحتفظ بهذه الوظيفة للأبد ولن أستطيع أن أعادى العالم من أجل هذه الوظيفة » .

ولم يستطع المدير أن يكبح جماح غضبه وهرع نحو الساعى والعصا فى يده وعلم الساعى أنه لا أمان له فى البقاء فنكص على عقبه وولى الأدبار . ووقف « فاتح تشاند » صامتا مسمرا فى الأرض .

ولما لم يستطع المدير اللحاق بالساعى فانه تحول اليه وأمسك بأذنيه وهزه قائلا :

- « أيها الخنزير .. انك متمرد عاص اذهب وأحضر الملف من المكتب » .
- وقال « فاتح تشاند » وهو يتحسس أذنيه « أى ملف يا سيدى ؟ » .
- « أى ملف ... أى ملف ... هل أنت أصم ... أنا أريد الملف ... » .
- هل تسمع ؟ » .
- واستجمع « فاتح تشاند » بعض الشجاعة وتساءل فى احتقار :
- « أى ملف تريد ؟ » .

واستبدت به الحيرة . وكان المدير رجلا سريع الغضب بطبيعته وزيادة على ذلك فقد كان ثملا بسلطته ، كما كان ثملا بالخمر التى احتساها أيضا ولم يكن أحد يستطيع أن يتنبأ بما سيفعله بعد لحظة ولهذا فان « شاند » سار بهدوء فى الطريق الذى يوصله الى المكتب .. وصاح المدير : « اركض » .

- وقال الكاتب : « سيدى .. لا أستطيع أن أركض » .
- « أرى انك تتكاسل .. أليس كذلك ؟ سأريك كيف تجرى » .

قال ذلك وركله بقدمه من الخلف . كان « فاتح تشاند » كاثما بالمكتب ولكنه كان بشرا كذلك ولو كانت لديه أى قوة ما كان تحمل مثل هذه الاهانات من سكير ، ولكن طالما كان الأمر كذلك فانه كان من غير المجدى أن يقاوم فهرع نحو الباب ووصل الى الطريق .

ولم يذهب « فاتح تشاند » الى المكتب فان المدير لم يبين له أى ملف بالضبط كان يريد ولعله كان مخمورا الى حد ظن فيه أنه ليس من الضروري أن يخلطه بذلك . وابتدأ سيره فى اتجاه منزله ببطء لأن الألم والكرب اللذين سببتهما هذه الاهانات وضعا أغلالا فى قدميه .

حقا — لقد كان المدير أقوى منه بنية بكثير ، ولكن ألم يكن ممكنا على الأقل أن يفصح له قليلا عما فى قلبه وعما يدور فى خلداه ؟ لماذا لم يخلع حذاءه ويلطمه

به على وجهه ؟ ولكن ٠٠٠٠ أكان ذلك يجدى ؟ لقد كان فى استطاعة الانجليزى أن يرديه قتيلا بالرصاص وفى أسوأ الأحوال كان سيحكم عليه بالسجن بضعة شهور أو بغرامة قدرها ثلاثمائة أو أربعمائة روبية ولكنه هو الذى كان سيقاسى . كانت أسرته كلها ستتخبط فلم يكن هناك أحد ليرعى أولاده بعد موته . ولعلمهم كانوا قد هلكوا جوعا فى الطرقات . ولكن — لماذا لم يقدر له أن يكون أكثر ثراء . فلو كان لديه قليل من المال يستعين به على الحياة . لما تحمل هذه المعاملة . انه لم يكن ليبالى كثيرا لو أنه قتل بعد أن يعطى درسا ملائما لهذا العربيد المستأسد على الضعفاء . انه لا يخشى الموت من أجل نفسه فلم تكن هناك ملذات كثيرة فى حياته يأسف على فراقها ٠٠٠ فقط زوجته وأولاده هم الذين كان يخشى عليهم .

ودارت خواطر كثيرة فى رأسه وهو فى الطريق ٠٠٠ لماذا أهمل صحته الى هذا الحد . كان من اللازم أن يحمل معه دائما مدية ٠٠٠ كان يجب أن يصفى المدير على وجهه ٠٠٠ ربما ضربه أتباع وخدم المدير حتى يفقد وعيه أو حتى يموت ٠٠٠ وحينئذ سيعلم الجميع أن هناك من وقف فى وجه الطغيان . وعلى كل حال فانه لابد وأن يموت يوما وحينئذ لن يتمكن من رعاية أهله وكان سيوجد بعض الشرف فى هذه الميتة .

وألهيته هذه الفكرة الأخيرة حتى أنه نكص على عقبيه متجها الى منزل المدير ولكنه بعد خطوات قليلة تردد وعاد ، فمن المحتمل جدا أن يكون السيد قد توجه الى النادى . وما جدوى استجلاب متاعب أخرى . ان ما حدث كان يكفى . وسألته « شارد » حال وصوله للمنزل :

« لماذا استدعاك ؟ لقد تأخرت كثيرا » .

واستلقى « فاتح تشاند » على كرسیه قائلا :

« لقد كان ثملا ٠٠ وقد أهاننى ٠٠٠ ذلك الشيطان ٠٠ لقد سبنى ٠٠ لقد كان الشئ الوحيد الذى ظل يكرره هو قوله « لماذا تأخرت ؟ » ولقد دلب من الساعى أن يجذب أذنى » .

وأجابته « شارد » غاضبة :

« لماذا لم تضربه بالحداء على وجهه ؟ » .

واستطرد « فاتح تشاند » :

« ان الساعى رجل حسن الخلق فقد قال للمدير بصراحة : سيدى ٠٠ أنا لست فى خدمتك لاهانة قوم محترمين ٠٠ ثم حياه وانصرف » .

- « لقد كانت شجاعة منه ، لماذا لم تخطر الانجليزى برأيك فيه ؟ » .
- « ولكننى فعلت . . لقد أعطيته أكثر من ابداء رأيى فيه فاندفع نحوى رافعا عصاه وخلعت حدائى وضربنى بالعصا فضربته بالحذاء » .
- وطربت « شارددا » وقالت :
- « حقا ؟ لابد أن وجهه كان يستحق النظر اليه حينذاك ! » .
- « لقد كان شكل وجهه كمن مر عليه شخص بمقشة » .
- « لقد أحسنت صنعا . . لو كنت أنا هناك ما كنت تركته حيا » .
- « حسنا . . لقد ضربته ولكن الأمور ستتعدد الآن . ولا أعلم ماذا سيحدث ؟ سأفقد وظيفتى طبعاً وقد أوضع فى السجن ! » .
- « ولماذا توضع فى السجن ؟ أليس هناك عدالة فى هذا العالم ؟ لماذا أهانك ؟ لقد كان البادى بضربك . . أليس كذلك ؟ » .
- « لن يستمع الى أحد . . حتى القضاة سيكونون فى صفه » .
- « لا تهتم لذلك . . وسترى الآن . . فلن يجرؤ انجليزى على أن يعامل مرءوسيه هكذا » .
- « لقد كان من الممكن أن يطلق على النار » .
- « ولقد كان من الممكن أن يراه أحد وهو يفعل ذلك » .
- وقال « فاتح تشاند » مبتسماً :
- « وماذا كان سيحدث لك حينئذ ؟ » .
- « كان الله سيتولانا برعايته . . ان أعظم الأشياء عند الرجل هو أن يحافظ على شرفه . . فاذا فقدت شرفك فانك لا تستحق أن تعنى بأولادك وبما أنك ضربت ذلك الشيطان فاننى فخورة بك ولو كنت تحملت الاهانة صامتاً لكرهت حتى النظر الى وجهك . . ولعلى كنت لن أقول لك شيئاً ولكننى كنت سأفقد كل احترام لك فى قلبى » .
- واستطردت « شارددا » فى صوت هادى رزين :
- « والآن فمهما تكون النتائج فاننى سأواجهها بسرور . . هيه . . . الى أين أنت ذاهب ؟ اسمع . . . اسمع » .
- وخرج « فاتح تشاند » من المنزل كالمجنون وكررت « شارددا » صياحها

خلفه ولكنه لم يجب . لقد كان متوجها الى بيت المدير ولم يعد ذلك الدليل الذى يرتعد من الخوف بل لقد رفع رأسه فى كبرياء . وكانت قسما ت وجهه تعكس عزما من حديد . كان رجلا آخر فبدلا من ذلك الكاتب الواهن الشاحب بلا حياة . كان هناك ذلك الشجاع النشط الآدمى القوى يسير الى هدف وغاية .

وقصد أولا الى منزل صديق له واقترض عصا قوية طويلة ثم توجه الى منزل المدير .

وكانت الساعة التاسعة مساء وكان السيد جالسا الى عشاءه . وفى ذلك اليوم . لم ينتظر « فاتح تشاند » حتى ينتهى السيد من عشاءه فحالما وضع الخادم الطعام على المائدة وتوجه الى المطبخ أزاح « فاتح تشاند » الستار ودخل المنزل . وكانت الغرفة تسبح فى نور الكهرباء وكان يغطى الأرض بساط جميل باهظ الثمن الى حد أن « فاتح تشاند » لم ير له مثيلا حتى فى يوم زفافه .

ونظر السيد اليه بأعين تتميز غضبا وصاح :

« أخرج . . . لماذا دخلت بدون إذن ؟ » .

ورفع « فاتح تشاند » العصا وهو يقول :

« لقد طلبت الملف . . وقد أحضرت الملف . . أكمل عشاءك وسأريك اياه بعد ذلك . . وحتى ذلك الحين سأظل جالسا هنا . . هيا تمتع بعشاءك فقد يكون الأخير » .

وصعق السيد ونظر الى « فاتح تشاند » وقد بدا على قسما ت وجهه تعبير نصفه خوف ونصفه غضب . وأدرك أن الرجل يائس وكان يعلم أنه ضعيف البنية ولكن كان من الواضح أنه أتى جاهزا لان يرد الصاع صاعين ، أو سيلقمه حجرا مقابل الطوبة . . . لا . . . بل قطعة من الحديد . . واعترى السيد الخوف . . فمن السهل أن تضرب كلبا طالما كان لا يزمجر ولكنه ان كشر عن أنيابه فليسوف تعدل عن تصميمك .

وكان هذا بالضبط شعور السيد . فطالما كان « فاتح تشاند » يتقبل الاهانات . . . وحتى الضرب وهو صامت فان السيد كان يشعر بالقوة ولكنه كان الآن فى حالة نفسية أخرى .

وكان يراقب كل حركة منه كالقط ، فقد تراجع السيد عن عزمه بعد أن خذله ارادته . وكان يعلم أن كلمة واحدة نابية ستؤدى الى ضربه من تلك العصا . . . حقا . . . لقد كان من الممكن أن يفصله وحقا كان من الممكن أن يضعه فى السجن ولكنه كان يعلم أنه لن يمكنه أن يتجنب الفضيحة والمتاعب .

وهكذا فإنه - كأي رجل بعبد النظر - قد استحال لكونه رجلا دبلوماسيا  
دمت الأخلاق وقال :

« أيها الرجل العزيز .. يبدو أنك متضايق مني .. ما سبب هذا الضيق ؟  
هل قلت شيئا أغضبك ؟ » .

« من نصف ساعة شددت أذني وقلت لي مائة مرة انني أحقق ملعون ..  
أيمكن أن تنسى بهذه السهولة أيها السيد ؟ » .

« شددت أذنيك !! لابد أنك تمزح .. هل تعتقد أنني مخبول ؟ » .

« ان ساعى المكتب شاهد على ذلك .. وكان خدمك أيضا يراقبون  
ما يحدث » .

« متى فعلت كل ذلك ؟ » .

« منذ نصف ساعة مضت .. لقد أرسلت في طلبى ، ثم شددت أذني ثم  
ضربتني » .

« حقا !! الحقيقة يا صديقى لابد أن أعترف أنني كنت قد أفرطت في  
الشراب قليلا فان الساقى كان قد قدم لي كمية من الشراب أكثر مما يجب .  
ولا أتذكر شيئا - يا الهى ... هل فعلت هذا ؟ » .

« لو كنت قد أطلقت على النار وأنت تمل فهل كنت لا أموت ؟ اذا كان  
كل شيء مغفورا لمن أفرط في الشراب أو للمخمور فأننى أنا الذى فى هذه  
اللحظة مفرط فى الشراب وقرارى هو أن تمسك أذنيك وتطلب عفوى وتقسم  
أنك لن تعامل الناس هكذا مرة ثانية والا لفتنتك درسا ، وإياك أن تجرؤ على  
الحركة ففى اللحظة التى ستترك فيها مقعدك سأحطم جمجمتك .. والآن امسك  
أذنيك » .

وحاول السيد أن يضحك وهو يقول :

« حسنا يا صديقى .. ان لديك روحا للدعابة .. أليس كذلك ؟ وان كنت  
قد قلت لك شيئا غير لائق فأننى أرجو صفحك » .

وقال « فاتح تشاند » وهو يلوح بعصاه :

« امسك أذنيك » .. ولم يكن الانجليزى راغبا فى المضى فى تلك العملية  
المهينة بتلك السهولة فقفز من مقعده وحاول أن يخطف العصا من يده « فاتح  
تشاند » ولكن « فاتح تشاند » كان مستعدا لذلك وقبل أن يغادر الانجليزى  
المائدة هوى « فاتح تشاند » بالعصا على رأسه العارى وطنت أذنا السيد وأمسك  
رأسه بيديه لمدة دقيقة ثم قال : « اننى سأفصلك » .



« لا يهمنى ذلك .. ولكننى اليوم لن أرحل قبل أن تجذب أذنيك وتقسيم  
أنك لن تعامل الناس مثلما عاملتنى اليوم وان لم تفعل ذلك توا فان الضربة  
الثانية آتية » .

ورفع العصا عالية . ولم يكن السيد قد نسى بعد الضربة الأولى . وفى  
الحال وضع يديه على أذنيه قائلا :

« ها هو ... على أنت راض الآن ؟ » .

« ألن تسب أحدا بعد ذلك ؟ » .

« لا ... » .

« اذا فعلت ذلك فى يوم من الأيام فتذكر أننى لست عنك ببعيد » .

وقال الانجليزى فى لهجته الهندوستانية الرديئة :

« لن أسب أحدا بعد اليوم » .

« حسنا .. والآن سأتركك .. ومن اليوم لست موظفا عندك .. سأرسل  
لك استقالتى المكتوبة باكرا مسببا اياها بأنه نظرا لسلوكك الردىء واستشسادك  
على الضعفاء فاننى لا أرغب فى الخدمة تحت امرتك » .

« ولكن علام الاستقالة ؟ أنا لن أفصلك » .

« أنا لا أرغب أن أخدم أكثر من ذلك تحت امرة رجل فظ سييء الأخلاق  
مثلك هذا هو السبب » ..

وبقوله هذا غادر « فاتح تشاند » الغرفة ، وبرأس صافية قفل راجعا  
لمنزله .

لقد كان يشعر بنصر حقيقى وبحرية شخصية ولم يكن فى أى لحظة  
من حياته ، قد شعر بالسعادة التى يشعر بها الآن .



## ملك راج أناند

ولد « ملك راج أناند » في ١٢ ديسمبر ١٩٠٥ في « باشهوار » وهي ولاية على الحدود الشمالية الغربية للهند . وكان والده ينتمي إلى جماعة صناعي المشغولات الفضية والفضائية . ولكنه التحق بعد ذلك بالجيش البريطاني الهندي . وكانت والدته من فلاحات بنجاب الوسطى .

وحسب قوله فإنه لم يتلق تعليماً ذا قيمة في مدارس وكنيات بنجاب ولكنه عوض بعض ما كان ينقصه من حسن الفهم حين كان يجري أبحاثه للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة في « يونيفرسيتي كوليدج » في جامعة لندن وكذلك في كامبردج .

وقد كتب عن نفسه أنه تأثر بطاغور وأقبال وبولستوي وجوركي . وم . فورستر ومالرو وسيلين وهنري ميلر والكاتب الصيني لو هسون .

وهو يكتب باللغة الانجليزية ومن رواياته « المنبوذ » عام ١٩٣٥ و « كولي » عام ١٩٣٦ و « المياه السوداء » عام ١٩٤٠ و « السيف والمنجل » عام ١٩٤٢ و « سبعة أصياف » عام ١٩٤٨ و « الحياة الخاصة لأمير هندي » عام ١٩٥١ .

وقام لأعوام عدة بتحرير مجلة « مارج » وهي مجلة شهرية تصدر بالانجليزية وتتخصص في الفنون .

وعمل كذلك فترة أستاذا للكرسی الذي يحمل اسم طاغور في الفن والأدب في جامعة البنجاب في تشاندي جار وهو يعتبر أن الانجاز الرئيسى للأدب الهندي الحديث هو التركيب البنائي المشترك من القيم الغربية والقيم الهندية والذي نتج عنه مجهودات متجددة لخلق دقة الاحساس والوعي الحديث .



## نقابة الحلاقين

### نقابة الحلاقين

#### « مهدها الى جون ليهمان »

لشاندو - حلاق قريتنا الغلام - مكان بين صانعي الهند الحديثة ، ولكن حقه فى شغل هذا المكان سوف يغمط . ما لم يلج بشدة واصرار على العرفان بمساهمته فى التاريخ ، وقد استندت مطالبة شاندو باقرار فضله - فى الحقيقة - الى عمل جرى ، لم يكن يدري معناه على أكمله . ولكن - على نقيض معظم عظماء الهند اليوم - لم يؤث اذ ذاك فكرة عن أهمية ننطوى على مغالاة ، وان كان قد اشترك معهم فى نوع من الغرور الساذج ، كان فى بعض الأحيان يدعو للقلق ، وفى أحيان أخرى يدعو للافتتان .

كنت أعرف « شاندو » منذ أن كان يرتدى قطعة من الأسمال فى وسط جسمه المكروش ، وأيام أن كنا نتمرغ معا فى وحل أزقة قريتنا ، نلعب مقلدين الشرطة ، أو أصحاب المتاجر أو الكتاب أو غير ذلك من ألعاب صغيرة كنا نبشكرها تسلية لنفسيينا أو لوالدتيينا ، اللتين كانتا وحدهما - دون كل الكبار - تتنازلان بمتابعة ما نفعل .

كان شاندو يكبرنى بحوالى ستة أشهر ، وكان دائما يتزعمنى فى كل الأمور ، وكنت أتبعه راضيا ، لأنه كان عبقرىا حقا فى الامساك بالزنابير وفى اعتصار السم من ذبولها ، وفى ربط سيقانها الدقيقة بخيط قطنى وحملها على الطيران ، بينما كنت أصاب بلدغات فى خدى اذا جسرت على الاقتراب - أى اقتراب - من حافة بئر القرية ، حيث كانت هذه الحشرات تستقر على البرك الصغيرة كى تشرب منها .

ولما كبرنا ، ظل يبدو لى تجسيدا للكمال لأنه كان قادرا على صنع الطائرات الورقية وإرسالها فى الهواء ، فى تصميم معقد ، وتوازن ما كنت أستطيع تحقيقه .

والمؤكد أنه لم يكن موففا منى فى المسائل الحسابية فى المدرسة ، ولعل هذا لأن أباه أخذ يتلمه - فى سن مبكرة - مهنة طائفة الحلاقين الوراثة ، ويرسله لقص الشعر فى القرية . فلم يكن يملك وقتا للواجبات المنزلية التى كان مدرسا يكلفنا بها . ولكنه كان أفضل منى فى القاء الشعر - فى أى يوم - لأنه لم يكن يستذكر عن ظهر قلب القصائد التى فى كتاب الدراسة فحسب . بل كان بوسعه أن يردد صفحات النثر - التى لا نهاية لها - فى ذلك الكتاب بطريقة تجعلها تبدو كالشعر .

امتعضت أمى من كون شاندو قد فاز بمنحة تعطيه الحق فى مجانية التعليم ، بينما كنت مضطرا لدفع الرسوم المقررة كى أتعلم ، فكانت لا تنى تشينى عن اللعب معه ، قائلة ان شاندو كان ابن حلاق من طائفة دنيا ، وأن من الخلق بى أن أراعى وضع طائفتى وطبقتى . ولكن ، مهما تكن الآراء المتأصلة التى ورثتها عن أسلافى ، فأننى يقينا لم أرث أى شعور بالاستعلاء . والواقع أننى كنت أستحى دائما من علامة الطائفة الحمراء التى كانت أمى تضعها على جبينها فى كل صباح ، ومن النمط الشكى للسترة الطويلة ، والسروال ( البنطلون ) القطنى الضيق ، والحذاء الموشى بالذهب ، والعمامة الحريرية ، التى كنت أرثديها . وكنت أتوق الى إرثاء كل ذلك الخليط العجيب الشكل ، الذى كان شاندو يرتديه . . . سروال قصير ( شورت ) من « الكاكي » منحه إياه السويدار - الضابط - المتقاعد ، وصديرية من المخمل الأسود البالى ، مزينة فى طولها وعرضها بأزرار صدفية ، وقلنسوة من اللباد ، كانت يوما لمحامى قريننا « لالا هوكام شاند » . وكنت أغبط شاندو لحرية التنقل التى أستمتع بها بعد موت أبيه بالطاعون اذ كان يقوم بجولة لحلاقة اللحى وقص الشعور فى بيوت أعيان الطائفة الراقية فى كل صباح ، ثم يغتسل ، ويرتدى ثيابا عادية ، ويختلس الرحيل الى المدينة - وكانت تبعد ستة أميال - على مسند القدمين فى العربة المغلقة الجوانب ، التى كان « لالا هوكام شاند » ينتقل بها الى المدينة . ولكن شاندو كان كريما معى . كان يعرف أننى نادرا ما أصطحب الى المدينة ، وأننى كنت أضطر الى أن أتكبد المشى ثلاثة أميال مضيئة الى مدرسة ثانوية - فى قرية « جوادايالا » الكبيرة - والخوف يملأ قلبى ، فى حين أنه أعفى تماما من محنة سياط المدرسين القساة ، لأنه ترك المدرسة بعد وفاة أبيه . لهذا كان يحضر لى دائما شيئا من المدينة كهدية : فرشاة للرسم ، أو مدادا ذهبيا أو طباشير أبيض ، أو مديّة ذات حدين لشحن أقلام الرصاص ، وكان يسلمينى بأوصاف طويلة بهيجة لتنوع الأشياء التى كان يراها فى أسواق الحضر .

وكان يسهب بوجه خاص في وصفه لدقائق الأزياء الانجليزية من النياب التي كان يرى السادة الانجليز والمحامون ، والحجاب ، ( الشابراسي ) ورجال الشرطة يردونها في محكمة المنطقة . حيث كان ينتظر ليعود متعلقا بمؤخرة مركبة « لالا هوكام شاند » ( الغايتون ) . ولقد صارحني - مرة أو مرتين - بسر رغبة كانت تساوره بأن يسرق بعض النقود من إبريق كانت أمه تحفظ فيه مكاسبه من حذفه لمهنته ، ليبثاع لنفسه زيا مثل الذي كان يرتديه طبيب الأسنان « كالان خان » الذي قال انه كان يقوم بالمعجزات في المدينة ، بتركيب أطقم من الأسنان . بل وعيون جديدة للناس . وقد وصف لي « شاندو » مظهر « كالان خان » : شاب يشعر يفرقه الى أحد الجانبين ، ويرتدي قميصا منشي وياقة عاجية ورباط عنق معقودا بشكل الفراشة ، وسترة سوداء ، وسروالا و « بنظرونا » مخططا بخطوط طويلة ، ومغطفا بديعا من المطاط وحذاء لا يحتاج الى رباط . وروى لي البراعة التي كان هذا الساحر يفتح بها حقيبته الشبيهة بالحافظة . كاشفا عن أدواته من الصلب البراق .

ثم سألتني رأيي بصدد ما اذا كان - كحلاق تعلم حتى الصف الخامس الابتدائي - يبدو أكثر وقارا هو الآخر . لو ارتدى زيا على نمط ما يرتدى الدكتور كالان خان . . . . .

وقال : « ذلك لأنني وان لم أكن طبيبا تلقى التعليم العالي ، أعرف كيف أعالج البثور ، والحبوب ، والجروح التي في أجساد الناس . . . تعلمت عن أبي الذي تلقى هذه المعرفة عن أبيه . »

وافقت على مشروعه وشجعته بالتحمس الذي كنت أستشعره نحو أي شيء يفكر فيه بطل أو يفعله . وذات يوم بهرت اذ وجدت « شاندو » عند باب بيتي في الصباح . كان يرتدي عمامة بيضاء ، ومغطفا من المطاط الأبيض ( أكبر من حجمه قليلا ، ولكنه مع ذلك كان بديعا جدا ) وحذاء انجليزيا محكما على القدم ، كان بوسعي أن أرى وجهي منعكسا عليه بوضوح لفرط لمعانه . وكانت في يده حقيبة جلدية . كان ينطلق لجولته ، وقد جاء ليريني مدى أبهته في زيه الجديد ،

قلت : « مدهشن ! . . . رائع ! » .

واندفع مسرعا نحو دار صاحب الأرض - اذ كان يحلق له لحيته كل صباح - وأنا خلفه معجب .

لم يكن في الطريق كثيرون في ذلك الوقت ، فكنت وحدي أسأهد أبهة شاندو - في زى كزي الأطباء - الا أنه هو نفسه كان يبدو مرتبكا أو محرجا بعض الشيء ، وهو يخطو في الطريق متحاشيا بحرص كتل روث البقر التي

كانت نسوة القرية يلصقنها بالجدران ، والماء القذر الذى كان ينساب خلال الميازيب .

ولكننا التقينا - حين دخلنا دار المالك - بديفى ، ابن المالك الصغير ، الذى صفق طربا ، وصاح معلنا قدوم شانود الحلاق ، فى زى فخيم جميل ، كالذى يرتديه السيد قس مدرسة الارسالية .

قال « بيجاي » شانود المالك الفظ ، وهو يمس الخيط المقدس المعلق فوق أذنه منذ أن ذهب الى المغسل : « رام !! رام !! رام ! » ثم أردف « يا لابن الخنزير !! .. أيدخل بيتنا بحقيبة من جلد البقر ، ومعطف من نخاع حيوان آخر ، لا أعلم ما هو !! وهذا الحذاء الأسود الانجليزى !! .. أخرج .. أغرب يا ابن ابليس ! .. انك تدنس الديانة بكفرك .. ما أحسب أن هناك من تخافه الآن وقد مات أبوك !! » .

قال شانود : « ولكننى ارتدى ثياب طبيب يا جاجير دار صاحب ( يا سيد الأرض ) » .

« أغرب أيها الخنزير .. ارحل والبس ثيابا تليق بوضعك الواطئ كحلاق ، ولا تدعنى أبصرك تمارس أيا من نزواتك المستحدثة ، والا سأم بجلدك !! » .

قال شانود بضراعة : « ولكن .. يا راي بيجاي شانود صاحب ! » . صرخ فيه مالك الأرض : « انصرف ! يا عديم النفع ! .. لا تزدد اقترابا والا اضطررنا لتطهير البيت كله بروث البقر المقدس ! » .

رجع شانود ، بوجه مكتئب . كان مبهوتا تماما ، ولم ينظر الى للخزى الذى شعر به من جراء اهانتته أمامى . واندفع صوب حائوت « ثانورام » تاجر « ساهوكار » القرية ، الذى كان يمتلك حائوتا للبدالة عند ناصية الحارة . وكان « ديفى » ابن مالك الأرض قد سارع يبكى لخشونة كلمات أبيه ، فوقفت أهدئه . وعندما وصلت الى ناصية الحارة رأيت « الساهوكار » وقد رفع طرفا من الميزان - الذى كان يزن به غلالا - فى احدى يديه ، وراح يوجه لشانود أقذع السباب « أيها الخنزير الصغير ، أذهب فتتنكر كمهرج ، فى حين أن الواجب أن تتحمل مسؤولياتك وترعى أمك العجوز . تذهب فترتدى الثياب الدنسة التى يرتديها أفراد المستشفى ! .. انصرف وارجع بثيابك اللائقة بك .. حينذاك سأدعك تقص شعرى ! » .

وتحسس - وهو يقول ذلك - خصلة الشعر المجدولة فى قمة شعر رأسه حسب الطقوس الدينية .



وبدا شانندو مطأطأ الرأس ، وجرى فى غضب جامع ، فتجاوزنى وكأنى المسئول عن هذا الحادث المؤسف وكدت أبكى اذ تصورت أنه أصبح يكرهنى لمجرد أننى أنتمى الى طائفة أعلى مستوى .

صحت وراءه : « اذهب للبانديت بارماناند ، وقل له ان الثياب التى ترتديها ليست دنسة » .

قال « البانديت بارماناند » وهو يخرج أهامى لتوه من دار مالك الأرض ، حيث كان من الواضح أنه استدعى لبحث هذه الحالة الطارئة المخالفة لقداسة الطقوس : « اذن فأنت متواطىء معه .. لقد أفسدكما التعليم الذى تلقيتما فى المدرسة أيها الصبيان ، قد يكون من الصواب لك أن ترتدى هذه الأشياء ، لأنك ستكون رجلا متعلما ، ولكن أى حق لهذا الصبى - ابن الطائفة الدنيا - فى أن يرتدى زيا كهذا ؟ ان مهنته تجعله يمس لحانا ورءوسنا وأيدينا .. لقد أراد له الله أن يكون دنسا بما فيه الكفاية ، فلماذا يريد أن يزيد نفسه دنسا ؟ انك من طائفة عليا يا صبى ، وهو شيطان من طائفة دنيا .. انه وغد ! » .

كان شانندو قد سمع هذا ، فلم يلتفت خلفه ، بل جرى مهتاجا ، وكأنه قد عقد العزم على تنفيذ غرض شغله أكثر مما شغله السباب الذى كان سببا لهربه . نادتنى أمى وقالت انه قد حان الوقت لكى أتناول طعامى وأذهب للمدرسة والا تأخرت . ولم تقو على مقاومة اغراء أن تعظنى ضد صحبتى للصبى الحلاق . ولكننى ظللت طيلة النهار متضايقا جدا لما أصاب شانندو ، فلما كنت فى طريق العودة من المدرسة . عرجت على الكوخ الذى كان يسكنه مع أمه . كانت أمه معروفة بأنها عجوز شرسة ، لأنها - كأمراة من طائفة دنيا - كانت تجسر على أن ترى أهل الطوائف العليا كما لم يجسروا يوما على أن يروا أنفسهم . وكانت جد لطيفة معى ، وان كانت قد اعتادت أن تكلمنى أنا الآخر بلهجة مزاحة اكتسبتها من المعاناة والمهانة اللتين قاستهما على مدى ستين عاما . وقد التفتت الى قائلة : « اذن فقد جئت .. أليس كذلك ؟ جئت تنشد صديقك .. لو أن أمك علمت بأنك جئت هنا ، لاقتلعت عيني ، لأننى ألقيت بصرى المششوم على وجهك الحلو .. وأنت .. أنت بالسذاجة التى تبدو بها ، أم أنك منافق مستخف لبقية قومك ؟ » .

قلت : « أين شانندو اذن يا أماه ؟ » .

قالت فى لهجة صادقة طيبة « لست أدري يا بنى .. لقد انطلق فى اتجاه المدينة ، ويقول انه اكتسب بعض النقود من الحلاقة لأناس على قارعة الطريق .. أنا لا أدري ماذا يدبر ، ولا أرى أنه ينبغى أن يغضب العملاء الذين اعتاد أبوه أن يخدمهم .. انه طفل . وتساوره نزوات غريبة ، ولا يخلق بهم أن يغضبوا عليه

انه مجرد صبي . أحسبك تريد أن نراه لتخرجنا معا للعب . حسن جدا ،  
سأخبره حين يانى . لقد انطلق فى الطريق لنوه فيما أظن » .

قلت : « حسن يا أماء » .. وذهبت لبيتي .

أرسل شاندو - بعد الظهر - صفيته المعتاد يستدعيني ، بالطريقة التى  
دبرناها لتفادى تآنيب الكبار الذى كانت صحبتنا تستثيره أحيانا .

قال : « تعال لنتمشى الى السوق ، فانى أود أن أتحدث اليك » .

ولم أكد أنضم اليه ، حتى شرع يقول :

« أتعرف ؟ .. كسبت روبية من الحلاقة وقص الشعر بقرب المحكمة  
هذا الصباح . ولو لم أكن مضطرا للعودة مبكرا متعلقا بظهر مركبة هوكام شاندو ،  
بعد الظهر ، لكسبت أكثر . ولكننى سألقن هؤلاء الأغبياء المترمتين درساً ..  
سأقوم باضراب .. فلن أذهب لميوتهم لأعنى بهم .. سأبتاع دراجة يابانية من  
المقامر ابن لالا هوكام شاندو بخمس روبيات ، وسأعلم ركوبها ، وأذهب عليها  
الى المدينة كل يوم . ألن أبدو فخما وأنا أركب الدراجة مرتديا معطى ، وحذاءى  
الجلدى الأسود ، وعلى رأسى عمامة بيضاء ، لا سيما أن فى مقدمة مركبتى ذات  
العجلتين مشجبا لأعلق فيه أدواتى ؟ » .

قلت : « نعم » .. ولقد وافقت وأنا فى بالغ السرور .. لا لأنى تمثلت أبهة  
شاندو على دراجته ، وانما لأننى شعرت بازدياد قربى من غاية طموحى ، إذ  
شعرت بأن شاندو إذا ظفر بدراجة ، فانه سيدعنى أركب الى المدينة على المقعد  
الصغير فوق العجلة الخلفية - على الأقل - أو على قضيب المحور الأمامى ، هذا  
إذا لم يدعنى أركبها وحدى أو يعيرنى اياها من آن لآخر .

تفاوض شاندو لشراء الدراجة باعتداد كشف لى عن مقدرة فى التعامل  
التجارى ما ظننت قط أنه يملكها ، نظرا لتهوره فى انفاق نقوده . وما لبث أن  
قال لى بصوت الواثق الذى يأتمنى على سر :

« انتظر يوما آخر أو يومين .. وسأريك شيئا سيضحكك كما لم تضحك  
من قبل » .

الحجت عليه ، فى نفاذ صبر إذ كان ايقاع الاثارة التى ملأت بها كيانى  
ما رأيته فيه من روح المغامرة . فقال :

« كلا ، انتظر لا أملك حاليا سوى التلميح . انه سر لا يعرفه سوى حلاق .  
والآن دعنى أبدأ مهمة تعلم استعمال هذه الآلة . امسك بها ريشما أعتليها ،  
وأخال أن الأمر سيكون على ما يرام » .

قلت : « ولكن ، ما هكذا تعلم ركوب الدراجة . ان أبى تعلم ركوبها من المشعب الذى فى الخلف ، كما أن أختى تعلم الركوب بأن حاول أولا حفظ التوازن على البدال » . فقال شاندى :

« ان أباك عوريل ثقیل ، وأخوك عنكبوت طويل الساقين » .

وأردف قائلا : « أما أنا فقد ولدت مقلوبا ، كما تقول أمى » .

أمسكت بالدراجة له ، ولكن قبضتى تراخت وأنا منصرف بأعجاب الى تأمل لمعة القضبان المصقولة . وإذا شاندى يقع - مع الدراجة - من الجانب الآخر . مرتطما بالأرض ، وانطلقت قهقهات من حانوت « الساهوكار » حيث اجتمع عدد من الفلاحين حول صاحب الأرض . وما لبث أن سمع صوت الساهوكار يصيح قائلا : « انك تستحق هذا أيها الوغد ابن عصر الحديد !! هشم عظامك ومث أيها المغرور ! بدون هذا لن تثوب الى رشذك ! » .

طاطا شاندى رأسه خزيا ، وتمتم يسبنى : « انك لا تصلح أيها الأحمق ! » مع أننى تصورت أنه سيقبض على عنقى ، وينهال على بالضرب المبرح ، لأننى السبب فى فشل محاولته . وما لبث أن تأملنى مبتسما فى حرج وقال : « سنرى من الذى يضحك أخيرا . . . أنا أم هم ؟ » .

قلت صادقا : « سأمسك الآلة بإحكام هذه المرة » . ورفعته من حيث كانت ملقاة .

وانبعت صوت مالك الأرض صائحا : « أجل ، هشم عظامك يا خنزير ! » فقال لى شاندى : « لا تكثرت ! سأريهم ! » . واعتلى الدراجة ، فبذلت كل قوتى لأحكام امساكى بها . ثم قال : « اتركها ! » ورفعته قبضتى .

كان قد دفع البدال بضغط من قدمه اليمنى الى أسفل ، ومع دوران العجلتين اذا به يميل الى أحد الجانبين بدرجة خطيرة . ولكنه دفع « البدال » الآخر ، فاذا الآلة تتوازن . مائلة الى اليمين قليلا فرأيت « شاندى » يرفع ردفه عن المقعد بطريقة أفزعتنى . وظل معلقا غير مستقر لحظة . واهتز مقبض الدراجة بخطورة . وراح يتمايل . وعند ذلك ارتفع مزيج صاخب من الضحك والسخرية من الجمع الموجود فى الحانوت ، وظننت أن شاندى سيؤوب بالخزى ازاء هذا الصخب ، ان لم يكن بسبب عجزه الكامل . على أن قدمى « شاندى » توصلتا - بمعجزة عجيبة - الى التناسق مع حركة « البدال » واستجاب مقبضا الدراجة ليديه المتصلبتين ، ومضى قدما وأنا أجرى وراءه أكاد أفجر رثتى ، وأنا أهتف بحماسة : « شوباسى ! » .

هكذا قطع نصف ميل ، ثم كرر الحيلة .

ومع أنني كنت تواقا جدا لأن أساطره متعة براعته التي اكتسبها حديثا ،  
فاننى لم أر شماندو فى اليوم التالى ، اذ أخذت من المدرسة مباشرة لزيارة عماتى  
فى « فيركا » .

ولكنه زارنى فى اليوم الثالث ، وقال انه سيرينى الحيلة المضحكة التي  
حدثنى عنها منذ أيام ، فأسرعت وراءه وأنا أسأله : « أخبرنى ما هي ؟ » .  
قال وهو يتوارى خلف فرن صانع الخزف بالقرية : « أنظر .. أنرى جمع  
الرجال الذين فى حانوت الساهوكار ؟ حاول أن تتبين من هناك ؟ » .

وتفرست فى الوجوه العديدة ، ثم تملكتنى الحيرة لحظة وقلت : « ليس  
هناك سوى الفلاحين وقد جلسوا فى انتظار مالك الأرض » .

قال : « انظر ثانية يا غبى ، وتبين .. ان صاحب الأرض هناك ، وقد  
شوه وجهه المستطيل الفكين القذارة البيضاء التي تغطى ذقنه نتيجة لعدم  
حلاقة لحيته » .

صحت فى جذل ، وقد دهشت للتناقض بين الشارب الضخم ( الذى كنت  
أعرف أن صاحب الأرض اعتاد أن يصبغه ) والغابة الكثيفة البيضاء على صدغيه :  
« ها ! ها ! .. » ورحت أقهقه : « ها ها يا للأسد السقيم ! .. » انه يبدو  
فى حالة سيئة ! » .

فهتف يحذرني : صه !! لا تحدث صخباً .. ولكن أنظر الى الساهوكار ..  
انه يبدو كالمجدوم وآثار التبغ تصبغ شاربه المهوش ، الذى كنت يوما ما أشدبه  
له .. والآن ، اجر أمام الحانوت وأنت تصيح :

« يا للقنادس (١) !! فراؤها يكسو الذقن والفم ! انهم لا يستطيعون أن  
يقولوا لك شيئا » .

كنت متهورا ، تلميذا لشاندو العفريت ، بدرجة لم تدعنى أنتظر لاتدبر  
... فرحت أصيح وأنا أجرى مارا بالحانوت حتى نهاية الرصيف بقرب شجرة  
« البانيان » : « يا للقنادس !! .. يا للقنادس !! .. القنادس !! » .

وانفجر الفلاحون المتجمعون حول الحانوت بالضحك كما لو كانوا يتنهفون  
شوقا أن يفعلوا على ما ظهر ، لأنهم كانوا قد لاحظوا الشعر الكث على وجوه  
الكبار ، وان لم يجسروا على أن يقولوا شيئا .

صاح الساهوكار : « امسكوه ! .. امسكوا الوغد الصغير .. » انه متحالف

---

(١) القندس - ويسمى السمور - حيوان قارض ، ذو فراء كثيف ثمين تصنع منه القبعات  
والملفحات .

مع ذلك الصبى الحلاق شانندو ! » • ولكننى كنت قد تسلفت شجرة البانيان بالطبع ومنها وثبت على سياج المعبد ، وصرخت فى الكاهن بما كنت أردد •

انتشرت شائعة اضراب الحلاق الصبى ، وأصبحت النكات حول لحي كبار رجال القرية الغير مشدبة حديث كل بيت • حتى أولئك المنتمين الى الطوائف العليا • بل حتى أفراد أسر علية القوم الذين أخذوا يقهقهون بالضحك من مظهر الكبار الرث ، ويتنبدون بملاحظات غير لائقة عن أشخاصهم • وقيل ان زوجة مالك الأرض – على الأقل – هددت بأن تهرب مع شخص ما ، لأنها كانت تحتمله – وهى تصغره بعشرين عاما – ما دام حريصا على أن يحافظ على مظهره ، ولكنها أصبحت تشمئز منه الآن الى درجة تتجاوز حدود الوفاق معه •

لقى شانندو اقبالا فى المدينة خلال هذه الايام ، وادخر نقودا ، بالرغم من انه ابتاع ثيابا وأدوات جديدة ، ومنحني عدة هدايا • ولقد هدهد كبار القرية بالعمل على سجنه جزاء اهاناته ، وأمروا أمه بأن تغضبه على الطاعة قبل أن يشكوه للشرطة متهمين اياه بمخالفته للأمن • ولكن أم شانندو كانت قد لمست – لأول مرة فى حياتها – حدود الرخاء ، فقالت لهم كل ما كان يدور فى خلدنا نحوهم ، بلهجة أكثر صراحة مما اعتادت أن تخاطبهم بها • حينذاك فكروا فى أن يحملوا حلاق « فيركا » على المجيء ليعنى بلحاهم ، وعرضوا أن يدفعوا له « آنا » (١) بدلا من « البيسين » الذين كانوا يدفعونها لشانندو • غير أن شانندو كان قد اهتمدى لفكرة جديدة هذه المرة ، أكثر جدوة من أية فكرة راودته من قبل • اذ انه قد رأى حانوت « نرينجان داس » – حلاق المدينة – فانصرف بذهنه الى مشروع افتتاح حانوت على حافة الطريق • عند رأس السوق ، بالاشتراك مع ابن عمه حلاق فيركا و « دهنو » الحلاقين فى نطاق سبعة أميال حول قريته • وقد عرض فكرته الجديدة على ابن عمه و « دهنو » والحلاقين الآخرين فى اجتماع خاص بمهنته ، وبفضل بلاغته ، الى جانب صفاته الأخرى التى ترتبط بالعقل أو الفؤاد ، فقد أقنعهم جميعا بأن الوقت قد حان لياتى اليهم كبار القرية للحلاقة ، بدلا من أن يسعوا هم اليهم كخادم يحرسون على ارضاء ساداتهم • • وتبع « صالون الاخوة الحلاقين » فى منطقة راجكوت لقص الشعر وحلاقة اللحي فكثير من النقابات الحرفية النشيطة ضمت العاملين فى نواحيها •

---

(١) الانا =  $\frac{1}{4}$  من الروبية – البيس pice  $\frac{1}{4}$  من الروبية والروبية =

قرشا تقريبا •



## عميل الشرطة

### عميل الشرطة

كان هناك سبعة منا ، بل لعلهم ستة ، لأن السابع كان مجرد صفر على الشمال في جماعتنا ، أو — على أكثر تقدير — مجرد تابع ، يفعل ما نفعل ، ويقول ما ننول . فان كان لدينا اجتماع مثلا ، طوال الليل لمناقشة وسائل وأساليب الاتصال بأصدقائنا في مختلف أنحاء البلاد ، فانه لا يبدي قط اقتراحا أصيلا ، وانما يجلس طوال الليل حتى وان كان عليه أن يغالب النوم كي يظل مستيقظا . وان قال أحدا أى شيء ، سواء أكان نافها أم عديقا ، فانه كان يردد الجزء الأخير من الجملة بالضبط للدلالة على الموافقة . وكانت طريفته في الكلام تجرى كالآتي . فاذا حدث أن قلت مثلا — « ان القلق هو العشب التحتي المتشابك للخوف » فانه كان يردد في صوت متخاذل ملول « القلق هو العشب التحتي المتشابك للخوف » . واذا قال السكرتير مثلا « ينبغي على كل منا أن يرى الناس ما يمكن أن تكون عليه صورة الرجل » فانه كان يكرر « نعم . . . ينبغي على كل منا أن يرى الناس ما يمكن أن تكون عليه صورة الرجل » ومع ذلك فلم يكن مجرد امعة ، يوافق على كل رأى مطروح ، لأنه في مكان ما في دخليته ووسط فترات نعاسه الطويل الصامتة كان يبدو أنه يعود بخطاه القهقري الى الأزقة الضيقة التي ولد فيها واسنقر بين أرجائها ، كأنه يجلس بين أطلال تراثه وكأنه سمع هدير صوت أبيه يؤنبه على بعض التقصير بينما كانت أمه تسرى عنه بعبارات المودة والأمثال السائرة الحلوة .

كان وسيما بشكل فريد اذا ما نظرت اليه ، بقامته التي تميل الى الطول والتي تعوض افتقاره الى الرشاقة ، وتصرف الأنظار عن صدره الضيق وكشفية المستديرين ومشيمته المتشاقلة وهو يجزر قدميه . وكان وجهه أسمر داكنا في استدارة وجه القمر . وكان ذا جبهة صغيرة وأنف بديع التكوين وشفتين ممثنتين

وعينين كبيرتين ، وان كانتا غائرتين دائبتى الحركة وكأنه يحاول أن يخفيهما .  
الا أنهما تفيضان رقة • وكان تأثير شخصيته ككل هو تأثير فرد ينوء ببعض  
الخوف المجهول أو بفكرة متسلطة تنحدر به الى عقلية النور من حيث التردد  
المتبلد الذى ينحصر خبثه فى غباء لا شعورى أكثر مما يتمثل فى النية المتعمده  
لايذاء أى شخص •

فقد كان عملا خبيثا من جانبه حقا أن يبلغ الشرطة بكل شئ عنا عندما  
هوجم المنزل الذى كنا نعيش فيه فى لاهور حيث اتهمنا « بالتآمر لحرمان جلالة  
الملك الامبراطور من سيادته على الهند وبشديد اسقاط الحكومة القائمة بمقتضى  
القانون ٠٠٠٠ الخ » • وهكذا أصبح الشخص الذى لم نعمل له حسابا على  
الاطلاق والذى كنا نعتبره كما مهملا لترديده الحقير العبي لكل عبارة لنا .  
شخصا هاما ومفتاحا لمصيرنا •

كانت التجربة شنيعة : ذلك أن رجال الشرطة وصلوا فى الفجر وصدموا  
بوجودهم على قمة المنزل الذى كنا نقيم فيه بطريق كوتشري • لم تكن نتوقع  
هذه الزيارة الرسمية المفاجئة ، اذ كنا حريصين حرصا معقولا بشأن تحركاتنا  
ولم نترك أثرا للنشرات التى كنا نوزعها الا أننا بعد أن فركنا أعيننا ، وبعد أن  
تمطينا بضع مرات والنعاس لا يزال يسيطر علينا ، وبعد أن أطلقنا بضع تنهدات  
أسفا على النوم الجميل فى النسيم العليل للصباح الباكر اللطيف الذى حرمانا  
منه فقد سلمنا أنفسنا دون ضجة ، وان كنا قد طالبنا بإبراز أوامر القبض  
علينا ، وأوضحنا نيتنا بإعلان أننا « غير مذنبين » عندما توجه إلينا التهمة • ولكن  
جوبال العضو السابع فى جماعتنا لم يبد أنه كان مذهولا بقدر ما كان مشرفا على  
الانهيار وعلى فقدان عقله تماما •

فبعد كونه ذلك الشخص المتبلد الاحساس ، التافه ، الفاقد للحياة ، الذى  
كانه دائما ، أصبح الآن بالغ الانفعال الى درجة الهستيريا •

قفز من فراشه وباندفاع غريب بدأ يتشقلب على طول السطح فى سلسلة  
من حركات بهلوانية لا نهاية لها وهو يزيد من فمه ويبكي بدموع كبيرة من عينيه  
الكبيرتين ويطلق فحيحا كالأفعى ، حتى وهو يهز رأسه كأنما ينفض الثقل المميت  
للأفكار التى طأطأت رأسه سنوات • وبعد أن تملص من قبضة رجال الشرطة  
ثلاث أو أربع مرات وتم احضاره فى النهاية الى فراشه ، ورحنا جميعا نحاول



تهدهته بكلمات طيبة ، وبالاحتجاج والغضب قفز من فراشه ثانية وراح يتشقلب وجلس فى وسط السطح وهو يضرب رأسه ويطحن أسنانه ويزبد بفزارة هازا رأسه لأعلى ولأسفل ، تم بالقاء نفسه الى الورا سقط على الأرض فى صوت مكتوم واستلقى فى سكون حزين . ورحنا جميعا نعجب ان كان صرعا أم أنه ينفض متاعب مليون سنة من الألم . ولكن بينما كان رجال الشرطة يرفعونه باجبار وخشونة فقد أثارهم بعناده فبدأ يطلق الاعترافات والبخار العاطفى ويلتمس الرحمة ويلقى باتهامات قد تكون مفيدة للشرطة .

قال : « لقد دبرتموها جيدا دون تفكير فى تبعات مخططاتكم ودون أى تفكير فى أنه ينبغى أن نعدم شنقا بواسطة « الساركاز » قلتم الحرية . . . . . والخلاص ولكنكم حتى لم ترتابوا فى أن الناس الذين كنتم تتحدثون عنهم كانوا سادجا وريفيين أجلافا عاجزين عن التقدير . . قال هانز :

« اقفل فمك ولا تكن بورجوازيا صغيرا أحمق » . . وانطلق يقول :

« لقد ظننتم أنكم كنتم جميعا بارعين فى التهرب من القانون . . واننى كنت أحمق لأننى انضمت اليكم . . سأبعثر القول الآن ( سيقول للشرطة كل شئ » ، أيها الشياطين الكبار المتأهرون ، كنتم بيروقراطيين صغارا ، لم تجسروا حتى على المطالبة بالدم ، بل كنتم ستنظرون يوم القيامة » .

« أنت مجنون » كان هذا كل ما قلناه وتركناه « يكشف الحقيقة !! » وأثناء محاكمتنا ظننا أنه سيتمحول الى مؤيد للاتهام وأن يخلى سبيله فى سهولة ولكن من الغريب فيما عدا الفترات الجنونية من الاساءة المتحدة التى كان يلقيها علينا ، والتى كان يتخللها ابتسامات لطيفة ، ونهنية وعواصف من الانفعال الساخط التى لا يمكن التحكم فيه ، فانه راح يردد الشهادة التى أدلينا بها بأسلوبه المألوف فى الأيام القديمة التى تحالفنا فيها كلنا معا .

حكم علينا جميعا بعشر سنوات من الأشغال الشاقة للكل ، وهو حكم مصدحوب ببيان من القاضى يقول فيه بأنه رغم أنه لم يكن هناك دليل يثبت أننا ارتكبنا أى عنف فقد اختفينا اختفاء مريبا لمدة عام واننا حاولنا تنظيم العمال لأغراض قد تكون هدامة لسلامة المملكة !!

ولا حاجة للقول بأن قسوة هذا الحكم جاءت كصدمة لنا ، ولكن كل

ما أمكننا أن نفعله هو أن نتقبله وأن نأمل أن أصدقاءنا سيعرفون استئنافنا  
نيابة عنا .

ولم يسهر جوبال كما فعل وقت اعتقالنا المشمرك ، والواقع أنه ظل هادئاً  
مهدوا ملحوظاً .

ولكن بينما كنا يعاقب بعضنا البعض لأننا كنا نظن أننا قد لا نلتقي ثانية  
لسنين عديدة إذا ما أرسلنا إلى سجون مختلفة بالدولة لننفذ أحكامنا كل  
فيما يخصه ، أقبل علينا وألقى بنفسه على الأرض وانحنى أمامنا بيدين  
مشابكتين ، ثم لمس التراب عند موطئ أقدامنا ببيديه ومسحه على جبهته وشبك  
يديه ثانية وفي صوت مسرجم بالغ الرقة قال :

« اعفوا عني أرجوكم .. اعفوا عني أيها الأخوة » وأنهضناه بسرعة وقلنا  
أنه ليس هناك ما يدعو للعفو :

« ليس هناك ما يدعو للعفو » هكذا راح يردد المقطع الأخير من كلامنا  
إليه . كما كان من عادته أن يفعل .

## ٠ ك٠ ناريمان

ولد ر٠ ك٠ ناريمان عام ١٩٠٦ فى مدراس ٠ كان واحدا من تسعة أنجال لعائلة عالية القدر من طائفة البراهمة ٠ وكان والده مدرسا ٠

تلقى ناريمان تعليمه فى مدراس ولكنه « كان يمقت المدرسة ولم يتعلم أى شىء هناك » وحصل على شهادة البكالوريوس فى الآداب فى جامعة ماهاراجا فى ولاية ميسور عام ١٩٣٠ وكان عمره حينذاك أربعة وعشرين عاما ٠ تزوج عام ١٩٣٤ وفقد زوجته عام ١٩٣٩ ٠

وكان ناريمان يريد من صباه أن يكون كاتباً ٠ قرأ الادب الروسى ولكنه ليس من المعجبين بتولستوى ، بل بأعمال هوجو ودوماس ، وه٠ ج٠ ويلز ، وى٠ م٠ فورستر و د٠ ه٠ لورنس ٠ وبمساندة جراهام جرين ظهرت أول رواية له فى لندن عام ١٩٣٥ وكانت « سوامى والأصدقاء » ٠ وكتب جراهام جرين فى مقدمته كتاب ناريمان الثانى والذى كان اسمه ( الحاصل على درجة البكالوريوس ) « لقد كان للسيد ناريمان الفضل فى أنه كان أول من قدم لى الهند فى كتابه « سوامى والأصدقاء » بمفهومها السكانى وطريققتها فى الحياة وهى تنبض بالحياة ٠ ان رواياته تزيد معلوماتنا الشخصية عن الشخصية الهندية بالقطع ولكننى أفضل أن اعتبر هذه الروايات اسهاما فى الادب الانجليزى ٠ اسهاما بالغ النضج » ٠ وكان الفضل فى تقديم ناريمان للقارىء الأمريكى عام ١٩٥٢ يعود الى مطبعة جامعة ولاية ميتشيجان التى بدأت فى نشر مؤلفاته المبكرة وهى تشمل بجانب « سوامى والأصدقاء » رواية « الحاصل على بكالوريوس فى الآداب » ( عام ١٩٣٧ ) و « الغرفة المظلمة » ( ١٩٣٨ ) و « يوم فى حياة منجم وقصص أخرى » ( ١٩٤٧ ) و « مستر سام باث » ( ١٩٤٩ ) و « الخبر المالى » ( ١٩٥٤ ) و « فى انتظار المهاتما » ( ١٩٥٥ ) وأحدث كتبه هى « الدليل » ( ١٩٥٨ ) و « آكل البشر من ليجودى » ( ١٩٦١ ) و « الآلهة والشياطين وغيرهم » ( ١٩٦٤ ) ٠

وقد ربحته قصته « الدليل » جائزة أكاديمية ساهيشيا عام ١٩٦١ وهي نهاية الطموح الذى يتطلع اليه الأدباء فى الهند .

تتميز كتابته بروح الدعابة والتهكم غير الجارح وبطابع هندى فريد وبساطة هى قمة السحر والأصالة .

وأعماله خالية تماما من كل الايديولوجيات . انه لا يعظ ولا يعطى دروسا فى الأخلاق ، بل يلاحظ ويسجل .

كان نارايان متواضعا الى أقصى الحدود فقد كتب يقول :

« اذا توقف المرء ليفكر ، فسيجد أنه لا شئ ذا قيمة ، يمكن أن يقوله عن نفسه » .

## يوم فى حياة منجم

### يوم فى حياة منجم

فى موعده المقرر عند الظهيرة تماما فتح حقيبته ونشر أدواته الحرفية أمامه ، والتي كانت تتكون من اثنتى عشرة صدفه مختلفه وقطعة مربعة من القماش عليها رسوم وخرائط غيبية غامضة ، ودفتر ولقافات من المخطوطات القديمة .

وكان يزين جبهته بالرماد القرمزى المقدس ، وكانت عيناه تومضان ببريق حاد غير طبيعى كان فى حقيقته نتاج نظرات مستمرة تبحث عن عملاء ، ولكن عملاءه البسطاء خالوها نور نبوة وشعروا براحة واطمئنان .

وكان لموقع عينيه أثر ملموس فى زيادة حدة بريقهما فقد كانتا بين جبهته المطلية ولحيته السوداء المسترسلة على وجنتيه ، فحتى عينى أبله كانتا ستومضان لو وضعتا فى ذلك الاطار . ولكى يتوج هيئته وتأثيره فانه تعمم بعمامة زعفرانية حول رأسه . ولم تفشل خطة الألوان هذه قط !! فقد انجذبت اليه الجماهير كما ينجذب النحل الى زهرة الكوسموس أو زهرة الداليا .

كان يجلس تحت أغصان شجرة تمر هندي مورقة على جانب درب يخترق حديقة بلدية المدينة . وكان مكانا ممتازا من وجوه عدة ، فقد كان الدرب الضيق يزخر بالمارة جيئة وذهابا من الصباح للمساء .

وعلى طول الطريق كانت توجد مختلف أنواع التجارة والحرف . . . . . بائعى أدوية ، بائعى أدوات حديدية مسروقة وخردة . . . . . سحرة وفوق كل هذا بائع بالمزاد للملابس الشعبية الرخيصة كان يثير ضوضاء وضجة تجذب اليه كل المدينة طوال اليوم . ومائله فى احداث الضوضاء بائع فول سودانى كان يطلق على بضاعته كل يوم اسما رنانا فيسميها يوما « مثلجات بومباى » وفى اليوم التالى

يطلق عليها « لوز دلهي » وفي اليوم الثالث يسميها « حلويات الراجا » وهكذا .  
وتوافد عليه الجمهور وتلكأ قسم كبير منهم أمام المنجم أيضا .

وكان المنجم يمارس عمله بالقرب من لهيب يقطعق ويعلو دخانه على كومة  
الفول السوداني القريبة . وكان نصف سحر المكان يعزى الى أنه لم ينتفع بأضاءة  
البلدية . وكان المكان يضاء بأضواء الحوانيت وكان لحانوت أو حانوتين مصابيح  
غازية لها أزيز خفيف والبعض الآخر كان لديه مشاعل عارية ملتصقة بقوائم  
خشبية وأخرى بها مصابيح دراجات قديمة . وحانوت أو حانوتان أمكنهما العمل  
كالمنجم . . . دون أضاءة ذاتية . وكان المكان خليطا مدهشا من اشعاعات الضوء  
والظلال المتحركة . وكان هذا يناسب المنجم تماما لسبب بسيط . . . . . ذلك أنه  
لم تكن لديه أية نية لأن يكون منجما عندما بدأ حياته ، ولم يكن يعلم ما سوف  
يحدث للآخرين أكثر مما كان يعلم عما سيحدث له في الدقيقة التالية . . . وكان  
غريبا عن النجوم غرابة عملائه الأبرياء ولكنه قال أشياء أسعدت وأدهشت الجميع  
وكان هذا — في الجانب الأكبر دراسة وممارسة وتخمين ذكي ماهر .

وعلى كل حال كان عمله شريفا كأي عمل آخر . وكان يستحق الأجر الذي  
كان يعود به لمنزله في نهاية اليوم .

كان قد غادر قريته دون تفكير سابق ودون تخطيط ولو بقى هناك لكان لزاما  
عليه أن يعمل عمل أجداده أى فلاحا الأرض والحياة والزواج والوصول الى  
مرحلة النضج فى حقل قمحه وبيت أجداده . ولكن ذلك قدر له ألا يكون فقد  
اضطر أن يترك منزله دون أن يخطر أحدا ، ولم يستطع أن يستريح قبل أن  
يتركه وراءه بمائتين من الأميال ، وهذا بعد كبير بالنسبة الى قروى ، فهو فى  
تقديره بحر واسع بينه وبين موطنه .

وكانت لديه قدرة على تحليل متاعب البشر . . . . . زواج . . . . . مال . . . .  
روابط انسانية معقدة ، وكانت الممارسة الطويلة المدى قد أوقدت بصيرته . . . .  
ففى خلال دقائق خمس كان يفهم كنه الخطأ . وكان يتقاضى بيتا ثلاث نظير  
كل سؤال .

ولم يكن ينبس ببنت شفة اطلاقا حتى يتحدث الآخر لدقائق عشر على  
الأقل تلمه بمعلومات تكفى عددا من الأجوبة والنصائح . ولما كان يقول للشخص  
الجالس أمامه ، وهو يحملق فى كف يده الممدودة : « انك — من نواح كثيرة —  
لا تجنى ثمار جهدك بالكامل » فان تسعة من عشرة يوافقون على قوله .

أو كان يسأل : « هل هناك امرأة فى أسرتك — ربما كانت من أقربائك  
البعيدين — لا تتمنى لك الخير ؟ » .

أو يقدم تحليلًا للشخصية قائلا :

« ان معظم مناعبك ، سببها طبيعتك .. وكيف تكون غير ذلك ؟ وزحل في المكان الذي هو فيه الآن ! ان لك طبيعة مندفة مظهرًا خشنا » . وكان هذا يقربه الى قلوبهم في الحال لأنه حتى أرقنا مظهرًا يود أن يتخيل ذا مظهر مرعب .

وأطفأ بائع الفول السوداني سعلته ونهض ليعود لبينته ، وكانت هذه إشارة لصاحبنا المنجم كي يطوى لفافته كذلك حيث انه قد تركه في الظلام فيما عدا بصيص خافت من ضوء أخضر تسرب من مكان ما ولامس الأرض أمامه . فجمع المنجم صدقاته وودعه ومتاعه وهم بوضعها في جواله وحينئذ خبا ضوء اللهب الأخضر فنظر لأعلى ورأى رجلا يقف أمامه . واستشعر احتمال عميل له وقال :

« يبدو عليك أنك مضنى بالهموم وسيفيدك أن تجلس قليلا ونتجاذب أطراف الحديث معي » ..

ورد الثاني ردا مبهما غامضا .. وكرر المنجم دعونه حينما مد الثاني كف يده تحت أنفه قائلا :

« أتدعو نفسك عرافا ؟ » ..

وشعر المنجم بالتحدي وقال وهو يقلب كف الرجل ناحية بصيص الضوء الأخضر :

« ان طبيعتك .. » ورد الآخر :

« كف عن هذا .. قل لي شيئا يستحق القول » .

وشعر صاحبنا بالاستياء وقال :

« اننى أتقاضى بيات ثلاث عن السؤال ، وما تحصل عليه يوازي ما تدفع ويزيد عنه » وحينئذ سحب الثاني ذراعه وأخرج قطعة نقدية من فئة الأنا « عشر بيات » وألقاها اليه قائلا :

« لدى بضعة أسئلة لك ، واذا استطعت أن أثبت أنك مخادع فيجب عليك أن تعيد الى تلك القطعة مع فوائدها » .

« واذا وجدت اجاباتي مرضية فهل تعطينى خمس روبيات ؟ » .

« لا .. » .

« أو تعطينى ثمانى أنات ! » .. وقال الغريب :

« أوافق .. بشرط أن تعطينى ضعف ما سأدفع اذا أخطأت » .

وقبل الطرفان هذا الاتفاق بعد مشاورة وحوار قصير .

وابتهل المنجم بصلاة للسماء بينما أشعل الآخر لفافة تبغ وعلى ضوء عود  
الثقاب لمح المنجم تقاطيع وجه الرجل الآخر .

وتوقفوا عن الكلام لحظات علا فيها ضجيج السيارات فى الطريق وارتفعت  
أصوات سائقي العربات وهم يتبادلون السباب وعلا ضجيج المارة فى الطريق .

كل هذا عكر صفو الظلام شبه الكامل الذى كان يخيم على المنتزه .

وجلس الآخر أرضا وهو يجذب نفسا من لفافته وينفثه .

وشعر المنجم بضيق شديد وقال :

« هيا .. خذ نقودك ثانية .. أنا لست معتادا على هذا النوع من التحدى ..  
لقد تأخرت اليوم أكثر مما يجب » .

وهم بجمع حاجياته فأمسك الآخر برسغه قائلا :

« لا يمكنك أن تتراجع الآن .. لقد استدرجتني اليك وأنا مار من  
أمامك » .

وارتجف المنجم من قبضة الرجل واهتز صوته وخفت وهو يقول :

« دعنى اليوم ... وسأتحدث معك باكر » .

ودفع الآخر راحة يده أمام عيني المنجم قائلا :

« التحدى هو التحدى ... هيا استمر » .

وأكمل المنجم كلامه وهو يشعر بفصّة فى حلقة :

« هناك امرأة ..... وأوقفه الآخر قائلا :

« كفى .. لا أريد سماع شيء من كل ذلك .. هل سأنجح فى مسعى  
الحالى أم لا ؟ .. أجب على هذا السؤال وامض لحالك .. والا فلن أدعك تذهب  
حتى تلفظ كل نقودك » .

وهمهم المنجم ببضعة تعاوينه وأجاب :

« حسنا .. سأحدث .. ولكنك ستعطيني روية كاملة اذا اقشعبت بحدينى  
والا لن أفتح فمى .. ويمكنك أن تفعل ما تشاء » .

وبعد قدر غير قليل من المساومات وافق الآخر . وقال المنجم :

« لقد تركت على فرض أنك قد فارقت الحياة ... أليس كذلك ؟ » .



- « آه ٠٠٠٠ زدنى » ٠٠ وقال المنجم :
- « لقد طعنت بمدية مرة » .
- « انك رائع ! » وعرى صدره ليظهر ندبة الجرح ثم قال :
- « وماذا أيضا ؟ » .
- « ثم دفع بك الى بئر قريب فى حقل وتركت هناك على أنك ميت » .
- وصرخ الآخر وقد غلبته الحماسة :
- « كنت سأهوت فعلا لو لم يتصادف أن نظر مار الى داخل البئر » .
- ثم أردف وهو يضم قبضتيه :
- « متى سيقع فى قبضتى ؟ » ٠٠ وأجاب المنجم :
- « فى العالم الآخر ٠٠ لقد توفى منذ أربعة أشهر فى مدينة بعيدة ولن نرى له أثرا بعد اليوم » وزمجر الثانى عند سماعه ذلك ٠٠ وأكمل المنجم :
- « جورو نياك » ٠٠٠٠ « أو تعرف اسمى ؟ » « كما أعرف كل شىء آخر !! »
- جورو نياك ٠٠ استمع باهتمام الى ما سوف أقوله لك ٠٠ ان قريرتك على بعد سفر يومين شمالا من هذه المدينة ٠٠ اركب القطار التالى واذهب ٠٠ اننى أرى للمرة الثانية خطرا داهما يحيق بحياتك اذا تركت موطنك » .
- قال هذا وأخرج قدرا من الرماد المقدس وقدمها اليه قائلا :
- « امسح بها على جبهتك واذهب لبيتك واياك والرحيل للجنوب ثانية وستعيش اذا استجبت لهذه النصيحة حتى تبلغ المائة » .
- وقال الآخر كمن يفكر بصوت عال :
- « ولماذا أغادر بيتى ثانية ؟ كنت أسافر بين الحين والحين لأبحث عنه وأسلمه حياته لو قابلته » وهز رأسه بأسى قائلا :
- « لقد أفلت من قبضتى وأرجو على الأقل أن يكون قد مات بالطريقة التى يستحقها » .
- وأجاب المنجم : « نعم ٠٠ لقد دهمته سيارة نقل كبيرة » .
- وظهر الارتياح على وجه الرجل الآخر عندما سمع هذا . وكان المكان قد أصبح خاويا عندما جمع المنجم حاجياته ووضعها فى جواله وكان الضوء الأخضر قد اختفى كذلك تاركا المكان غارقا فى الظلام والسكينة .

رابع الظلام الرجل الآخر بعد أن دس بعض الدريهمات فى يد المنجم .  
 وكان الليل قد قارب منتصفه حين وصل المنجم الى منزله وكانت امرأته  
 منتظرة على باب البيت واستفسرت منه عن سبب تأخره .  
 وانتهى اليها بالنقود قائلا : « احصيتها .. لقد أخذتها كلها من رجل  
 واحد .. » وقالت وهى نحصى النقود وقد عمها الفرح :  
 اننا عشرة أنة ونصف .. ساستطيع أن أبتاع بعض السكر الأسمر  
 وجوز الهند باكر فان الصبية كانت تلح فى طلب بعض الحلوى فى الأيام  
 الأخيرة . وساعد لها باكر طبقا شهيا » .  
 وقال المنجم : « لقد خدعنى ذلك المحتال .. لقد وعدنى بروبية « ١٦ أنا »  
 ونظرت زوجته اليه قائلة :  
 يبدو عليك الهم .. ما خطبك ؟ » وقال « لا شيء » .  
 وبعد العشاء وعلى مقعده الطويل قال لها :  
 هل تعلمين أن عبثا ثقيلا قد انزاح عن كاهلى اليوم .. لقد ظننت أن  
 يدى ملفحتان بدماء رجل كل هذه السنين .. وكان هذا هو سبب هروبى من  
 موفنى حين جئت الى هنا ونزوجتك .. انه حى » .. وشهقت قائلة :  
 هل حاولت أن تقتل ؟ » .  
 نعم .. فى قريتنا عندما كنت شابا طائشا .. لقد شربنا وقامرنا  
 وتشاجرنا يوما بعنف .. لماذا نفكر فى ذلك الآن .. لقد آن أوان النوم » .  
 قال ذلك وهو يتنأب ويتمطى فى مقعده الطويل .

## الكلب الضريب

### الكلب الضريب

لم يكن في هيئته ما يستوقف النظر ، ولا كان من فصيلة ممتازة • كان كلبا عاديا يراه المرء في كل مكان • لونه أبيض ترابي ، شبه شخص غير معروف ذيله في سن مبكرة • ولدته أمه في الطريق وتربى على الفضلات وما يترك من البقايا في السوق •

وكانت له عينان مرقطتان وقامة غير متميزة وفيه حب للقتال دون هدف وقبل أن يبلغ العامين كان قد حمل مئات من آثار الجروح في جسده وعندما كان يحتاج للراحة بعد الظهيرة في الأيام الحارة ، كان يتكور تحت الجسر الذي يجرى من تحته الماء عند الباب الشرقي للسوق • وفي المساء كان ينهض ليبدأ جولاته اليومية متسكعا في الطرقات والأزقة ، شاغلا نفسه بالمناوشات ، منتقلا ما يصلح لأكله من جوانب الطرق ثم يعود لبوابة السوق عند حلول الظلام •

واستمرت حياته هكذا لسنين ثلاثة ثم حدث فيها تغير فان شحاذا أعمى العينين ظهر عند بوابة السوق وكانت امرأة عجوز تقوده الى ذلك المكان في الصباح المبكر وتجلسه عند البوابة وتعود اليه ظهرا ببض الطعام وتجمع نقوده ثم تعود به في المساء •

وكان الكلب ينام قريبا منه وقد أثارت شهيته رائحة الطعام فنهض وخرج من مكانه ووقف أمام الرجل الضريب يهز ذيله وهو يحملق - آملا - الى الوعاء بينما كان الرجل يتناول طعامه القليل • ومد الضريب ذراعيه متحسسا وتساءل : « من هناك ؟ » عندئذ دلف الكلب اليه ولحق يده الممدودة ، ومرر الرجل يده على ظهر الكلب برفق من ذيله الى أذنه وقال :

« ما أجملك !! تعال معي » وقذف اليه بقبضة من الطعام التهمها الكلب

شاكرا ولعل هذه اللحظة كانت لحظة مواتية لبدء صداقة بين الاثنين . وتقابلا كل يوم هناك . واقتطع الكلب الكثير من تجواله بقرب الرجل ويراقبه وهو يتناول الصدقات من الصباح الى المساء .

وبملاحظة الكلب له خلال هذا الوقت الطويل فهم الكلب أن المارة يجب أن يقدموا قطعة من النقود ، ومن كان منهم يمر دون أن يلقي بشيء الى الرجل ، كان الكلب يطارده ويمسك طرف ثوبه بأسنانه ويجذبه الى الوراء ثانية نحو الرجل الضريير عند بوابة السوق ولا يتركه حتى يلقي بشيء فى الوعاء .

وكان من بين المترددين على ذلك المكان صبي صغير من الريف تقمصتا «شقاوة» شيطان ، وكان مفرما بانارة الرجل الضريير فكان يوجه اليه الشتائم ويحاول خطف ما فى وعائه من قطع نقدية ، وكان الرجل الضريير يصرخ ويسب ويلوح بعصاه ولكن بلا جدوى .

وكان هذا الصبي يظهر عند بوابة السوق فى أيام الخميس وهو يحمل فوق رأسه سلة مملوءة بالخيار أو بالموز الهندى . ولذلك كان الرجل الضريير يواجه أزمة فى حياته دائما بعد ظهر كل يوم من أيام الخميس .

وكان يقاسم الضريير تحت قوس المدخل بائع روائح عطرية زاهية الالوان – وان كان مشكوكا فى سندها – يعرض بضاعته على منصة ذات عجل ، وآخر ينشر بعض كتب القصص الرخيصة على جوال من الخيش ، وثالث يبيع أشرطة ملونة محملة على اطار كبير حسن الصنعه .

وفى يوم خميس عندما ظهر الصبي على باب السوق أبدى أحدهم ملاحظ قائلا :

« أيها الرجل الضريير ها قد أقبل سوط عذابك ! » وصاح الضريير

« يا الهى . . . أخميس اليوم ؟ » ومد الضريير يديه حوله صائحا :

« أيها الكلب . . . يا كلب . . . احضر هنا . . . أين أنت ؟ » .

وأصدر ذلك الصوت الغريب الذى أحضر الكلب الى جانبه وأملس يده على رأسه وتمتم قائلا : « لا تدع هذا الوغد الصغير » . وفى هذه اللحظة بالذات أقبل الصبي ومسحة خبت تطوف بوجهه .

« أيها الرجل الضريير . . . ألا زلت تتظاهر بأنك لا أعين لك ؟ اذا كنت حة ضرييرا فلن تعرف هذا أيضا » . وتوقف ويده فى طريقها الى وعاء الرجل وقفز الكلب عليه وأعمل نابيه فى رسغه . وانتشل الصبي يده بسرعة وول الأديار ناجيا بحياته وقفز الكلب وراءه وطارده حتى خارج السوق . وعجم بائع العطر صائحا :

« أرايتم اخلاص هذا الكلب المخلط لذلك الشخص الكهل ؟ » وذات مساء لم يظهر السيدة العجوز فى موعدها العادى ، وانتظر الضريير عند البوابة وقد قلق حين تحول الضيق الى ليل . وبينما كان جالسا هناك وقد استبد به القلق اذ قدم أحد جيرانه قائلا :

« سامى . . . لا تنتظر المرأة العجوز ، فلن تراها ثانية . . . لقد توفيت بعد ظهر اليوم » .

وفقد الضريير المأوى الوحيد الذى كان يأويه ، والشخص الوحيد الذى كان يهنم به فى هذا العالم .

واقترح بائع الأشرطة وهو يقدم له بضعة أشبار من القيطان السميك : « خذ هذا الحبل الأبيض وسأعطيك اياه بلا مقابل . . اربطه بالكلب ، ودعه يقودك ان كان حقا مغرما بك كما يبدو » .

وكانت هذه نقطة تحول فى حياة الكلب وأخذ مكان المرأة العجوز . وفقد حريته تماما . وتحددت دنياه بحدود طول ذلك الحبل الأبيض الذى أعطاه له بائع الأشرطة . وكان عليه أن ينسى تماما حياته السابقة وجولاته القديمة . وببساطة كان عليه أن يبقى أبدا فى نهاية ذلك الحبل .

وعندما كان يشاهد كلابا أخرى – صديقة أو عدوة – كان يقفز غريزيا بلا وعى جاذبا الشريط ، وكان هذا دائما وأبدا باعثا لركلة من سيده :

« أيها الوغد . . . أتريد أن تطرحنى أرضا ؟ أين ادراكك ؟ » .

وفى غضون أيام قليلة تعلم الكلب كيف يكبح غرائزه ونزعاته وأقلع عن الالتفات الى الكلاب الأخرى – حتى ان جاءت اليه وزمجرت على مقربة منه – وهكذا فقد مدار حركته وصلاته مع بنى جنسه .

وبمقدار ما خسر . . . . كسب سيده . لقد تحرك وانتقل كما لم يتحرك فى حياته من قبل ، طوال اليوم كان على قدميه يقوده الكلب . وتعود الناس أن يروه وهو خارج من منزله الجديد الذى انتقل اليه بعد موت العجوز ، وهو ركن فى شرفة مهيب ، لا يبعد الا أمثارا قليلة من السوق ، وهو يحمل عصاه فى يد ، ويمسك فى اليد الأخرى بالحبل الذى يقوده به الكلب .

وكان يبدأ فى الصباح الباكر واكتشف أنه يستطيع أن يضاعف دخله لو تحرك بدلا من البقاء ساكنا فى محل ثابت . وسار فى الشارع المقرب وكان كلما سمع أصوات بشر يقف ويمد يده للصدقة . . حوانيت . . مدارس . . مستشفيات . . فنادق . . لم يترك شيئا . . وكان يجذب الحبل كلما أراد من الكلب التوقف ويصيح كسائق ثور المحراث عندما يرغب فى السير .

وحمل الكلب قدمي الضريير من التعثر في الحفر أو الاصطدام بالدرجات أو الصخور وقاده خطوة خطوة الى بر السلامة وعبر الدرج .

وكان الناس يتصدقون بالنقود لهذا المنظر ويساعدون يد المساعدة .

وتجميع الأطفال حوله وكانوا يقدمون له بعض الطعام .

والكلب مخلوق نشيط أساسا يفضل بين جولاته المنبهة بفترات راحة منتظمة ، ولكن الآن فان هذا الكلب - وسيعرف ابتداء من الآن باسم النمر - فقد كل راحته ، وكان يسربح فيدل عندما كان الضريير ينام وقد التفت مقود الكلب حول أصبعه وكان يقول للكلب : « لا يمكن أن أخطر بما يمكن أن تفعل ! » .

وتملك سيده رغبة عظيمة في أن يربح أكثر مما كان يفعل من قبل ولذلك اعتبر أن أى راحة هي مضيعة للفرص واضطر الكلب أن يبقى على قدميه باستمرار ، وفي بعض الأحيان كانت قدماه ترفضان الحركة ، ولكن ان حدث وأبطأ قليلا فان سيده كان يلكره بعصاته بعنف وغلظة وكان الكلب يعوى ويزأر من وطأة اللكمة وكان الضريير يسب الكلب قائلا :

« لا تعو أيها الوغد .. ألا أطعمك ؟ أتريد أن تتسكع ؟ أليس كذلك ؟ » .

وكان الكلب يتحرك بثقل جيئة وزهابا طولا وعرضا خلال السوق بخطوات بطيئة وهو مقيد الى الطاغية الضريير . وبعد أن تجاوز حركة المرور في السوق بوقت طويل فانك كنت تسمع عويلا بعيدا يخرق أجواز الليل للكلب منك . وفقد الكلب شكله الأصلي وبمرور الأشهر برزت عظام ظهره وضلوعه وغار لحمه في جسده النادوى .

ولاحظ بائع الشرائط وبائع القصص الرخيصة وبائع العطور ذلك في أحد الأمسيات حينما خبا النشاط وعقدوا مؤتمرا فيما بينهم . وتساءل بائع الأشرطة الملونة :

« إنه ليحزن في قلبي أن أرى ذلك الكلب المسكين وقد أذلته العبودية .. ألا نستطيع أن نفعل شيئا ؟ لقد بدأ ذلك الوغد يقرض النقود بالربا ، ولقد سمعت ذلك من بائع الفاكهة .. انه يربح أكثر مما يحتاجه ، ولقد تقمصه شيطان الجشع » .

وفي هذه اللحظة وقعت عين بائع العطور على المقص في منصة الشرائط وقال : « ناولنى اياه » وتقدم والمقص في يده .

وكان الرجل الضريير يمرق أمام البوابة الشرقية وكان الكلب يجذب المقود وكانت هناك قفلة من المعالام ملقاة على جانب الطريق وكان الكلب يجاهد في

الوصول اليها واشتد ضغط المقود على يد الضرير فألمها فجذب المقود بشدة وركل بشدة حتى ان الكلب عوى وعوى ولكنه لم ينجح فى الوصول الى قطعة العظم وحاول أن يندفع ثانية ناحيتها وكان الرجل الضرير يصب لعناته عليه ، وتقدم بائع العطور وأعمل مقصه فى الشريط وقضه • وقفز السعيد والتقط العظمة ، وتسمر الضرير فى مكانه لا حراك به وقد تدلى النصف الآخر من المقود فى يده وصاح :

« نمر •• نمر •• أين أنت ؟ » وسار بائع العطور مبتعدا بهدوء وهو يتمتم :

« أيها الشيطان القاسى القلب •• لن يكون لك أبدا بعد اليوم •• لقد حصل على حريته • »

وانطلق الكلب بأقصى سرعة وتشتم الحفر بسعادة واندفع نحو الكلاب الأخرى وطاف مرارا حول نافورة المياه فى ميدان السوق جاريا •• نابجا •• وعيناه تلمعان من الفرح وعاد جولاته المختلفة وتردد على حانوت بائع اللعجون والمخبز ومشرب الشاي •

ووقف بائع الشرائط وصديقه عند بوابة السوق وهم جد سعداء بمنظر الضرير وهو يحاول جاهدا أن يجد طريقه • ووقف لا حراك به فى نفس موقعه وهو يلوح بعصاه كمن تعلق فى الهواء وأخذ يصرخ :

« أين كلبى ؟ ••• أين كلبى ؟ ألا يستطيع أحد أن يعيده الى •• سأقتله لو وضعت يدي عليه ثانية • وتلمس طريقه وحاول أن يعبر الطريق ، وكاد أن يدهم عشر مرات بعربات مختلفة فى عرض الطريق وتعثر وجاهد وشهق وزفر ونفر وقال ثلاثتهم وهم ينظرون اليه :

« ما كان كثيرا عليه أن يدهم ••• ذلك الوغد القاسى • »

وعلى أية حال فان الضرير جاهد وبمساعدة بعض الناس أمكنه العودة الى ركنه فى شرفة المعبد حيث تهاوى جالسا على جواله منهكا من التعب ومن مجهود رحلته الشاقة • ولم يره أحد لأيام عشرة وخمسة عشر وعشرين ••• وكذلك اختفى الكلب وعلقوا فيما بينهم قائلين : « لابد أن الكلب يطوف الآن حول الأرض حرا وسعيدا وربما اختفى الضرير للأبد • »

وما كاد قائل هذه الجملة ينتهى من تعليقه حتى سمعوا دقات عصا الضرير المألوفة ورأوه ثانية قادما على الرصيف والكلب يقوده وصاحوا :

« انظروا انظروا •• لقد لحق به ثانية وربطه • ولم يستطع بائع الشرائط أن يكبح جماح نفسه فهول وسأل الرجل :

« أين كنت طوال هذه الايام ؟ » وأجاب الرجل الضرير :

« أتعلمون ما حدث ؟ لقد هرب الكلب وكنت هالكا لا محالة في غضون يوم أو يومين وأنا محبوس في ركني . . لا طعام ولا فليس أكسبه وأنا ملتزم بمأوى وكنت سأموت حتما لو استمر الحال هكذا يوما آخر ، ولكن هذا الشيء عاد » .

« متى ؟ . . . متى ؟ » .

« مساء البارحة ، في منتصف الليل كنت مستلقيا على سريري فحضر ولمق وجهي . . وشعرت أنني أريد أن أقتله . . ولكنني لكزته لكزته لن ينساها مادام حيا . . وصفحت عنه . . وعلى كل حال فانه لا يعدو أن يكون كلبا . . لقد هام قدر ما استطاع ملتقيا بمض القمامة من الطريق ولكن الجوع الحقيقي دفعه الى ثانية وهو لن يتركني ثانية انظروا . . . فلدى هذا » .

وهز المقود وكان هذه المرة سلسلة من الصلب .

ومرة ثانية كانت هناك تلك النظرة الميتة في عيني الكلب وصاح الضرير كسائق ثور :

« هيا أيها الأحمق » . . وجذب السلسلة وهش بعصاه وتحرك الكلب بخطى متناقلة . . ووقفوا يستمعون للدقات وهي تبتعد عنهم وصاح بائع الشرائط وهو ينظر اليهم ويتنهد :

« الموت فقط هو الذي سيساعد هذا الكلب . . ماذا نستطيع أن نفعل لمخلوق يعود لقضائه عن رضى قلب مثل هذا الكلب ؟ » .



## راجا راء

ولد راجا راء عام ١٩٠٩ فى مدينة حسان بولاية ميسور فى جنوب الهند فى أسرة من البراهمة . وكان والده أستاذًا للغة الكنارية فى حيدر اباد حيث تلقى دراسته .

ومن عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٢٧ درس اللغة الفرنسية فى جامعة اليجار فى شمال الهند ثم عاد ليحصل على شهادة « بكالوريوس » الآداب من جامعة نظام فى حيدر أباد .

وأختير مبعوثًا لحكومة حيدر أباد فى جامعة مونبلييه فى فرنسا ، وبعد ذلك درس فى جامعة السوربون . وعاش فى فرنسا من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣٩ ثم ثانية من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٦ وكتب راجا راء قصته القصيرة الأولى ولم يبلغ العشرين من عمره .

ونشرت روايته الأولى « كانتابورا » فى انجلترا عام ١٩٣٨ ولاقت استحسانًا كبيرًا . ونشرت له مجموعة من القصص القصيرة ، وكذلك رواية « بقرة البوابات » عام ١٩٤٧ ، ثم نشرت له رواية « الثعبان والحبل » التى حصل بها على جائزة أكاديمية ساهيتيا ، فى انجلترا عام ١٩٦٠ ، وفى الولايات المتحدة ١٩٦٣ . وقصته بعد ذلك « القطة وشكسبير » التى نشرت عام ١٩٦٥ مثل قصة « الثعبان والحبل » هى قصة ميتافيزيقية ( غيبية ) ، وتقديره وهو فى بيته فى الهند ، كما هو فى بيته فى الغرب .

ومعرفته باللغة الساكرستية الكلاسية ومعرفته بالأدب الغربى الحديث هى معرفة عميقة . فلقد تأثر من احدى النواحي بالملاحم الهندية القديمة مثل ال « راما يانا » وال « مهابارتا » وال « جيتا »

وال « فيدانتا » • وتأثر من ناحية أخرى بأعمال و. ب. يمتس ،  
وأندريه جيد ومالرو وكقوله « كان تأثير أندريه جيد على في الشكل  
« الفورم » وتأثير مالرو على في التعبير الأدبي » •

وكمعظم المفكرين ( العقلانيين ) من جيله وقع راجا راو تحت  
التأثير السحري للمهااتما غاندى ، وفى عام ١٩٤٢ قضى بضعة أشهر  
فى مقر غاندى وأتباعه فى الهند الوسطى •

وأخيرا حاضرا راجا راو فى مختلف الجامعات الأمريكية عن  
فلسفة الهند •

## حانوت الغلال الصغير

### حانوت الغلال الصغير

كان الجميع يمتقونه ٠٠ يمتقونه ٠٠ وكانوا يقولون : « ذلك الخنزير من طائفة البانيا » (١) وهم يبصقون ويدقون الأرض بأقدامهم ٠٠ « ابن العاهرة ٠٠٠ سوف يأكل الطين ويتقيأ الدم قريبا ٠٠٠ » « يا ابن الحمار ٠٠٠ » ثم يبصقون ثانية ويجذبون نفسا من الأرجيلة ويعاودون القذف والسباب والدق ٠

لم يكن قد مضى أسبوع على انتقال عائلة أناند الى البيت الذي يقع عند ملتقى الشارعين الا أنهم كانوا فعلا قد سمعوا الكثير عن « موتيلال البانياوى » ٠

وكان ناراسيما وهو رفيق أناندا فى الفصل يكره موتيلال وكانت الشتائم تنساب من بين شفثيه كلما مر بحانوت موتيلال للغلال ٠

وذات يوم عندما لم يكن أناندا متعجلا فانه دلف الى منزل ناراسيما ليتجاذب أطراف الحديث معه ٠ وكان ناراسيما فى ثورة غضب فان البانياوى كان قد قال له أنت كلب وبصق عليه ٠

وتساءل أناندا متعجبا : « لماذا ؟ » ٠

« لماذا ٠٠٠ ؟ ماذا يفعل الكلب غير القضم ؟ » ٠

واستطاع الآخر أن يتمتم قائلا : « أنا لا أفهم ما تعنى ! » ٠

« ألا تفهم ؟ اذن فأنت لا تعرف القصة » ٠٠

« لا ٠٠٠ » ٠

(١) « البانيا » طائفة هندوسية من الحرفيين والتجار ، تحرم اكل اللحم ٠

وصاح ناراسيما منتصرا : « اذن سوف أقصها عليك » ٠٠ وفيما يلي ما قاله له :

ان ذلك الموتيلال البائس كان فقيرا كالكلب ٠٠ معدما ككلب فى شارع من شوارع المنبوذين ٠٠ وذات صباح خرج هو وزوجته بتى باى من قريتهما الصغيرة فى اقليم جو جارات ، وهو لا يحمل الا وعاء نحاسيا فى يده ، ولا يملكان من الملابس الا ما يغطى جسديهما من الأسمال ٠٠ متى ؟ ٠٠ لا أحد يعلم ٠٠ ولكن لابد أن يكون ذلك منذ حوالى خمسة عشر ٠٠ أو عشرين ٠٠ أو أربعين عاما ٠٠ وتشردا من قرية لأخرى يغنيان ويستجديان ، ويقتاتان ما يحصلان عليه من طعام ، ويقتران فيما يحصلان عليه من صدقة ضئيلة ٠٠ وفى غضون سنة أو سنتين أمكنهما بالفعل أن يقتصدا مائة روبية ٠٠ والآن فى حوزتهما ذلك المبلغ لم يبق أمامهما الا العثور على مدينة يستقران فيها .

وكانت زوجته المسكينة بتى باى قد أنهكها هذا التجوال وأقسمت أنها لا يمكن أن تذهب لأبعد من « باديبور » ولكن موتيلال كان طموحا ٠٠٠ ماذا ؟ أيستقر حفيد « بهاتا تاتا لال من خودى » فى حفرة عفنة مثل « باديبور » ؟ كلا ٠٠ حقا ان سوء الحظ المتراكم قد هبط بهما الى الحضيض . لكن عليهما الآن أن ينهضا مرة أخرى . وعليهما أن يصبحا عظماء وأغنياء مثل « بهاتا تاتا لال من خودى » .

وكانت بتى سعيدة بكونها زوجة حفيد رجل عظيم كهذا وكانت على استعداد لأن تفعل أى شئ لتكون عظيمة مثل ذلك الجد الأكبر الشهير لزوجها ٠٠ وبما أنها كانت فقيرة ، فقيرة لدرجة انها كانت تشرب الماء من بالوعة المياه القدرة فى جانب الطريق . وأكمل ناراسيما : ولما كانت هى أيضا فقيرة وأمها أرملة تعمل خادمة فى منزل رجل من ملائمة ألبانيا فقد غدت بدورها أيضا طموحة من تأثير القصص التى كان موتيلال يقصها عليها عن جده الأكبر .

وذات يوم كانت بتى فى مريضة فى بيدابور ولا ترعب فى أن تذهب لأبعد من ذلك ، قال لها موتيلال :

« ماذا تظنين يا بتى ؟ لقد كان لباتا تاتا لال منزل كبير مثل ٠٠٠ لا ٠٠٠ بل كبير كهذه المدينة وكان لديه المئات والمئات من الخدم والحشم وحظيرة تضم على الأقل ألفا من الماشية .

يا الهى لو لم يحضر هؤلاء الرجال الحمر القذرون لكان قد صار غنيا ٠٠٠ غنيا مثل مهرجا بهافن يا بتى وسنصير نحن كذلك أغنياء مثله ذات يوم ٠٠٠ يوما ما . واعترضته بتى قائلة :

« ولكنك قلت ان جدك الأكبر هو الذى أضاع ثروته كلها » ٠٠

« نعم يا بتى .. كان لجدى عشر محظيات بدد ثروته عليهن ... عليهن كلهن .. العشرة .. والقليل الذى بقى بدده أبى على محظياته هو ..

« والرجال الحمر !!! » ..

« نعم .. الرجال الحمر والمحظيات معا كانوا هم الذين بددوا ثروة جدى .. آه يا ليتنى ولدت حينئذ .. أما أن أولد كما ولدت وأكياس القطن على جانب والماشية على الجانب الآخر ... فى مثل هذا العوز ... أوه ... بتى يا لها من حياة لحفيد « بهاتا تاتا لاي\*من خودى » وترقرقت عيناه بالدموع ..

« لا .. لا .. لا تبك يا أخى .. وكما تقول سنرحل بعيدا .. بعيدا .. بعيدا كما تشاء .. الى حيدر بور .. انك تقول انه هناك يمكن أن يثرى المرء فى غمضة عين .. حسنا سأذهب معك .. سأذهب .. وأشرق وجه موتيلال وهو يقول « انك ملاك يا زوجتى ، ما أزوع ذلك .. سنذهب الى حيدر بور ونثرى فى يوم .. سنثرى ثراء فاحشا فى غمضة عين وعندما نعود كبلدتنا سيعاملونا كالهين حقيقيين وسيقولون « انظروا .. انظروا اليهما .. يا اختاه .. انظروا الى بهاتا موتيلال .. لقد توفى والده قبل أن يولد وماتت والدته بعد رؤيته للنور بشهرين ورغم ذلك انظروا ... كيف أصبح ثريا .. لقد ساعدته الآلهة بالطبع .. لقد عاش يا اختاه كنور مقدس طليق يعيش هائما ويقتات بما يجد .. لقد عاش بالاستجداء وها هو قد أصبح ثريا .. وأى ثرى .. سيحسدوننى ويحشوننى يا بتى » ..

ولم تستطع بتى أن تغالب دموعها .. لقد كانت فى غاية السعادة ..

« نعم .. كم سيكون ذلك رائعا عندما نخطر والدتى كم أصبحنا أثرياء .. ولن نكدح بعد اليوم .. وستعيش معنا » ..

« سنرى » .. قالها موتيلال وهو ينظر الى المدينة وقد بدأ الظلام يسودها وتناثرت أضواء هنا وهناك .. ووقد بجانب بتى واستغرق فى النوم ..

واستطرد ناراسيما : « وهكذا بعد شهور عديدة قضياها فى الاستجداء والتجوال والمرض والعرج وصلا الى حيدر بور ووجدا ذلك الكوخ الحقيق الذى يقيمان فيه الآن .. ولم يكن به سقف أو جدران وذخبا الى المالك وطلبا منه صفقة عادلة .. ولم يكن هناك من هو أسعد منه بالتخلص منه .. وبعد المساومات الضرورية ارتضى أن يتنازل عنه مقابل ... كم تظن؟؟ خمسين روبية .. ذلك المبلغ التافه .. واشترياه .. وبينما كانا يحاولان إقامة الجدران وتثبيت السقف استمرا فى الغناء والاستجداء ..

واستطرد ناراسيما باحتقار :

« متى بدأ كلب فى التهام القمامة لا يمكنك أن تطلب منه أن يكف » .

وهكذا بعد شهر من العمل - وكانا لا يزالان يستجديان - تمكنا من اتمام سقف من القش فوق رأسيهما . ثم اشتريا بياقي المبلغ غلالا وسكرا ٠٠٠ وهكذا بدءا حانوتهما ٠٠ والآن وكما يعلم الجميع فانهما متخمان بفيض من الأموال وعلى الرغم من ذلك أنظر كيف يعيشان ؟ هؤلاء الكلاب ٠٠٠ هؤلاء الأوغاد ، انهما يعيشان عيشة خنازير المنبوذين .

ولم يفقه اناندا بشيء ٠٠ استمع الى القصة بشغف زائد ولكنه لم يستطع أن يشارك الآخر فى غضبه حيث كان ذلك أبعد ما يكون عما يشعر به فى قرارة نفسه ٠٠ لقد حضر فقط ليذهب الى حانوت موتيلال ، فان حماته طلبت منه بعض السكر لوجبة العشاء .

والقى بتحية وداع دون اهتمام الى ناراسيما وهرع خارجا وجرى الى حانوت موتيلال .

ولم يكن منظر الحانوت قد تغير منذ أن استقرا فيه وكان السقف مكونا من ألواح من الزنك بدعائم خشبية قليلة زاد عمرها عن نصف قرن .

وكانت الاضافة الوحيدة للمنزل هى حظيرة خشبية صغيرة أقامها للبقرة التى اقتنيها حديثا . وكان العلف مكوما فوق السقف بعناية ولم يبد أن أحدا يذكر أن شيئا منه قد أنزل خلال السنتين الماضيتين .

وكانت البقرة تهيم طوال اليوم من صندوق قمامة لآخر تفتت بفتات الخضر الملقى هناك أو - كما أشيع - كانت تدخل لدورات المياه وتنظفها .

وعلى أية حال فقد كانت تقدم رطلي اللبن المطلوبين منها واللذان بقليل من الكرم تحت صنوبر المياه صارا رطلين ونصف ، ووجدت بتي باى دائما العملاء الذين لا حول لهم لشرائهما . ولقد دفع أناندا مرة ثمان بيات بنفسه ثمنا لربع رطل ، نصفه من الماء والنصف الآخر لا يعلم من ماذا الا الله . ولكن الحصول على نوع من اللبن كان شيئا حسنا على كل حال . وأن لم يحصل عليه ٠٠٠ فيا للعار ٠٠٠ ماذا كان سيقول للضيوف ؟ ٩

ولنعد الآن للحنوت ، وكان مكونا من شرفة صغيرة عشرة فى خمسة عشر قدما تطل مباشرة على الطريق . وفى ركن من الأركان كانت البقالة . أدراج صغيرة ٠٠٠٠ حوالى الخمسين تقريبا كانت مثبتة الى الحائط كلها مليئة بالفلفل والجنزبيل أو السمسم . وبقرها مباشرة بين أربعة صناديق مفتوحة بها أرز وقمح وملح وتمر هندي كان هناك مقعد ملوث بالزيت يجلس عليه موتيلال . وعندما كان العملاء ينتظرون فانهم كانوا يجلسون عادة قرب أحد الصناديق

وهكذا كانوا يزيلون الأتربة التي تكدست هناك لفترات طويلة . ومن الناحية الأخرى كانت هناك منصة خشبية بارزة الى الطريق - ربما كانت هيكل سرير قديم - عليه بعض العوارض الخشبية من الجانبين ، وضعت فوقها أنواع مختلفة من الغلال في سلال من البامبو . وكانت هناك الغلال المسكرة والغلال المقلية وفطائر غلال بومباي ، وأحيانا بعض الغلال المعطرة وأعواد من السكر واللوز .

وكانت بتي باي هي التي تجلس بالحنوت عادة . وصنعت منفضة من بعض الخرق البالية كانت تطرد بها الذباب ٠٠٠٠ مرة من هنا ومرة من هناك ولكن على الرغم من ذلك فان الأتربة التي كانت تجيء من الطريق كانت تهبط بعناية على الغلال ولم يكن ذلك شيئا مهما - كما أسرت بتي بذلك مرة بين المزاح والجد ، لصديقة من السوق - لقد كانت تزيد الوزن !! ، وخلف بتي وبالقرب من باب المطبخ على اليسار كانت توجد منصة صغيرة عليها كل ممتلكاتها تقريبا : فراش كان دائما مطويا ومرتباً بعناية ، كان يحتل مكانا بارزا فوقها ومن خلال الثقوب الكثيرة التي كانت بالبساط فانه لم يكن من الصعب التكهّن بمحتويات الفراش ٠٠٠ ربما بطانية وملاء وحشية قديمة رقيقة كجلد البقرة . وبالقرب من الفراش كانت هناك بعض الأواني الكبيرة التي تستخدم لقلّي وطهى الغلال . ولم يكن أحد بعد قد رأى موضع الخزانة . وكانت هناك شائعات تقول انها وضعاها في حفرة في الأرض كان مقعد موتيلال في الحانوت يغطيها . وكانت هناك فسحة صغيرة بين منصة الغلال ومنصة الفراش تستخدم مرة لتناول الطعام مرة لطحن الغلال ومرة للنوم .

وكانت تؤدي الى المطبخ الذي كان سقيفة صفيح صغيرة تبرز الى الطريق الضيق ، رغم تحذيرات مفتش البلدية المتكررة . وسوف يعود ذلك المفتش قطعاً في يوم من الأيام . ولكن مساعديه كانوا قدما أذكيا - لقد أخذوا من الغلال ما يزيد ثمنه عن أنا ثلاث أو أربع مرات من قبل وأخطروا رئيسهم أن كل شيء في مكانه الصحيح . حسنا . فان حضر . فان حضر فعلا فان روية أو اثنتين كفيلتان بتسوية الموضوع . فقد عرف موتيلال عشرات من هؤلاء المفتشين واستطاع أن يخرسهم جميعاً .

وكان الشيء الوحيد السعيد في الحانوت هو الببغاء الخضراء الصغيرة في قفصها ، والتي كانت تصيح « السلام عليكم . السلام عليكم » لكل العملاء الذين كانوا يدخلون الحانوت . وكان كل من يدخل الحانوت يقدم لها بعض الحبوب ، وعليه كان لديها أكثر مما تحتاجه . وكانت بتي باي تعجبها كما لو كانت وحيدتها وخصوصاً منذ أن هرب ابنها « تشوتا » مع تلك المرأة فقد وجدنا تعزيزتهما الوحيدة في تلك الببغاء . ولم تك تكلفهما شيئاً وكانت دائماً مليئة بالحيوية والحنان . وعندما كانت بتي تتشاجر مع موتيلال وكثيراً ما كان ذلك يحدث يومياً ما كان عليها الا أن تلتفت ناحيتها قائلة « ميتهو . ميتهو . ميتهو »

وكانت ميتهو الصغيرة تجيب وهي تقفز ونفث ريشها « سلام .. سلام ..  
يا أمي .. سلام .. سلام » .

لابد أن موتيلال الآن كان قد تجاوز الخمسين . وكان طويلا نحيفا ، وقد  
تجعد وجهه وكانت عيناه الفولاذيتان السوداوان ينقصهما شيء من البريق !! ..  
كانتا تقبعان في محجريهما كفئران في حفرة ، وكانتا كالقئران أيضا ، ماكرتين  
حين تبدى أقل اهتمام بمراقبتهما . وكانت الوتريتان بشرايينهما الزرقاء النافرة  
ترتجعان لأى هزة أو لمسة ، فلأجيال طويلة كان الربو ( الآثما ) يبقيه ساهرا  
الليلة تلو الليلة . ولولا أرجيلته لكانت الحياة بالنسبة اليه شيئا لا يطاق  
ولا يحتمل . وكانت الأرجيلة سلوته لفترة من الزمان ولكنها على مر الأيام كادت  
تقضى على صحته تماما . وعلى الرغم من مشاجرات بتى بسببها فانه كان يدخنها  
طوال الوقت تقريبا . وفى الحقيقة أنه كان أحيانا يدخن لدرجة أن ماء الأرجيلة  
كانت تنخبث رائحته ولكنه كان يسعل ويبصق بعيدا ثم يواصل تدخينه غافلا  
عن كل شيء الا دغدغة الدخان الدافئة لحلقه .

وكم كان لذيذا أن يكون له صديق كهذا . وعندما كان يضطر لوزن شيء  
فانه كان ينحيا جانبا على مضض وحالما ينهى الوزن فانه كان يختطفها ثانية فى  
لهفة البخيل على ماله ويبدأ تدخينه من جديد . وكان لها صوت قرقرة غريب .  
وعادة ما كان الأطفال الذين يحضرون لشراء بعض الحلوى والنعناع يجلسون  
ويستمعون الى بقبقتها الغريبة وكانوا عند خروجهم يصفقون بأيديهم ويصدرون  
من حلقهم أصواتا كصوتها ويضحكون ، وخلفهم كان موتيلال منصرفا الى  
أرجيلته وقرقرتها العتيدة « جد جد جد » .

ولم يكن أحد متاكدا من سبب عصبية وعدم استقرار موتيلال. وقال بعضهم  
انها بتى ، ولكن البعض الآخر صمم على أنها هي الأرجيلة . وكانت بتى بالطبع  
تشكو من الأرجيلة فوصلت غيرتها وتقززها منها حدا أن ألقت بها خلف الوقود  
فى المطبخ . وبقيت صامتة كالحجر ، وبحث موتيلال عنها فى كل مكان وسب  
كل عميل فى يأس مربع ، ولكن العملاء لم ينبشوا ببنت شفة وأخذوا سكرهم أو  
أرزهم وشكروا النجوم على أنه لمرة لم يكن مقززا للنفس، وانصرفوا لأموهم .

وأخيرا لم يعد يتحمل أكثر من ذلك وهدد بتى بقبضته مقسما انه  
سيسلخها حتى الموت ولكنها ابتسمت وابتهلت ابتهالات قصيرة للآلهة المعاونه  
وتصنعت الخجل .

ودار هنا ... ودار هناك وقلب البيت رأسا على عقب ولكنه لم يعثر لها  
على أثر ، ولكن هناك بقى المطبخ ، وفى دقيقة كان قد اكتشف مكانها وقفز وأقسم  
وسب وفى ثورة عارمة ألقى ببيتى أرضا وانها ل عليها ضربا بقطعة من خشب



الحريق كان قد أتى بها من المطبخ . وصرخت وولولت وبكت وصدرها الضخم  
جاثم على الأرض وشعرها مبعثر مشعث .

ولم يستطع العملاء الذين حضروا أن يفعلوا شيئاً ووقفوا في الحانوت  
صامتين ومشفقين ، وغطت الرقيقات منهن أعينهن بطرف ردائهن حيث لم يتحملن  
رؤية الدماء وهي تسيل من ظهر بتى ، وكان موتيلال لا زال واقفاً بالقرب منها  
وعصاه ذات الأشواك لا زالت في يده .

وبعد برهة من التوتر توجه لمقعد في الحانوت والتفت لعملائه وكانوا  
سعداء بأن ينجوا بأنفسهم وكان هو أسعد بالتخلص منهم . وذهب الجميع وبتى  
ما زالت راقدة كما كانت منطرحة على الأرض وهي تبكي وكانت الدماء تسيل من  
ظهرها ، وقليل من الذباب - حيث كان الوقت صيفاً - قد استقر للعريضة .  
وارتفعت الأتربة من الطريق وسقطت ، فمرة كانت عربة خيل ومرة أخرى سيارة  
وكانت الشمس حامية تذيب الحديد ، ودخل أناندا وصرخت للبغاء « سلام عليكم  
... سلام عليكم » وحده موتيلال بنظرة وهو يدخن نرجيلته ، وقد ثار غضبه ،  
وكان مفزعاً أن نراه وقد ثار غضبه وأصبح كالوحش . وصرخ موتيلال بصوت  
أجش محموم « ماذا تريد ؟ » .

وغمغم أناندا وهو يرتجف : « رطل من السكر فقط » . والتفت ناحية بتى  
واقشعر جلده وتوسلت بتى قائلة :

« يا أبى .. يا أبى .. انقذنى .. انقذنى !! » .

وهدر موتيلال كالرعد : « ينقذك ... !! اذهبي للجحيم أيتها التنين القذر  
... اذهبي واعرضي نفسك في منزل للبغاء أيتها التعيسة ... أيتها الشيطانة  
... أيتها الساحرة يا ابنة الحمار .. يا .... » .

وتنفست بتى بصعوبة واستمر نحيبها ..

قال وهو يسعل : « ماذا تريد .. كج .. كج .. ماذا تريد ؟ سكر ١٠٠ » .

« نعم » .

« كم ؟ » .

« رطل » .

« يا أبى .. يا أبى .. انقذنى .. انقذنى » .

وقفز موتيلال من مقعده وركلها في ظهرها وهو يضحك ، وضربها بقطعة  
من الخشب المسننة .

« آى .. آى .. يا أماء .. آى .. آى » وانقلبت على جنبها وأخذت  
تتلوى .

« يا كلبة .. يا عاهرة .. يا شيطانة .. أصرخى .. أصرخى ما شئت .  
فلن يأت أحد ليساعدك .. لن يأتى أحد البتة » .

وجز على أسنانه ومسح عرقه بيمناء وجذب نفسا من أرجيلته التى لا تبخل  
عليه بما لديها .

وتأوهت بتى وتنفست وأغمى عليها . وجالت الدموع فى عيني أناندا ..  
وأراد الفرار .. ولكنه كان خائفا أن يمسك به موتيلال ويحطم أسنانه الاثنتين  
والثلاثين .. فقد بدا عليه الغضب وبدا أنه مستعد أن يضرب العالم أجمع ..  
وارتجف أناندا ووقف يحملق فى البغاء بلا ارادة .

ولحسن الحظ فان الخوف من أن تموت بتى قد جال برأس موتيلال وأفزعه .  
فدلف الى المطبخ وأحضر وعاء به بعض الماء وجلس بقربها وألقى بحفنة من الماء  
على وجهها . كان فيها مفتوحا وبدا لسانها من خلاله غير واضح الرؤية وكانت  
حمراء فى لون البطيخة من الداخل . وبعد برهة فتحت عينيها وابتسمت ..  
ورد الابتسامة برقة وعطف . وكانت أرجيلته معه .

وفى المساء عندما كان أناندا عائدا من المدرسة كانت بتى جالسة على ردهة  
الحانوت تطرد الذباب .

كان الصباح عليلا كالعادة وتتابعت الأيام على بتى وموتيلال . وكان كل  
يوم منها طيبا ونضرا كاليوم الآخر . وكانا يستيقظان كالعادة فى الخامسة  
وبينما كانت تنوجه الى ماسورة المياه فى الطريق لتحصل على ملء دلو من الماء  
كان موتيلال يزيح الأتربة عن جزء من الحانوت ويطوى الفراش ثم يتوجه لازالة  
ألواح الباب الواحد تلو الآخر ويحاول ازالة ما عليها من أتربة أيضا ثم يضعهما  
جانبا بالقرب من باب المطبخ . وتكون بتى فى تلك الأثناء قد عادت بالماء  
وتبدأ فى غسيل الأوانى فى الطريق . ولم تكن هذه الأوانى الا القليل من  
الأوعية والطبقين المعدنيين اللذين يتخذان شكل الأجراس وكانا مخصصين  
لطعامهما . وأخذت حفنة من الرمال من الطريق وقليل من الألياف الخارجية  
لشمار جوز الهند وأخذت تحكها حتى صارت فى لمعان الذهب . وكان موتيلال  
فى تلك الآونة - وليس لديه ما يفعله - يجلس على الدرجات وأرجيلته فى يده .  
انه لم ينم جيدا فى الليلة الماضية وكان رأسه ثقيلًا الى حد يورث الجنون .  
فأغلق عينيهِ وراح فى سبات هادى . وبدأ الناس يسرون فى الطريق ، وعلا  
ضجيج العربات . وتذكرت بتى قريتها التى ولدت ونشأت فيها وبدأت تبكى .  
لقد توفيت والدتها ولم يبق هناك أحد لتذهب اليه . وحتى ان شئت الذهاب .  
فهل كان موتيلال يرضى بهذه الرحلة الباهظة التكاليف ؟ أبدا ...

وأيقظت العميلة الأولى موتيلال . . لقد حضرت لتشتري ربع رطل من  
الأرز . . ربع رطل من الأرز !! يا لها من بداية مشئومة ليومه . . وصاح  
غاضبا :

« أشيء آخر ؟ » .

« لا شيء آخر سوى ربع رطل من الأرز » .

« أوه . . . يا لهذا العالم . . . يا لهذا العالم . . . سنموت قريبا من المجاعة  
بربعك اللعين من رطل الأرز . . ربع رطل من الأرز !! ربع رطل من . . . » .

« لا بد لي أن أذهب يا سيدي » .

« أتريدين الذهاب ؟! حقا يا امرأة . . يمكنك أن تذهبي وتغرقى نفسك  
في أول بئر . . أو الأجدد بك أن تذهبي وتضاجعي كلبا ذكرا . . . أيتها  
المرأة . . . » .

وانصرفت المرأة وهي تغتم قائلة : « حسنا » وزار موتيلال « هيه . . .  
هيه . . . هيه » . أن ينصرف عنه أول عميل . . أول عميل . . . يا الهى . .  
ويفسد اليوم كله . . . هيه » .

وانصرفت العميلة وهولت مسرعة وجرى موتيلال خلفها وهو يلعن ويسب  
« هيه . . . » وهزت العميلة كتفيها وانصرفت بأسرع ما يمكن . وقال لاهنا  
وقد وقف أمامها متوقفا « هيه » .

وحاولت أن تتفاداه ولكنه أمسك بيديها وشدد قبضته عليها وصرخت ،  
ولكن لم يكن هناك بشر لنجدتها . وتهاوت عائدة متذمرة بلا حول ولا قوة  
وابتناعت ربع رطل من الأرز . وارتسمت ابتسامة عريضة على وجه موتيلال . . .  
لقد انتصر وغمغم لنفسه قائلا :

« لن أدع أول عميل يفلت مني هكذا » وكانت حدة غضبها قد هدأت بعض  
الشيء . . . وربما لو كانت أكثر طيبة نحوه فقد تأخذ حفنة من الأرز أكثر .  
وسعل وضحك بازدياء قائلا : « ولكن . . ربع رطل من الأرز . . تصورى » .  
« أوه ولكنى لا أستطيع أف أبتاع أكثر من ذلك يا سيدي . . ألا تعلم أن  
زوجي قد فر مع امرأة أخرى ؟ وأنا فقيرة » .

وسألها باهتمام :

« كذلك الحال ؟ » . فقد فعل ولده ذلك . وتحول حزنه الى شفقة غريبة  
وسألها أن تفتح حقيبتها والقي فيها بحفنة من الأرز . وكانت سعيدة . . . وأى  
سعادة . وانصرفت وهي تبارك موتيلال الكريم وتدعو له . . وفى هذه الأثناء .

كانت بتى باى قد فرغت من غسل الأواني وعادت بالفعل بعد حمامها اليومي تحت الصنبور العام . وكانت تدندن لنفسها بأغاني كريشنا والتي كانت تنشدتها كل صباح وهي تؤدي أعمالها المنزلية . كان يجب أن توقد النار وكان يجب أن تحلب البقرة وأن تظلي اللبن ، ويجب أن يتم كل هذا قبل الثامنة عندما يبدأ توالى حضور العملاء الواحد تلو الآخر .

وفى هذا الصباح أيضا لم تشتعل نارها كما يجب فقد خبت مرتين وتمتعت لنفسها :

« يا لها من نذير شؤم أن يبدأ اليوم بها . وصممت أن تتحمل بصبر وهدوء أى تهديدات أو ضرب من موتيلال فان يوما سيئا بالنسبة لها كان يعنى ذلك .

وأخيرا بدأت النار تضطرم ببطء وقد وضعت اناء الماء على الموقد وذهبت لتحلب البقرة . وكان عجل البقرة الرضيع قد تمكن من التخلص من الانشودة التي تلتف حول رقبتة بطريقة ما وبذلك ضاع نصف اللبن ، وضربت العجل فى ثورة غضب ، وانثحمت بالبقرة جانبا وحاولت أن تستدر منها لبنا حتى ولو نصف رطل من اللبن ولحسن الحظ كان هناك القليل الفائض - وفى الحقيقة كان هناك قدر عظيم فائض !!

وقادت البقرة الى الطريق وعادت للمطبخ وكانت النار ضعيفة الاشتعال ولم يكن الماء قد سخن بعد ، فلعلت نفسها ولعلت الوقود ، ولعلت العجل ، ونفخت الهواء داخل الموقد وجلست وأخذت تفكر فى كل ما سوف يستجد فى ذلك اليوم التعيس - اليوم الكالح كما يبدو .

وكانت حتى كحة واحدة من موتيلال كافية لازعاجها وبث قشعريرة فى جسدها . ولكن بعد لحظات - وكأنما النار تعزىها فقد بدأت ترسل فحيحها الجالب للحظ وكانت سعيدة بذلك . اذن فلن يكون يوما سيئا فان اله النار قد تنبأ بذلك . ودخل موتيلال وكان سعيدا للغاية وهتف بحماس :

« بتى .. أعلمين ؟ .. لقد حطت سحلية على كتفى الأيمن »

« أحمقا ؟ .. وجالت الدموع بعينيها .

« نعم .. فى التو بينما كنت جالسا فى الحانوت حطت على كتفى الأيمن ثم اختفت ، ولا أدري ماذا ستجيئنا به ؟ »

وجذب نفسين طويلين من الأرجيلة ونفخهما فى الهواء بمده شفثيه على شكل دائرة كصبي ينفخ الفقاعات .

وغمغمت بتى وهى تتحول ناحية النار « ربما سيعود تشوتا » .  
 « نشوتا ... تشوتا ... ألا زلت تحلمين به .. لن أدعه يظأ بقدهيه  
 هذا المنزل - لا - حقا يا بتى . اظن أننا سنحصل على شىء ... شىء رائع ..  
 من يدري ؟ ربما يقبل نواب صاحب (١) شروطى ، ١٥ ٪ فائدة . وهذا شىء  
 بسيط بالنسبة لرجل نرى منله » وغمغمت بطريقة آلية : « ربما يفعل » .  
 وأكد لنفسه : « بل سيفعل .. فبالأمس عندما رأيت سكرتيه قال انه سيهتم  
 بالامر . أتريين يا بتى ، خمسون روبية للسكرتير وخمسة عشرة فى المائة  
 فوائد . تصورى كم سيجلب لنا ذلك من عشرين ألف روبية ! سنكون أثريا »  
 يا بتى » .

« وما افائدة .. لقد توفت والدتى .. وتشوتا ... » وصرخ فيها :

« اقل فمك ايتها الحمامة الصغيرة » .

وذهبت لركن البقالة ، وهو يحسب ويعيد الحساب ... كم سيربح من  
 هذه العملية ؟ » .

وانطوى الصباح ببطء ، وتناقل بعد الظهر فى تودة كثيبة ومع ذلك  
 رلا شىء قد حدث . وفى كل لحظة كان موتيلال يتوقع وصول رسول من قبل  
 نواب صاحب ، أو نواب صاحب نفسه .

وكان موتيلال قد عد نقوده مرتين فى ذلك اليوم . ووضع العشرين ألف  
 روبية جانبا وكلها أوراق من فئة الالف روبية . وبدت له كل عربة تمر فى  
 الطريق كأنها عربة نواب صاحب ، وبدا كل عميل كأنه رسول من طرفه .  
 وساعة الغداء لم يتناول أى شىء على الإطلاق وقال أنه لا يشعر بجوع . وحزنت  
 بتى لرؤيته فى ذلك القلق ، وكان قلبها ينبض بعنف . وكانت هى الأخرى  
 تتوقع حدوث شىء سعيد ولكن ما هو ! طبعا ان خاطر عودة تشوتا ملأها بسعادة  
 غريبة وخوف - أه .. لو أنه عاد ... لو أنه حقيقة عاد . انه فى هذه  
 الحالة سيتوجه الى « جو جارات » ويتزوج ابنة بابان لال . لقد كانت معدة له  
 من زمن طويل . انها لم تكذ ترى ضوء الشمس حتى تمت خطبتها الى تشوتا -  
 لابنها العزيز تشوتا .

ولا شك أن الصبية قد كبرت الآن وأصبحت عذراء صغيرة فائنة . وهى  
 لا تزال معدة له . كم سيكون جميلا ورائعا أن يكون لها زوجة ابن فى المنزل  
 فان نصف عمل المنزل ستتولاه هى وسيبقى القليل لتقوم به بتى بنفسها .

(١) نواب صاحب ( لقب شرفى للمسلمين الحكام ، أو ذى المكانة فى الهند  
 وباكستان .

نعم سيعود تشوتا ٠٠ نعم سيعود ٠٠ تشوتا ٠٠ تشوتا ٠ وانخرطت في البكاء ٠ ودخل موتيلال المطبخ ليأتى بنار لأرجيلته ورأى الدموع فى عينيها وسألها عما يبكيها ٠ وقالت له عفو خاطر بين نشيجها :

« لقد كنت خائفة ٠٠ كنت خائفة ٠٠ أن تموت قبلى » ٠ وغمغم وهو يربت على شعرها : « أيتها المسكينة » ثم خرج لركن بقالته ٠

وبدأت الشمس تغيب ولما كان اليوم السبت فقد كان على موتيلال أن يذهب لمعبد « ماروثى » ٠ وكان من عادته أن يذهب الى هناك بعد الظهر ، ولكنه عزم اليوم أن يأخذ معه هدية أكبر الى الآلهة بمجرد سماعه عن نجاح صفقته مع نواب صاحب ، ولهذا فقد انتظر وانتظر ٠٠٠ ولكن الآن يجب عليه أن يذهب والا فان المعبد سيغلق أبوابه وكان على بعد ثلاثة أميال منه على أقل تقدير ٠ وهكذا ارتدى سترته المخملية القديمة ووضع عمامته على رأسه وهو لا يزال حزينا وان كان لم يفقد الأمل ووقف متثابرا لبرهة ، وذهب وأشعل أرجيلته وتحادث مع الببغاء ٠٠٠ ومع ذلك ٠٠٠ ومع ذلك ٠٠٠ والآن لم يبق هناك أمل وسار فى طريقه ولكنه عاد مسرعا وقال لبتى :

« لو حضر نواب صاحب فاخطريه أننى سأراه الليلة ان شاء الله » ٠

وأجابته بجفاء : « حسنا ٠٠٠ نواب صاحب ٠٠٠ دائما نفس القصة » ٠

وكانت لا تزال تحلم بابنها الذى سيعود وزوجة ابنها الطيبة المنتظرة عندما غابت الشمس فجأة ودلفت للداخل وأشعلت مصباح الحانوت وأنشدت ابتهالاتها المعتادة وقت اشتعال المصباح وأضاءت حتى المصباح الزيتى الصغير. الموضوع بالقرب من صورة « راما » فى المطبخ ٠٠ قليل من الزيت الآن ولكن لعل وعسى يأتى بالحظ فان الآلهة على كل حال ليست بهذه القسوة ٠ قد يجعلونك تنتظر ولكنهم سيستجيبون لصلواتك حتما ٠

وكانت الساعة قد قاربت الثامنة وبعد نحو نصف ساعة سيعود موتيلال وهكذا دخلت بتى المطبخ وجلست لتطهو الطعام ٠ وسعل أحد الناس بالخارج وتلفتت حولها ولم يكن هناك الا الظلام ٠٠٠ لا شئ الا الظلام الدامس ، ولا أثر لمخلوق حي ٠

ولكن تلك السعلة كانت لا تزال تزعجها بشكل مألوف ٠٠٠ كيف ؟ لم تكن تدرى ولكنها بعثت فيها سعادة غير طبيعية ٠

وهمت أن تقوم وترى من يكون هذا ٠٠٠ ولكن لابد أنه قد ذهب الآن ٠ وكان الظلام دامسا ٠ وبدون أن تعى أغفت قليلا وكانت معتادة على ذلك ٠ وفجأة خيل اليها أن شخصا يناديها بصوت مألوف : « ماى ٠٠ ماى ٠٠ يا أمى ٠٠ ماى » وقبل أن تفتح عينيها كان تشوتا يحوطها بذراعيه ٠ وأذرفا الدموع ٠ وحضر موتيلال قبل موعده المعتاد بقليل - هل جاء النواب صاحب ؟ ٠٠٠ وكان

يرغى ويزبد من الغضب ولكنه سمح لتشوتا بالبقاء . . فعلى أية حال لقد عاد . .  
وكان هذا كافيا .

كان ماتا بابان لال سعيدا بعودة تشوتا ، وهكذا ففي غضون أسابيع ثلاثة  
وصل الى هايدر بور ليتناقش في مسألة البائنة التي تدفعها العروس . وأصر  
موتيلال على خمسين ألف روبية .

ان تشوتا هو ابن حفيد بهاتا تاتا لال من خودى . ولكن بابان لال كان  
قد زوج ابنتين وبقيت له ابنتين أخريين . . لا . انه لا يستطيع أن يدفع ذلك  
المبلغ الضخم . وعلى أية حال لما كانت بتى أقل طموحا – ولكنها فى غاية السعادة  
لزواج ابنتها من ابنة ماتا بابان لال من جوراك بور – فقد أرغمت موتيلال أن  
يقبل ثلاثين ألفا فقط . . وهكذا . . فقد تم الاتفاق وتم الزواج بأبهة وفخامة  
وكرم . وكانت كل المصاريف على ماتا بابان لال ، وأجيببت كل طلبات أهل  
الزوج وحصلت بنى على سارى من بناريس ثمنه ثلاثمائة روبية وحصل موتيلال  
على مئزر من كالكوتا . وكان هناك فعلا موكب زواج ركبت فيه العروس عربة  
رولز رويس مبتدئة من ركن محلات سوق بادى منتية فى ميدان السوق عند  
برج الساعة .

ولم تستطع بتى أن تغالب دموعها وهى ترى ابنتها مرتديا عمامة مطرزة  
بالذهب ولباسا موشى بالذهب وقد ضفر كله بالزهور من رأسه لقدميه ويتبعه  
الآلاف من الأهالى عندما تحرك الركب وسط الزينات والألعاب النارية . وبكت  
بتى وتمتمت لنفسها ألف مرة أنها تستطيع الآن أن تموت راضية مطمئنة  
سعيدة . وكم كانت زوجة ابنتها مخلوقة لطيفة ، وكانت تبدو عليها امارات  
الصحة والقوة . وكانت ستشتغل جيدا . . .

وبعد مضى أسبوع سار كل شئ كالمعتاد . فانه فى كل مرة كان يحضر فيها  
« أناندا » – أو فى الحقيقة أى عميل – الى الحانوت كانت، بتى تقص وتعيد قص  
القصة من أولها لآخرها . قصة الملابس والفخامة والحفاوة الفاخرة لحفل  
الزواج ، وفى هذه الأثناء كانت زوجة ابنتها الصغيرة – التى كانت تميل للسمنة  
ولها صدر ضخم وشفاة ممثلة غليظة وعيون تظهر ارادة حديدية وهدوء طبيعى –  
كانت تطحن الغلال والأرز خلف منصة الحانوت .

وكان تشوتا قلما يتواجد بالحانوت . وكان مفهوما أنه كان يقضى كل  
اليوم عند عشيقته فى حانوت سجائر قرب الجامع ، ما عدا تلك الأوقات التى  
كان يذهب فيها الى مخزن الغلال العمومى ليأتنى بالمؤن . وكانت بتى كلما  
احتاجت اليه أرسلت اليه زوجته الصغيرة – وكانوا يطلقون عليها اسم راتى –  
الى حانوت السجائر لتنادى عليه .

ومرة واحدة فقط حدث أن سخرت فنكو - عشيقته تشوتا - من راتني وأطلقت عليها « فتاة القرية » ، وخلاف ذلك كانتا على علاقة مشوبة بعدم المبالاة يلتزمان فيها بالأدب . وأحيانا كان ابن فنكو من تشوتا يحضر للحنوت ليحصل على شيء يأكله من جده وكثيرا ما أطعمته راتني وغسلته ، ولكن بعد بضعة أشهر راودتها غيرة غريبة . . . لقد كانت حاملا . . . . .

والآن وقد أصبح موتيلال عجوزا فعلا ، ففي الموسم القادم كان سيبلغ الثامنة والخمسين أو الستين عاما ، وكان ذلك الربو الفظيع يزداد سوءا عما قبل ، وكانت الليلة تمضي تلو الليلة وهو جالس وقد جائبه النوم وهو يدخن أرجيلته وينتظر بزوغ الفجر . وعندما كان الألم يخف فجأة كان يرقد لينام لحظات ، وكانت هذه الليالي المؤرقة قد أضعفت لحد كبير أعصابه التالفة من قبل . وكان يشعر برغبة في ضرب كل من يراه - وفي الفترة الأخيرة حدث فعلا مقاطعة من عملائه نظرا لسرعة استشاطته غضبا واتفقوا فيجا بينهم - وكان غريمه ومنافسه موها تلال صاحب الجانوت الصغير قرب شجرة البلوط خلف ذلك - اتفقوا على أن ألا يذهبوا إليه ثانية . ولثلاثة أو أربعة أيام أقبلت قلة قليلة الى الحانوت حتى أن بتي - وكانت لديها فكرة غامضة عن الموضوع - ذهبت تستطلع رأى حماه أناندا وزوجة الكاتب القصيرة عما حدا بهن أن يعاملنها بهذه القسوة ، ولم يخفيا عنها السبب ، وأكدت لهما أنها ستعمل على أن لا يفقد زوجها هدوءه بعد الآن . وعادت وابنته ، وسعل زوجها بعيدا واستمع وقد بلغ به الغيظ ذروته . ضايقته ضوضاء الببغاء وكان مجرد رؤية زوجة ابنه شيئا غير محتمل ، وأحيانا كان يغلق عينيه ويجلس وهو يقول لنفسه ان العالم كله يريد قتله « ومرة هدد أناندا بأرجيلته لأنه لمس الأرز قبل أن يعطيه اياه . ولكن أناندا كان قد شعر بميل غريب نحو بتي المسكينة وكان يذهب هناك دائما ليشتري حاجياته ، وكان هناك سر صغير لم يكن يعلمه أحد الا أناندا وبتي ففي أمسيات أيام السبت عندما لا يكون موتيلال متواجدا هناك كان أناندا يذهب للحنوت وكانت بتي تعطيه حفنة من الغلال المملحة بثقة كبيرة وبحنان بالغ وكانت تقول لنفسها : « انه غلام يتيم ، وأنا أيضا كنت يتيمة » . وكانت تشعر في قلبها أن أناندا يميل اليها - كانا صديقين في الخفاء . وكان يجب ألا يعلم موتيلال بذلك . . . . .

أبدا .

وأخيرا امتدت صفقات موتيلال المالية ليس فقط في حيدر بور ولكن الى الولايات القريبة . وكان له أصدقاء كثيرون بين الكتبة والسكرتيرين وكان رؤسائهم دائما يطلبون مالا ومزيدا من المال . وكان مأمور ضرائب سيندر بور قد اقترض عشرة آلاف روبية ليشتري عربته الجديدة وليدفع بعض الديون القديمة ، وكان نسيب الملك قد بلغ سن الرشده وورث عقاراته وكان معها كثير من المتاعب ، وكان قد اقترض عشرين ألف روبية ليدفع لمحاميه في بومباي



وعندما يربح القضية - وكان واثقا من ذلك - فان موتيلال كان سيحصل على  
نقوده زائدة فائدة قدرها عشرون في المائة .

ولم يكن هذا معروفا لأشخاص كثيرين ولكنه كان حقيقة . وكانت هناك  
وثائق تثبت ذلك . وأن رئيس الوزراء العظيم - بعد أن خسر مبلغا ضخما من  
المال في مصنع للجوت في كلكوتا - قد اقترض خمسين . . نعم . . خمسة  
وصفر . . خمسين ألف روبية بفائدة قدرها سبعة عشرة في المائة . وفي بضعة  
أشهر ستعود تلك الأموال بفوائدها . ولم تكن هناك الا عملية واحدة مريرة  
سيئة الحظ فان أحد الكتبة - وكان يعرف لسنوات عدة - قد احتاله عليه .  
فان ذلك الوغد كان قد أخذه لرجل كان يطلب فقط ألقى روبية - نعم ألقى  
روبية . وكما قيل لموتيلال فان ذلك الرجل كان اقناعيا يملك عدة قرى في  
مقاطعة تيكابور ، وكان يعيش في منزل ضخم للغاية ولديه العديد من الخدم  
والحشم والعربات حتى أن موتيلال كان على أكمل استعداد لأن يقرضه المبلغ  
المطلوب الذي كان كذلك لمدة قصيرة . . ستة أشهر على أكثر تقدير بفائدة قدرها  
اثنان وعشرون في المائة . وتم تسجيل الأوراق اللازمة في حينه وشكر « جانكي  
رام » - فقد كان ذلك اسم الرجل - شكر موتيلال بحرارة لانقاذه من دائن  
قديم . وكان المحصول القادم سيجعله ثريا ، ولكن الدائنين في غاية انقسام  
فانهم يتكلمون مع كل شخص عن أمور الشخصية . وبعد بضعة أسابيع أخبر  
أحد الأشخاص موتيلال عن طريق الصدفة ! بالفضيحة الفظيعة لشخص كان  
يدعى أنه عمدة « كوتى أبالي » وفجأة اختفى من المدينة تاركا عرباته بدون أن  
يدفع ثمنها وكذلك خدمه وإيجار منزله . ولم يكد موتيلال يسمع بذلك حتى  
خر على الأرض وهو يصرخ كالأطفال ويجذب شعر رأسه في أسى بالغ . وهرعت  
بني اليه وأسرع أهل الحي ليروا ما يستطيعون أن يقدموه ولكن . . . لم يكن  
بوسع أحد أن يفعل شيئا .

ومرت الأيام . . . وأحيانا كان يصرخ فجأة « عمدة كوتى أبالي . . .  
ألف روبية بفائدة قدرها اثنان وعشرون في المائة . . . أتعرفه يا أخي ؟ » أو  
كان يستيقظ في منتصف الليل ويخرج للطريق ويصرخ بأعلى صوته ان المنزل  
يحترق وان الألفى روبية قد عادت ومعها ربح مائة في المائة ، وغالبا ما كان  
يجلس في ركن البقالة يبكي ويضحك وهو ينتم لنفسه بأشياء بأصوات غريبة  
ومختلفة ولكنه كان يلتزم الدقة والأمانة للغاية مع أرز وملحه ، وكان يزن  
الأشياء بالقسطاس ، لا نقصان ولا زيادة كما لو كان رجلا طبيعيا . وكف الآن  
عن ضرب بني وأحيانا كان يلاطفها في أوقات غير مألوفة - وكان لا يزال يمقت  
راتي - ولكن حدث مرتين أو ثلاث مرات أن كان يحتضنها فجأة ويبكي ويصرخ  
« كم كنت مخطئا وكم كنت كافرا وكم كان وحشا عجوزا » .

ولكن كان شيئا عجيبا ومثيرا للضحك - كما قالت زوجة الكاتب القصيرة

لجيرانها - أنه على ما يبدو لم يتبادل كلمة واحدة مع ابنه وحتى اذا وقف تشوتا أمامه فإنه كان يتحول عنه بهرود ويبتسم للبعاء أو ليعمل • وبعد أن « أضاع رأسه في البئر » كقول أهل الحى فقد سيطر عليه هوس غريب بجمع قصاصات الورق التى تتطاير فى الطريق ••• من مظاريف مزقة ••• وعلب سجائر ••• وقصاصات من الصحف ••• وحتى أوراق الموز البتافة وأوراق شجر البانيا التى تشبه الورق • كان يجمع هذه الأشياء بعناية ويعود بها للمنزل ويضعها فى ركن من الأركان ويدعو زوجته كي تشاهدها وتبدي إعجابها بمقتنياته الثمينة • وتوالى خروجه يوما بعد يوم ، وأخيانا كان يترك عملاءه منتظرين ليجرى خلف قطعة من الورق وتتقاذفها الرياح فى الطريق •

وغالبا ما كان يقول لنفسه - وهو جالس على مقعده : « عندى ورق ••• عندى الكثير ••• الكثير من الورق ••• أنا غنى لو بعته سأحصل على نقود ••• ها ••• ها ••• نقود ••• أوراق مالية » • أو كان يصرخ فى منتصف وجباته « ان عمدة كوتى أبالى قد عاد وأحضر له عشرين ألف روبية ••• فعلا عشرين ألف روبية !! » « ما رأيك فى ذلك يا بتى ؟ ••• هيه ••• أليس جميلا ؟ » •

وكانت بتى تشيح بوجهها عنه وتقول : « أهكذا أصبح زوجها ؟ » • وبعد عصر أحد الأيام بينما كان يجمع أوراقه دهمته سيارة وقتل فى الحال •

وحصلت بتى على تعويض قدره عشرة آلاف روبية • وصارت حرة • والآن ، وقد مات موتيلال فان مسئوليات تشوتا زادت عما قبل ، وكان عليه أن يراجع الحسابات ويتوجه للناس ليطلب بدونه ويوقع ويسجل صفقات جديدة ، وعلاوة على ذلك كانت هناك المؤونة المعتادة من مخزن الغلال الرئيسى مرتين شهريا ، وغالبا ما كان يعود التاسعة أو العاشرة مساء متعبا لاهث الأنفاس وقد غطى الشراب وجهه وعيونه مصفرة قد خبا بريقها ، وتقدم له راتى عشاء الذى كان دائما جاهزا فى أحد الأركان • وطبعا قلما تبادلا الحديث • ولو كان لديهما ما يقال فإنهما كانا يتفاهمان بالإشارة والإيماء ، أو بكلمات قليلة كان يهمهم بها وكأنه يحدث نفسه ، وكانت بتى تجلس الى جانبه وهو يأكل وتتحدث عن صفقاته التى تمت فى ذلك اليوم •

وبعد العشاء كان يستريح قليلا ثم يتوجه الى فنكو التى كانت تستقبله دائما بوابل من اللعنات والشتائم فانه لم يكن يعطيها الكفاية من النقود ، ورغم ذلك فإنه لم يكن يتركها لترحل عنه • ان ذلك الممثل الهزلى مير صاجى كان لا يزال يلح عليها أن تعود اليه ، وكان تشوتا يعلم أن ذلك حقيقة • وكانت لها مشاحنات بسبب مير صاحبى هذا الذى رؤى فعلا مرة وهو يتحدث اليها

قريباً من نافذة الحانوت • وفى ثورة غضبه ضربها تشوتا فهربت الى الآخر .  
طليقة كالكلب • رسب تشوتا ولعن وبصق وحرق فى ثورة جامحة • ولكن لم  
يكن هناك شئ ليحتمل فقد رحلت وكان ما كان •

وأغلق الحانوت وتوجه الى منزله ليأكل وعندما خاطبته بتى ثار فى وجهها  
ثورة عنيفة وطلب منها الا تدخل فيما لا يعنيه • وأحضرت راتى الطعام •••  
ولم يكن الحساء ساخناً ••• لم يكن ••• « يا ابنة الساحرة ••• أيتها الداعرة  
القدرة » وركلها بعنف فى معدتها حتى أنها سقطت على الأرض تئن وتتلوى •  
وكانت هذه هى المرة الثانية التى يركلها فيها هكذا • وكانت المرة الأولى منذ  
بضعة أشهر عندما كانت حاملاً ومات الطفل لذلك • وعلى كل حال لم تكن المسألة  
خطيرة هذه المرة • فلا عملية جراحية ولا شرطة تخشى •

وسرعان ما تماثلت راتى للشفاء ، وسار كل شئ ، كالمعتاد غير أنه عندما  
عاد الى حانوت السجائر كان لا زال مغلقاً • ان تلك المرأة اللعينة لم تهرب  
بنفسها فقط ولكنها اخذت معها ابنه • يا لها من محظية نكدة وشعر بالاذلال  
والتمزق وبدت عيون راتى المحبة المعذبة مريجة للغاية • لماذا كان يفكر فيها ؟  
انه لم يكن يدرى ، وعاد مسرعاً ونام مع راتى ولم تنعم بمثل هذه السعادة من  
قبل ولكنها كانت تعلم انه سسيكون بارد المشاعر ثانية ••• فى صباح اليوم  
التالى • مسكينة راتى فقد كانت حياتها فاتمة ••• ولدت لأبوين ثريين فلم  
تكن تدرى شيئاً عن العمل اليدوى وكانت أجمل أخواتها وأحبهن فى العائلة •

والآن وقد مات والداها ولم يصلها من أخيها حتى بطاقة بريد • وهما هى  
هنا ••• جارية كبتى •• زوجة عادية لرجل له عشيقة ••• ان وجودها كان  
أسوأ من أى شئ سمعت عنه أو سمعته فى مسقط رأسها • ماذا كانت فائدة  
كل تلك النقود التى كان يمتلكها زوجها ؟ ولماذا ؟ ••• وكانت تضطر لأن  
ترقع رداءها مرة كل أسبوع تقريباً ••• وكانت ترتدى أساور فضية بدلاً من  
الذهبية التى كانت ترتديها فى طفولتها ولم يكن هناك ما تأمل فيه •• أو  
نطلبه • وكانت حتى قد علقت ثمرة جوز هند فى معبد ماروتى بنذور وصلوات  
أن يصير زوجها أكثر عطفاً عليها • ولكن شيئاً لم يحدث للآن ••• لا شئ •  
وراودتها فكرة الانتحار مرة أو مرتين ولكن الفكرة أزعجتها فان حياتها وحيدة  
هكذا كانت أكثر راحة ••• وعضمت شفيتها وصممت على أن تعيش وحيدة •  
فبوما ما سيعود زوجها ويحضر اليها ••• والا ••• حسناً فليعيش المرء فقط  
•• مثل بنى •• وكان وباء الطاعون •• وكانوا يسمونه الاله •• يقوم بزيارة  
سنوية لحيدر بور فى السنوات الأخيرة وكان ذلك فى شهرى أكتوبر ونوفمبر  
وكانت مواكب الجثث تتوالى فى الطرقات حتى تأتى شمس مارس الدافئة  
ونحارب تلك الالهة وتنحيزها عن العرش مؤقتاً •

وخلال جلوس الالهة على العرش فان نصف المدينة يكون خاويا ويمتلىء  
الريف المجاور بأكواخ البامبو الصغيرة حين يلجأ الناس خوفا أن يكون  
الاختيار قد وقع عليهم . وكان رجال الطب وكبار الأغنياء بفيلاتهم النظيفة  
الواسعة والعمال ٠٠٠ والمقعدون والفقراء ، المحتاجون هم فقط الذين يبقون في  
منازلهم المسكونة بالأرواح .

ومنذ بزوغ الشمس في الصباح حتى غروبها بسرعة في الغسق فان  
كل المدينة تبقى مشغولة فقد كانوا يقولون أن الالهة تستطيع أن تعمل فقط  
في الليل . وتبقى المخيمات خاوية تقريبا الا من الأمهات والمسنين ثم ما يكاد  
الليل يرخى سدوله المهلهلة على المدينة حتى يعود الطريق صحراء مرة أخرى  
٠٠ وحتى الكلاب أيضا قل عددها .

وبين الفينة والفينة تمرق سيارة مسرعة وهي في خوف مقدس من أن  
تسترق الالهة نظرة الى داخلها ولو للحظة خاطفة . أو يظهر حشد من الناس  
يشيرون جثاما وهم يصرخون ويولولون . وكانت النجوم المعلقة في السماوات  
هي فقط التي ظلت مليئة بالطهارة والقوة أنها هي وحدها التي بدا أنها تعلم  
أن الحياة أبدية .

وكان هناك مكان آخر لا تتغير فيه الحياة . كان ذلك هو حانوت  
الفلال الصغير . وهناك سار كل شيء كالمعتاد . ولما كان كثير من تجسار  
المدينة قد رحلوا الى العالم الآخر فقد ارتفعت واستفادت بتى بالطبع من ذلك ،  
وباع أحدهم ربع رطل من اللبن بأنات ثمان بدلا من ست . وحتى الموز  
ارتفع ثمنه .

وفي أحد الشهور زاد ربحهم مرة ونصف عما كانوا يربحون في المواسم  
الأخرى . وجلست بتى في مقعدها على منصة الحانوت كما لو كانت ستشهش  
الالهة نفسها بعيدا بمهشة الذباب الصغيرة .

ولكن ذلك لم يكن مقدرا له أن يستمر دائما فقد تركتهم الالهة سالمين لمدة  
سنتين ولكنها قررت ألا تتركهم بعد ذلك . فذات مساء شعرت راتى بجمي  
شديدة وبالطبع لم يكن هناك شك أنه الطاعون . وفي صباح اليوم التالي  
حضر مندوب البلدية وطهر المنزل بالقطران وأحرق الكبريت في فتحات جحور  
الفئران . وفي الحادية عشرة حضر مفتش البلدية وطلب من بتى أن ترسل  
زوجة ابنها الى المستشفى التي تعزل فيه المرضى ٠٠ لا ٠٠ انها لن تذهب .  
ولما وجه السؤال الى راتى بدأت النحيب فانها تفضل أن تموت في ذلك المنزل  
عن المستشفى فان فكرة المستشفى ملأتهما رعبا . كل ما يفعلونه هناك ٠٠٠

ولا أحد يعلم ؟ فانهم يقطعونك اربا يخرقون لحملك ويفعلون مليون شىء غير مقدس آخر . الموت أفضل . ولكن راتى بتأثير قوة خفية انبثقت منها أحست بأن الموت لا شىء بالنسبة اليها لا لأنه لم يكن يهتم ولكن لأنه لن يلمسها . فلن يتمكن . كانت ارادتها تبدو لها أقوى من الموت . وكانت تعلم أنها لن تموت . ولكن فى اليوم التالى ارتفعت الحمى وزاد حجم « الخراج » وكانت تغيب عن وعيها نصف الوقت . ولكنها حين تستيقظ كانت تبدو واثقة من حياتها الى حد أن الطبيب الزائر أوفد من قبل لجنة الطاعون المحلية أخذته دهشة كبرى من عدم الخوف والثقة التى أبدتها فلقد أكدت له أنها لن نموت ولن تأخذها الآلهة .

وكان اليوم الثالث عندما حضر أنا ندا الى المدينة ليحصل على بعض الملابس من المنزل المهجور ، وبالطبع توجه لرؤية بتى وليحصل على مؤنثه الصغيرة من الغلال . وكانت راتى ترقد غائبة عن وعيها فى ركن البقالة وقد امتلأت عيونها بدموع راكدة وكان جسدها متيبسا لا غطاء عليه وقد وضعت يدا على ثدييها اللذين يرتفعان وينخفضان واليد الأخرى على الأرض ، وكان فمها مفتوحا عن آخره وحولها حشد من الذباب الطنان ، وقد دخل البعض منه الى فمها وحام البعض حوله وحط البعض الآخر على منخريهما المرتجفين وبين كل هذا كانت تئن فى صوت لاهت أجش . « أمى . . . أمى . . . آه . . . » .

ولا حاجة للقول أن راتى توفيت فجر اليوم الرابع وأحرق جثمانها فى عصر نفس اليوم . لقد ذهبت . وبدا أن عزيمتها تفتت أمام النيران التى نهمتها . وانتصر الموت .

وبعد سنين عدة عندما عاد أنا ندا من الشمال مر على حانوته العزيز وبدا مألوفاً له كالعادة فقط أخبروه أن بتى توفيت من شهور بسبب الشبخوخة وكانت فنكو هى التى تجلس على منصة الحانوت . واشترى مؤنثه المعتادة من الغلال وقدم بعضاً منها الى البغاء التى عاشت رغم كل شىء وصاحت البغاء « السلام عليكم . . . السلام عليكم . . . أيها الرفيق الطيب . . . السلام . . . السلام . . . »

وفى الطريق . . . ارتفع الغبار . . . وسقط .



## نيمكا

### نيمكا

قابلت البارحة نيمكا في باريس . ونيمكا أو « نيموتشكا » روسية بيضاء من أصل قوقازي ولكنها تفضل أن تقول أنها جركسية فهذا أخرى أن يضيف عليها شهرة غامضة .

كانت لنيمكا عينان خضراوان لا تستقران تنسبه عيون المغول ، ولسان لين ينحرك في فمها ويقطر منه شهد مصفى . عندما عرفت لأول مرة منذ عشرين عاما كانت تقوم بالخدمة في أحد مطاعم الحى اللاتينى الذى كان يقدم لها الطعام والعمل والمئات القليلة من الفرنكات التى كانت لازمة لعاشة والدتها من أسبوع لأسبوع .

وبالطبع كانت والدته نيمكا قد ترعرعت في سمولنى . ويبدو أن بلاط سمولنى لعب دورا هاما في تاريخ حياة أسرتها في الثورة أو الحرب الأهلية . لأنه في بلاط سمولنى كانت تراود الأنسات الصغيرات الأحلام وكانت أحلامهن كلها رائعة - أن دوفا عظيما - بالطبع - ذهب الى حفل راقص - وكانت الشركسية الجميلة - بالطبع - أفتن من أى شئ رآه . وكان بلاط سمولنى قد علمن ذلك النوع النادر من الخفر الذى يؤثر حتى في خيول زحافات الجليد ويجعلها تصهل . وبالطبع لم تكن الامبراطورة لتعلم بشئ من هذا ، ولكن قسيسا ذا مركز رفيع تدخل . ولما كان البلاط مغرما بالمجازفات فقد هرب الاثنان الى سويسرا ، وبالطبع غضب الامبراطور واحمر وجهه وايضا من الغضب كما كان متوقعا ، ولكن ما كان قد كان - وفضلا عن ذلك كان للشركسية الجميلة والد يعمل جنرالا في الجيش ثم رقى ونقل الى البلاط ، وبالطبع القى اللوم والخطأ على الكونت تولستوى الذى دمر كل أثر للمجتمع

القديم ، وكتب تولستوى خطابا الى الكونيسة سنراجانزا بوديلوف - خطابا ما زال كنزا في الغرفة الصغيرة - « النالثة الى اليسار عند السلم اليمين » كما تقول حارسة الباب ، وتقرع الباب وتفتح الشكرسية الجميلة الباب لك بابتسامة تشيع الدفء في قلبك حتى في ذلك الصيف البارد الرطب - صيف ١٩٥٣ - وعندما أقول ان تلب بيكما كان يشيع الدفء فيك فأننى أعنى ما أقول لأننى كنت أجلس الساعة تدو الساعة في غرفتها الصغيرة بشوارع فوسيه سان جاك حيث لا تدخل الشمس أبدا ، حتى أن قطرة حارسة الباب كانت تضطر لان تعبر عند حافة الشباك لترى اذا كانت الشمس تشرق في أى مكان من السماء .

وكانت نيكما تقدم لوالدتها حساء البورش (١) بطريقة جميلة . كانتا تقيمان في الطابق الارضى الذى يطل على ساحة الدار ، وكان الطلبة يدخلون ويخرجون من الباب الرئيسى وهم يرمقون تلك الأميرة بنظرات غامضة وهى تطعم قطرة حارسة الباب .

وكان بعضهم قد قرا قصة جوركى « ستة وعشرون رجلا وفتاة واحدة » وجال بخاطرهم ان تلك الاميرة هى معبودهم المقدس الذى لا تنتهك حرمة . ولم تكن نيكما بالطبع قد قرأت جوركى ، فكيف يتسنى لها ذلك ؟! ولكنها كانت تعلم الصواب من الخطأ ودون أن توجهها والدتها أو تقول لها أى شىء . وكان خطاب تولستوى موضوعا فى اطار مناسب ومعلقا على الحائط والى اسفله بقايل ايقونة كييف فى أحد الأركان ، تعطيان النصيحة لكل من يحتاج اليها .

وكان تولستوى قد كتب بخطه المتموج - وكانت هناك كلمات فرنسية كبيرة فى خطاباته توحى بمن كان يخاطبهم فى مراسلاته .

« لا يوجد هناك أدنى شك . . . لقد قال أوجست كونت مرارا . . . ومن ناحية أخرى فمن الأجدر بـ . . . اننى . . . » .

وكتب تولستوى بخطه الانيق المزخرف ان الشر يجب أن يقابل بالخير ، والطيب هو ما يمتاز بالوضوح والجلال ، والخبيث هو ما يتسم بالنجاح . حتى الهرة تعرف ما هو الطيب .

ولم يكن أحد يستدعى الهرة عندما تنتهى الأم من حسائها وينقل الباقي

---

(١) البورش - حساء معروف فى اوربا الشرقية يصنع عادة من البنجر والكرب .



الى ساحة الدار فقد كانت الهرة تنتظر هناك وكان الشيء الصحيح سيحضر  
من المكن الصحيح فى أنسب الأوقات .

ومن يعرف عن نفسه انه طيب ، فانه يعرف أيضا بالحيوانات التى يقتنيها .  
لم تكن الهرة تموء قط . ان أحدا لم يكن فى حاجة لأن يصيح كحارسه  
الباب « مينو . مينو » فان مينو ذلك الحيوان الصغير الأسود المخطط  
بالبياض . كانت دائما حاضرة بفرائها السميك وبروحها المرتفعة المقررة بالعرفان  
بالحميل .

وحتى الاميرة العجوز كانت تترك بعضا من طعامها للهرة وهكذا فان  
نيموتشكا الصغيرة كانت تترك جانبا من طعامها لوالدتها ، وهذه هى الطيبة  
... ان كانت الطيبة تحتاج الى تعريف .

وكانت نيموتشكا صالحة . صالحة جدا وذات جمال بسيط حقيقى  
لا يمكنك أن تمحوه حتى لو قطعت وجهها صلبانا ، وكان فى جمالها يقين  
وتوازن نادر و « شقاوة » أنثوية بريئة وكان يبرز لك نوعية من التأكيد تقطع  
بأنك صالح طيب ، وحتى لو كنت خبيثا فانك ستضطر أن تكون صالحا ، لأن  
هذا الجمال غير قابل للأخذ . كان جمالا وسيبقى أبدا ولا يمكنك أن تسيئها  
إياه مثلما أنه لا يمكنك أن تلتطخ نفسك - وكيف تستطيع ذلك فانك لو تأملت  
فى الجمال سينتهى بك الحال الى التأمل . ويمكنك حتى أن تحتسى قلدا من  
الشأى . وبالطبع - كانت نيموتشكا مغرمة بالشأى وأحببت أنا الشأى لأنها  
كانت تحبه .

وكنيت أذهب الى نيموتشكا - فقد كنت طالبا أيضا - وفى السوربون  
وفى صباح أيام الاتحاد عندما كانت تعود من الكنيسة كانت تحب أن يزورها  
أصدقائها .

وفى ذلك اليوم كان اعداد الغداء يتأخر وهكذا فكان ساعة اضافية  
- وكانت نيمكا مرحة - وعندما عادت قرأت لها بعض نصوص من « رامايانا » ،  
و « ماهابهارتا » وقصة نالا وداما يانشى ، وكان نفى الزوجين الملكيين دائما  
يحرك مشاعرهما . وكانت تربط بين ساحة سمولنى وقصر دهماياننى ، وكان  
يجب عليها فقط أن تخترع البجعة . وكنت أنا البجعة حينئذ وكنت البجعة  
الآن وكانت نيمكا تعرف القول الهندى المأثور أن البجعة يمكنها الفصل بين  
اللبن والماء - بين الصالح والطالح . ولما كنت أعرف عنها الصلاح فقد سلمت  
بى أننى البجعة .

وجاءت البجعة ورحلت وأصبحت الهند هى الأرض التى يستقيم فيها  
كل معوج فى أى مكان آخر فى العالم .

ففى الهند يعيش بلاط سمولنى - وليس هناك مناص من أن يعيش --  
أنظر الى عدد المهرجات ، مهرجا كابورتالا وصاحب السمو الأمير أغا خان  
وكلهم هنود ، وقد رأيت صورهم فى الصحف ، انهم يؤكدون وجودك الذى يقيم  
بالصلاح والاستقامة - كان لك حق أن تعيش فى عدل لأنهم موجودون ووجودهم  
الوقورة المألوفة تضى صفحات الجرائد .

وكانت نيمكا وقد اصطحبتنا مرة الى مسرح الشانزليزيه لثرى رقصة  
« أوداى شانكار » قد قابلت بالفعل « يوفراجا أوف ميسور » وقمت بتقديمها  
اليه ، وثنت ركبتها فى انحناء رشيق ، وعلى وجهها بسمه مشرقه أكلت لها  
أنها كانت على صواب فى نقتها واطمئنانها .

وكانت الوالدة معترفة بجميلى لطيفتى وعطفتى . وفى خلال بضعة  
شهور ارتفعت صورة اخرى على حائطهم -- صورة المهاتما غاندى لأن تولستوى  
كان صديقا للمهاتما غاندى ( قرأت لها النص الكامل لخطاب تولستوى للمزعيم  
غاندى . الخطاب المنشور فى كتاب « حياة غاندى » بقلم رومان دولار للناس  
ستور ) وهكذا كان تولستوى على حق والهند على حق ، ولما كانت لا تستطيع  
أن تضع صورة لى على الحائط فقد وضعت صورة المهاتما غاندى وأضفت رونقا  
كبيرا على وجه تولستوى فقد ظهر أحدهما كالتابع والآخر كاليد . ولما كنت  
أحد أبناء الهند فقد كنت - كما يمكن أن نقول - حفيدا من نوع ما وكانت  
هى أيضا فى نفس مركزى ، وقد جعل هذا كل شىء ممكنا ، الهنديث ..  
النظرات الرقيقة وعشاء بين الحين والحين فقد كانت لى حينئذ أمسية خالية  
كل أسبوعين مما جعل العلاقة مسموح بها . وكنت أستطيع أيضا أن اصطحبها  
الى المطاعم الصينية وكانت تحب أن تكون الأميرة . وكانت ترتدى فراء والدتها  
الفاخر ( المينك ) بالطبع وقلادة لؤلؤيه احتفظا بها رغم كل العوائق فقد  
كانت هدية زفافها - وكانت نيمكا كما أظن مغرمة بى ولكن تلك القلادة بشكل  
ما وقفت بيننا . فلم تستطع أن تنصرونى أنا والقلادة معا - فقد كانت القلادة  
مصاغة من الألم - فقد كانت هناك تذكرة لقوى الانسان الداخلية ضد المتاعب  
الخارجية وكانت تعنى الكفاح والعاطفة والعود - فان كسر « قوس راما » كان  
أسهل من ثنى مشبك تلك القلادة الروسية ، فان اليد التى تستطيع ثنيهما  
كانت ستحتاج الى قبضة أقوى وإلى نبل أكثر ألما وإلى سعادة أكثر جديه  
ورصانة .

الهندي بسيط للغاية فى أعماقه فلو لم يكن هناك حارس للبواب ولا هره

فلا صلاح هناك ولا طيبة • النجاح اتم • وغاندى هو القمر ، والمهرابجا هو  
الدليل على الصدق • والصدق غير عار ، والحب لا يباح به • وهذا وقعت  
نيمكا فى غرام ميشيل •

والآن فان ميشيل كان صديقى وكان يبلغ التاسعة عشر وله قناع جميل من  
الوقار وكان قد أنهى دراساته فى « الايكول نورمال » • وكان يقطن فى شارع  
اولم ، وكنت قد تعرفت به لأنه اختار لغة السانكرىيت لامتحان التخرج وطالما  
قابلته فى معهد الحضارات الهندية فى جامعة السوربون • كان صاحب الوجه  
ولأنفه رعشة عصبية ويداه دائما تحاولان أن تثبت منظاريه وكأنه كلما حاول  
أن يرى بوضوح فانه يعجز عن ذلك •

وكان قد قال لى « عندما يقول أساتذتى أخضر فائنى لا أعرف ما هو  
الأخضر وعندما يقولون أحمر فائنى لا أعرف ما هو الأحمر • أعرف أنها أسماء  
ألوان ، وكل حياتى كنت أريد أن أرى •• أراه ••••• الشئ ، الشئ كحقيقة  
ولكن ماذا أستطيع أن أفعل يا صديقى لا يمكننى أن أتطلع اليه • أنا فاسل ••  
أنه مصاب باللعنة • لقد توفى والدى فى الحرب وترك أمى أرملة فى الواحدة  
والعشرين وأنا أمل الأسرة • أى أمل هذا الذى لا يستطيع التفرقة بين الأحمر  
والأخضر - اللون •• نعم انه اسم - والاسم هو كل شئ • فان أبيلارد ذلك  
الحس القديم كان على حق فنحن جميعا « أسمانيون » (١) • فان الشئ موجود  
لأن له اسما • امسح الاسم يصبح الشئ فضاء • امسح الفضاء يصبح الشئ  
هو الحقيقة أو الواقع ، ويجب أن يصنع الشعر من الحقيقة • ان الصوتيات  
ابتداعات ارادية - نحن فقط نخترع اللغة كما نخترع التنفس •

وكان يقول التنفس وهو يفتح سترته كما لو كان يريد هواء أكثر ثم  
توقف وكانت نيمكا التى تقوم على خدمتنا نتوقف والطبق فى يدها حتى ينتهى  
حديثه ، وكانت مغرمة بصوته الوقور وغرامه بالكتابة على غطاء المائدة • وكان  
يكتب أصواتا • كان يخترع أصواتا •

وذات يوم عندما سافرت وعدت من اجازة عيد الفصح وجدت نيمكا  
وميشيل وقد تشابكت ذراعاهما وابتسما لى ابتسامة حلوة • كان ميشيل  
شاعرا • والشاعر مقدس • لم يكن تولستوى شاعرا بل كاتباً - ولكنه مع  
ذلك كان شاعرا بحق • كان ميشيل يكتب أشياء جميلة ويقول أشياء جميلة  
وكم كان يضحك عندما كانت نيمكا تضحك ، وكنت قديسهما وحاميهما •

(١) مذهب فلسفى يقول ان المفاهيم المجردة أو الملكيات ليس لها وجود حقيقى ، انما هى  
أسماء لاغير •

ولما كان ميشيل يعيش في شارع أولم ، ولما كانت لا تستطيع أن تصحبه لشارع سان جاك فقد كانا يتقابلان في غرفتي في شارع دي سومراد .

وكان ميشيل يقرأ لها أشعاره ، ولم تتزين له اطلاقا بالقلادة اللؤلؤية . أصبحت جادة . وكنت أعلم أنها لم تسمح له اطلاقاً أن يلمسها وهكذا فإنها احترمتها . وحدث مرة واحدة فقط - كقول ميشيل - أن سمحت له بنقبيلها وكان ذلك في كنيسة . الكنيسة الرومانية خلف شارع سوميرارد ، واعتبرت ذلك عملاً غير لائق فقد كان لذلك صلة بالجسد ، وكانت مضطرة لأن تخفي ذلك عن والدتها .

وقررت حينئذ أن تتزوج . . تتزوج أى شخص ، لم تكن تستطيع أن تتزوجني . كنت بعيدا جدا . . . قصيا جدا ومختلفا . ولم تكن تستطيع أن تتزوج ميشيل فقد قبلها ، وكان ميشيل يائسا للغاية . وتزوجت نيمكا بعد ذلك بشهر تقريبا ، الكونت فيرجيليان كوزمالوف الذى كان يدير المطعم النباتي القريب من « البانثيون » وسرعان ما حملت منه ، وعلى الرغم من انه كان هناك دفعه كثير في قلبها فان وجهها كان أبدا حزينا وكان الحزن كان يجلس على جبينها لا لأن ذلك الكونت النبيل كان يكبرها بعشرين عاما وكان أرملا فحسب ، بل لأنه كان مغرما أيضا بالمراهنة على الخيل . وخسر كل ما يملك على الخيل ثم بدأ يقترض من عملائه . وفي يوم من الأيام اضطر لبيع مطعمه وترك نيموتشكا خلال أيام الأزمة التشيكوسلوفاكية وهرب الى مونت كارلو ليربح مالا . ولم يره بوريس ابنه الصغير مطلقا بعد ذلك .

ولما احتل هتلر فرنسا تساءلت عما قد يكون قد حدث لنيمكا ووالدتها . ولما رأى بوليس هتلر صورة تولستوى وغاندى فانهم لم يضايقوهما اطلاقا كما كتبت الى نيمكا بذلك . وخلال الحرب عملت كعارضة أزياء من أجل ابنها بوريس وكانت تعلم أنه لن يحدث لها مكروه . وكانت تحتقر النجاح أكثر من أى شيء آخر وكانت ترغب في أن تعيش كما علمتها والدتها أن تعيش . وكانت والدتها قد توفيت أثناء الاحتلال . وكانت تؤمن بأن الحق سيسود العالم في يوم من الأيام . وكانت لا تزال تأمل أن المهاتما غاندى يستطيع انقاذ العالم . وأحبت هتلر لانه أحب الهند . واغتيل غاندى بالرصاص وعرفت نيمكا أن ذلك كان ثمن الاستقامة والصلاح .

وفي السابعة عشرة درس بوريس في « ليسيه لوى ليجراند » وكان بوريس يؤمن بأن الجميع طيبون وصالحون . وهكذا فانه عندما دعا الروس كل الروس في جميع أنحاء العالم أن يؤدوا خدمتهم العسكرية كان فخورا للغاية ( وعلى أية حال فانه لم يكن يرغب في أداء الخدمة العسكرية في فرنسا )

وعليه فانه ذهب آملا أن يعود يوما ويصطحب أمه . وبالطبع لم يعد بوريس أبدا .

تعيش نيمكا الآن فى شارع « ايكول » قريبا من شارع سوميرارد وتحريك الصدارى الصوفية للمحلات الكبيرة . وباعت القلادة اللؤلؤية واستغلت ثمنها فى حانوت ثياب صغير فى شارع بوينو ( لأن الطعام والغذاء لازمان للحياة ولا يمكن الاستغناء عنهما ) وأرباح الحانوت مجزية .

وما زالت الأيقونة وخطاب تولستوى يزينان الحائط ، أما صورة غاندى فقد ارتفعت فوق الفراش . لأن المهاتما غاندى يعلم آلام البشر المبرحة . فمع كل مسحة لأرضية الغرفة ومع كل صرخة من طفل فى الشارع ، هناك صوت يتجاوب . انه صوت المهاتما غاندى . وكما قالت لى نيمكا أمس ان المهاتما غاندى ليس رجلا وليس قديسا . ولكنه أمة .

يجب ان تموج الحقول الخضراء فى الشمس الساطعة ، ويجب ان ينحنى الرجال ليجمعوا الحبوب ويجب ان تطير البجعة هناك . والصلاح من الأشياء الطيبة لأنه ليس نجاحا . الفضيلة ميزة المرأة . والرجل هو المخلوق الذى لا يمكن اكتشافه . ولم تكن نيمكا حزينة فقد عقد قلبها صداقة حميمة مع الحزن كادت ان تكون قريبة من الفرح . وكانت دافئة القلب بالطبع ، وكان حديثها جميلا . وكان للكنتها الفرنسية تلك اللمسة الفضية للسلافيين التى تجعل اللغة غناء . ولم تطلب نيمكا من الحياة شيئا ولا طلبت منى شيئا . وعندما قلت وداعا لم تقل متى سأراك . كانت تعلم أن الحياة التى انتهت أيديه فحين تقتل بالرصاص ، تصبح من الخالدين .



## ب . ب . بيهاف

ولد ب . ب . بيهاف في دھوليا عام ١٩١٠ في أسرة من الأطباء والاساتذة . وحصل على شهادة بكالوريوس في الآداب وبكالوريوس في القانون من جامعة ناجبور .

وبدأ الكتابة عندما كان في المدرسة العليا « الثانوية » وكقوله « كان الدافع هو التعبير عن النفس » وقرأ الأدب الهندي وتأثر برامايانا ومهابارات وأعمال كاليداس .

ويعجب بشاكسبير - ديستوفسكي - تشيكوف - جي دي موباسان - هوجو وتوماس هاردي .

وبيهاف من أوائل كتاب القصة القصيرة باللغة الماراثية وخلال العشرين عاما الأخيرة كتب حوالي اثني عشر رواية ومئات من القصص القصيرة وكثير من التمثيليات .

ويعتبر النقاد بيهاف أحد رواد اتجاه القصة القصيرة الحديثة في اللغة الماراثية وهي كاللغة البنغالية حية ونشطة ومن رأيه أن أفق الكاتب الهندي ما زال ضيقا لحد ما ويجب عليه توسيعه ويجمع بيهاف بين النشاط الأدبي وممارسة المحاماة .





## اللفز

### اللفز

كان دينو منزعجا بدرجة بالغة ذلك اليوم . لم يكن كطبيعته أبدا . فان شيئا ما بداخله هب في ثورة صغيرة ضده .

وكانت رائحة العطور تملأ المكان حوله كأنها سحابة ثقيلة . فقد كان هذا هو عمله الأصلي في الأيام القليلة الأخيرة أن ينثر ماء الورد والعطور على الضيوف والزوار الذين حضروا لحفل الزواج .

وتساءل بعضهم :

« حسنا أيها الشباب . لقد فعلها ابن عمك . وماذا عنك ؟ »

وأضاف آخر ملاحظا :

« إذا تيسر له اتمام ذلك وهو في الثالثة والعشرين ، فلماذا لا تستطيع وأنت في الواحدة والعشرين ؟ هذه دولة استوائية ، هذه الهند » .

وقال ثالث :

« حسنا أيها الأمير . لا يكفي أن يستخدم منزلك الجميل هذا سرادقا لزواج الأقارب . انه المكان الذي سيتم فيه حفل زواجك حين يحين الأوان . . . أليس كذلك . وما هذا الذي تقول عن الحصول على الاجازة الجامعية هذا العام . . . لا . . . لا . . . امتحان !

. . . ثم ماذا ؟ . . . حتى أن عظماء الرجال في الماضي كانوا متزوجين عندما كانوا أطفالا . واجتازوا اختباراتهم بنجاح . . . اليس كذلك ؟ »

• ال ٠٠٠ زواج » وكان الجميع يتحدثون اليه على نفس المنوال وهم يصبون اليه نظراتهم المتسائلة •

وكان الموقف كما لو كان فاسانت العريس الجديد قد انتهت من حزم حقائبه ومتاعه ، وكان الجميع يترقبون بقلق دور دينو ليواجه واجباته •

كان دينو قد اجتذب أنظار آباء وأمهات بعض الفتيات الصغيرات الجديرات بالزواج من أمثاله حينما كان يتنقل برشاقة كاشبين للعريس ، وفي الحقيقة فان العريس نفسه لم يكن له اعتبار على الاطلاق ، وكان الزائرون قد انتهوا من القاء نظرة فاحصة على المنزل الفاخر والسيارة الجميلة اللتين يمتلكهما والد الشاب الصغير • ولم يكن واقع دينو كطالب جامعي صغير يتقدم للاختبار النهائي أهمية في نظرهم وضمت الأيدي المجددة أمام والد دينو • وكان العظماء والكبراء يتحدثون بنبرات ليننة وجميلة ، وألقيت أسئلة مؤدبة عن الوقت الذي يمكن فيه ارسال صورة الفتاة الصغيرة ، وعن متى يمكن اتاحة فسحة من الوقت الثمين وعن متى يمكن احضار الفتاة لاجراء مقابلة • وكان يبدو أن الجميع يتحدثون عن الزواج • ليس عن فاسانت العريس الذي كان هاضيا في اجراءات الزواج - ولتذكر ذلك - ولكن عن دينو الذي لم يكن مستعدا للتفكير فيه قبل مضى سنتين أو يزيد •

وكان دينو أيضا يشعر بنوع من الانجذاب للجنس الآخر ، تماما كما يشعر أى شاب عادي ، ولكنه لم يفكر في الزواج جديا حتى هذه اللحظة • وقد تغيرت الأمور على أية حال في الأيام الثلاثة الأخيرة • فقد كان يتجول في جو مشحون بالزواج ، وأشارت أصابع كثيرة في اتجاه واحد واتجهوا واحد فقط حتى أن وعيه أخذ يزيد بالتدريج بما يدور حوله ، وجفل بشدة كأنما يواجه حدثا غامضا ، فقد انحصر تفكيره في اتجاه واحد وبدأ يرى هناك شيئا لم يره من قبل •

وعزف بعضهم بعضا من الموسيقى الكلاسيكية على الناي وكان في عزفه جمال ساحر • ولحسن الحظ أنه لم يقع ضحية اغراء عزف أغاني فيلم رخيص واختار مقطوعة ممتازة حقا • واستطاع دينو أن يرى صورة العازف أمام عينيه ورآه يخلق دوامة من الموسيقى والعواطف وكان دينو قد أمتص في تلك الدوامة الموسيقية •

كم كانت بديعة تلك الأيام الثلاثة الماضية ، وكانت أنغام الناي السحرية قد نسجت معا ذلك العالم الدقيق الذي دام خلال الأيام الثلاثة الماضية • وكان عبير البخور ، وارتفاع لهب النار المقدسة ، وأعمدة أشجار الموز ، وأفرع شجر المانجو ، وأكوام الزهور ، والأثواب الجميلة ، والزينات الجذابة ، والوجوه المرحية والطنافس الغالية ، ثم غالب الأناشيد الصالحة للغناء - مقدسة ،

مكتفة في الكلمات والمعاني الجميلة - كانت هذه الأشياء جزءا من الصورة وكان هناك أيضا وجوه لأناس قادمين من جهة ما ، ومتوجهين لمكان ما . وجوه تقترب وتختفى ، وجوه ترتفع وأخرى تطأطئ - ولكنها جميعا كانت مبتسمة سعيدة .

كان منزله قد تحول لشيء آخر في هذه الأيام الأخيرة . لم يعد بناء من الحجر والملاط ، بل تحول الى معبد للزواج ، وانبعثت آمال جديدة ، وتفتحت آفاق جديدة ، وترعرعت سعادة غير عادية . كان كل ما حوله ساحرا مغرقا في سحره ، فاسانت توردهان وليلا بارانجاب !! من أين أتيا ؟ لقد أتيا من أماكن بعيدة . لم ير أحدهما الآخر قط من قبل . منذ عدة شهور مضت لم يكن أحدهما يعلم بوجود الآخر . والآن اجتمع الاثنان للأبد في وحدة تدوم مدى الحياة . وقد عزمًا الآن على اقتسام حياتهما بأفراحها وأتراحها ، وآمالها ونكساتها . كان أمامهما مستقبل واحد الآن . واندمجت في حياة واحدة حياتان لشخصين كانا لأيام معدودة لا يعرفان شيئا عن بعضهما البعض . وستكون هذه المرأة الغربية قريبة وعزيزة لديه قرب وعزة والديه . ولعلها بمعنى من المعاني ستكون أقرب اليه من والديه . فقد يفترق عنه والداه ولكن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت حتى الأمس غريبة عنه ، لن تفعل ذلك . وبدون سند من عقل أو منطق ، أصبحت شريكة له فيما بقى من عمره . فبعد أن خطوا معا سبع خطوات في حفل الزواج ، أصبحا متحدين معا لحيوات سبع . كم يبدو ذلك رائعا ومجيرا !؟

وعلا ضحك الرجال والسيدات في الخارج ، وكان ديتو يستطيع أن يتصور ماذا يجري هناك . كانت طقوس الاستحمام الدينية تجري وطبعا لم تكن هناك فرصة أحسن للمرح والمزاح ، وكان فاسانت شابا وسيما وكانت ليلا آية من الجمال ، ولكن السحر الذي يحيط بالاثنيين بمناسبة الزواج كان له شيء خاص به ، فمنذ اللحظة التي دخلا فيها السرادق الخاص فان شعلة من داخلهما أضاءت جسديهما ووجهيهما وكل وجودهما في الواقع . ففي الوقت الذي احتسبا فيه حساء الأرز المحلى من نفس الاناء ، ولما همس باسمها في أذنيها وكتبه على حبات الأرز بخاتمه . ولما تبادلوا عقود الزهور ، ولما أدبت صلاتها ، وعندما خطوا الخطوات السبع معا ، وكذلك في وقت طقوس الاستحمام الدينية - فقد أشرق وجهه وتوردت وجنتاها هي أيضا . لم تكن صفة الجمال لتكفى لوصف هذه اللحظة - كان شيئا أثريا . . . من السبلوات العلى .

وعزف الناي مقطوعة رائعة بالخارج ، وأحيانا كانت الموسيقى تختفى تحت قهقهات عالية وكان المرء يستطيع أن يسمع صوت رشاش الماء . ثم طلب من الزوجة الجديدة رسميا أن تنطق باسم زوجها ، وعندما فعلت ذلك علا الضجيج والصخب كالانفجار فقد أطلق الغاز المضحك مرة أخرى وملأ الجو

صوت الرجال الخشن وأصوات النساء الناعمة ورنين الاساور والاوعية .  
كان دينو يحاول أن يسرق لحظات من الراحة بعد تعب وعناء الاحتفال  
بالضيوف ، وبينما كان مسنلقيا على فراشه فى غرفته ومضت أمام عينيه مناظر  
مختلفة من حفل الزفاف فى نصف يقظته هذه ونصف منامه تدافعت اصوات  
عديدة تساله « حسنا أيها الشاب - متى سيكون زواجك ؟ » وترنج دينو واقفا  
على قدميه ناظرا ناحية باب الغرفة لنوان قليلة متسائلا « ماذا يجرى هناك ...  
ايه ؟ » .

وكانت هيرا واقفة هناك على عتبة الباب .

هيرا - ابنة صديق والده الذى حضر حفل الزفاف - هيرا فتاة صغيرة  
غير متزوجة . ويبدو أنها حضرت لغرفته فى اليومين الأخيرين عن قصد  
وكررت زياراتها كثيرا عندما كان متواجدا فى غرفته . لقد نبذت المشاركة  
فى اللهو الذى كان دائرا فى الخارج ودخلت الغرفة . وسألته قائلة « دل لك  
أن تنهض للحظة من فضلك ؟ » .

« حسنا . ماذا يأتى بك هنا ؟ »

« .. أوه .. أنا آسفة .. ان ساريى هناك على حرف الفراش ، هل تمناع  
أن آخذه فقط ؟ »

وهب دينو واقفا بسرعة وكان ساريها الغالى المطرز بخيوط ذهبية موضوعا  
على فراشه فعلا .

كانت الوجبات الدسمة وضغط العمل المتواصل قد جعلا دينو مرهقا  
للغاية . وحالما بدأت طقوس الحمام المقدس بالخارج فانه فر الى غرفته . وكان  
هذا ما يجرى طوال الثلاثة الأيام الماضية . لقد عاد الى غرفته مساء أمس مرعفا  
للغاية ومستعدا أن ينام فى الحال فوجد أن تلك الفتاة مع فتاة أخرى قد نامتا  
فى فراشه قبل وصوله . واضطر أن يقضى ليلته بالخارج على مقعد خشبى ،  
ولحسن حظه لم يكن الجو باردا والا كان قد أصيب ببرد حتما والفضل لهاتين  
الدخيلتين فى غرفته .

والتقط السارى وناولها اياها قائلا :

« أرجو أن تعذرينى ، فلم الحظه كما تعلمين » .

« .. أوه .. لا عليك - انها غلطتى فى الحقيقة »

وكانت نبراتها معتذرة .

وقال « حسنا - لا تشغلى بالك - فى مكان مزدحم مثل هذا » .

وحينئذ انسحبت الأنسة الرقيقة وما زالت عيناها معلقتين بالشباب ونظر دينو إليها وهي تنسحب من الغرفة . نظر الى فراشه . والى غرفته التي بدا أنها تغيرت تماما . لم يبد أنها غرفة طالب جامعي بل أقرب الى غرفة ملابس للنساء . ولم يكن فقط ذلك السارى الذى كان على فراشه ، فقد كان هناك سارى آخر ملقى على ظهر مقعده . ركان هناك آخر قديم خلعتة احدى الفتيات وكان ملقى على الأرض . وكانت هناك بعض الملابس الداخلية للسيدات وعلب المساجيق ، وأمشاط ودبابيس للشعر وزهور وأشياء متنوعة أخرى .

طقم كامل لأى فتاة عصرية . كانت غرفته قد تحولت لمنجر للأزياء الشرقية . بدون استئذان أو موافقة كانت الفتيات والسيدات قد استولن على غرفته . وفى المكتبة هناك وقف شاكسبير ورسكين وقد بدا وجهاهما صغيرين .

لم يكن دينو من قبل قد احتك بالنساء عن قرب مثل الآن . وما هذا ؟ شعر امرأة على طاولته !! ونظر بضيق الى المنضدة والتقط تلك البقايا من الشعر . كان ملمسها ناعما جدا وعلى الفور فهم دينو . كان هذا شعر « فيال جوشى » الفتاة ذات الشعر الذهبى . كانت واحدة من قريبات العروس ، ورغم أنها كانت طالبة جامعية الا أنها لم تكن بجسارة الأخرى . . . . هيرا . . . . ولم تظهر فى حضوره عن عمد اطلاقا . كانت جميلة ومتواضعة وشعرها طويل ناعم وذهى . وكان والدها أيضا قد تحدث مع والد دينو ويدها متشابكتان . أدب متجسد .

أصبح دينو شعلة من الاهتياج ، ومرة ثانية ترددت أصداء الضحكات العالية من الخارج . ودارت عيناه مرة ثانية الى فوضى أدوات الزينة وعلب المساجيق وطلاء الأظفار وأحمر الشفاه والأمشاط ، والسارى الجديد المطوى على ظهر مقعده والآخر المستعمل الملقى على الأرض ، وأخيرا استقرت عيناه على السارى القديم الأصفر اللون ذى الجوانب الحمراء . فى نفس الوقت كان الناي بالخارج يشدو بانسودة رقيقة .

كان سرادق الزفاف قد أصبح خاليا ومهجورا الآن وأزيلت المقاعد والأبسطة وتناثرت على الأرض أوراق شجر الموز الجافة وأوراق النبات المتسلق وأوراق الزهور وعلب السجائر الفارغة . وكان غلمان المنزل الذين لم يرحلوا بعد يلعبون بأوراق شجر الموز التى صنعوا منها أبواقا صغيرة . وبعد قليل سيزال السرادق كله .

كانت الستائر قد أزيلت ، وجمعت الحبال ورفعت مصابيح الزينة واختفى بسرعة الجمع الكبير من القوم الذين تجمعوا للمناسبة . واستعاد

المنزل الذي كان يموج بالضجة وقاره الأصلي وهدوءه . ولكن على أي حال كان هذا غير محتمل بالنسبة لدينو . وخيل اليه أن الهرج والصخب هما الجو الطبيعي للمكان . وكانت هيرا وأمها والزوجان جوشي وابنتهما فيمال قد سافروا ذلك المساء بالقطار . وتحادثت والددة هيرا لفترة طويلة مع والددة دينو حديثا خاصا . وإلى أن سار القطار كانت هيرا تتحدث دينو بنظرة فاحصة ، وتحديث والد فيمال مع والددة دينو وكانت يداه حينئذ معقودتين . وقبل أن يسير القطار ألقت فيمال تحية وداع اليه ، وكم احمرت وجنتاها حينئذ ؟ وبدا عليها أنها خمنت ما كان والدها يحدث به والد دينو .

وكانت أم فيمال قد قالت لدينو وهو يودعها :

« حسنا الى اللقاء اذن ، ومتى ستدعوننا لزيارتكم مرة ثانية ؟ »

وأجابها « أي وقت مرحبا بكم . . دائما »

وقال والد فيمال معقبا بلهجة ذات مغزى وهو ينظر خلال منظاره « حسنا . . حاول واعطنا فرصة أيها الشاب »

وأجاب الشاب .

« الفرصة موجودة تحت طلبك »

وقال راوبهادر .

• اذن - لا تتردد فيما بعد حينما يحين الوقت - فوالدك يقول ان كل شيء رهن قرارك » وأعقبها بضحكة عالية .

وهمست هيرا وهي تنظر الى فيمال

« حسنا . . تأكد أن تدعونا لحفل زواجك - هلا فعلت ؟ »

وأجاب دينو :

« وستكون الدعوة من الجانبين - أعتقد ذلك »

وهممت هيرا بخجل « أوه . . . . هه . . . »

ولكنها كانت في الحقيقة تريد أن تضيف ان أمكن

• . . ألا يمكن أن يكون حفل زواجنا واحدا ؟ »

ولكن لم يكن هناك وقت للاسترسال في هذا الحديث .

أضيئت الاشارة الخضراء وأطلق الحارس صفارته عاليا بصبر نافذ .

وتجاوب معه سائق القاطرة بصغير طويل ، وتحرك القطار . وعاد دينو لمنزله بعد أن استمع الى هذه الاشارات الصريحة والمقنعة عن زواجه .

وكان سرادق الزفاف خاليا تماما الآن . وبدأ المنزل مهجورا . ولم تعد غرفته مشغولة بالنساء ولم يترك بها أى شئ يختص بهن . والقى دينو بستره وقبعته على الفراش واسترخى على مقعد مريح . ومن مكانه رأى قاعدة منصة الزفاف وصورة لورد جانيشيا مرسومة عليها وصفوف أشجار الموز التي أنشئت خصيصا للمناسبة السعيدة . كان قد رأى كل هذه الأشياء من قبل ، ولكنها كانت تبدو الآن فى صورة ساحرة . وكان هذا بلا شك تحولا كبيرا . منذ أسبوع واحد فقط كان وحيدا . كان يروح ويغدو وحيدا ، ويأكل ويعيش بمفرده دائما . والآن فان سيدة صغيرة ظهرت فى مكان ما وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته . يستطيع الفرد دائما أن يفهم حب الوالدين والاخوة والاخوات . انهم على أى حال أقرباؤه فى الدم وللفرد الحق فى ميزة أن يعيش معهم تحت نفس سقف العائلة .

ولكن ما سر الحكاية الأخرى ؟ من أين يتفجر هذا الينبوع من الحب الأبدى ؟ أى سحر هذا ؟ لم يكن فاسانت يعرف ليلا قط من قبل . وكان زواجه بها بسيطا وتقليديا لأقصى الحدود . لم تكن هناك أية فكرة أن يتعرف أحدهما على الآخر ، أو يصادقه قبل الزواج . وبالرغم من ذلك فان فاسانت تكدر بدرجة كبيرة عندما وطأ أحدهم قدم ليلا أثناء مراسم الزفاف . وانفجرت أساريره فقط عندما بدأت تبتسم . كيف يبدو هذا الشعور ؟ من أين ينبع ذلك الحب الصافى . حب يشابه مطرا يسقط من سماء صافية زرقاء .

ال زواج !! كم يبدو رائعا لغز الزواج ؟ ففي مكان ما يولد صبي وتولد فتاة فى مكان آخر ولا يعلم أى منهما بوجود الآخر على الإطلاق ، ولكن على الرغم من ذلك فانهما خلقا لبعضهما . فمن بين الفتيات اللاتي لا يحصلن فان هذه هى التى يحصل عليها ، وهى كذلك تحصل عليه من بين الشباب الذى لا يحصى . نفس الوسيلة التى عثرت بهاليل على فاسانت وعثر بها فاسانت على ليلا . كانا قادرين على تفسير اللغز وأن يعثرا على الكنز لنفسيهما . ولكن ماذا عن هيرا هذه ؟ من يكون الرجل المقدر لها بحق السماء والوقيال أيضا ؟ لمن ستكون ؟ ولو أردت حقا لاستطعت أن أتخذها زوجة ، ولكنى لا أريد أن أتزوج . ليس الآن . ولماذا العجلة الشديدة على أى حال . لا . لا . لا . يا سنيدي . لن أتزوج فيمال ، وهيرا ليست فتاتى .

ونفض دينو من المقعد المريح وجلس على الفراش ولكنه لم يتحمل الجلوس على الفراش . كانت عواطفه قد تفتحت فى الأيام القليلة الأخيرة ، وخلص خياله .

تعود زهر - ورود - سارى - أظنم زينه للساء . لم يكن منها أى سى .  
هى غرضه الآن . لم يكن هيرا هناك ولا فيمال أيضا . كانت غرفه حاليه  
تماما - ميجوره . كان بمقرده هناك . فى وحدة كاملة يحس فيها بالبروء .  
وتذكر شعر فيمال الطويل . ونظرات هيرا المتمهلة غير النابتة . ويذكر  
السارى الأصفر بالأركان الحمراء الذى كان على أرضية غرفته . وتتردد فى  
أذنيه ذلك السؤال الوحيد الذى رددته تلميحا أو نصريحا عقود الزهور وباقات  
الورود والروائح والنأى وأشياء أخرى كثيرة ، بوسائل عديدة ، وحتى السؤال  
المباشر الصريح . السؤال الذى لم يفكر فيه بجدية من قبل اطلاقا حتى الآن .  
السؤال الذى لم يفهمه فى الحقيقة حتى الآن . وكقوس قرح ينبثق واضحا من  
الضباب واجبه السؤال . وفتنه غموضه المبهر الألوان وأصبح قلما .

ودار برأسه . . من ستكون ؟ تلك التى سنعبد رب الزواج له . تلك  
التي سيكتب اسمها بخاتمه . تلك التى سيقدها عقد الزهور ويربط بينهما  
الزواج . حسنا . لابد أن تكون إحدى الفتيات . واحدة سيقضى معها كل  
حياته . انها ستصل من مكان ما يوما ما وتقف أمامه ترى من ستكون ؟ ان  
لم تصبح هيرا زوجته فمن يأتري ستكون ؟ لابد أنها هناك فى مكان ما .  
ولكن أين ذلك المكان ؟ ما شكلها . . ما اسمها ؟ يوما ما سيعلم كل ذلك .  
فحينئذ ستدخل حياته وستكون واحدة بكل ما نحضره معها - وحينئذ سيكون  
قادرا على أن يتكلم معها ، ولن تبقى مجرد حلم ، ولكنها ستكون حقيقة ، ولكن  
كيف يتأتى الا يعرف شيئا البتة عن هذه المرأة ؟ من ستكون له ، من  
ستشاركه مدى الحياة ؟ مع من سيقضى الأيام والليالى الجميلة ؟ أيام  
المستقبل . . حلوها ومرها .

هل ستكون هيرا بعد كل هذا - أو ربما فيمال ؟ تلك التى سمينغير  
اسمها باسمه . تلك التى ستصل على أى الأحوال - واحدة من مليون - من  
تكون ؟ لماذا يكون هذا السر الذى يتعلق به سرا بالنسبة اليه أيضا . ربما  
تكون فى الحقيقة متجهة نحوه الآن فى هذه اللحظة بالذات . أليس له حق فى أن  
يعرف من هى بعد ؟

كان هذا هو السؤال ؟ سؤال كان سيعرف جوابه يوما ما ولكن لبس  
الآن . وشعر دينو بقلق واثارة بالغين . وشعر كأنه يريد أن يصبح بأعلى  
صوته للفتاة التى تحيا فى جهة ما . وكان يريد أن تأتى اليه من أى مكان  
هى فيه .

. . انك ستصلين الى هنا على أى حال . . وسأتمكن حينئذ من امتناع قلبى  
برؤيتك ، وفى وقت ما سأشعر بلمساتك الرقيقة على جسمى . اننى أشعر  
بشوق شديد اليك . أريد أن أعرف من أنت وأين أنت ، وما شكلك ؟



كم هو أمر غامض ورائع • أنت شريكة فيما بقي لي من حياتي ولكن الى الآن غير معروفة وغير مرئية • كم أشتي أن أمزق ستار المجهول وأعثر على ما يخفيه وراءه •• ألا تأتين ؟ للحظة على الأقل ؟

وكان هذا لغزا كالفجر والغروب وشمس الصباح والنجوم ولكنه لم يشعر من قبل بأى لهفة على سبر غور المجهول • لقد كان يقنع نفسه بقبول وجوده حتى الآن ، ولكنه الآن اشتاق الى حل اللغز • وبدأت أفكاره تدور بسرعة حول الفتاة التي ستخطو الى داخل حياته فى وقت ما ، بالرغم من أن شخصها كان ما زال غامضا وغير معروف • وشعر باختناق داخل جدران غرفته الأربعة ، ترقبه باستمرار أشباح الورق لشاكسمبير وراسكين • كان الظلام يزحف فى ببطء وصار اللغز المثير جذابا بقدر ما كان عميقا •

وفى لمح البصر كان دينو خارج غرفته وبسرعة سار الى حيث كانت دراجته تستند الى حائط الجراج • وأوقد المصباح وفى اللحظة التالية كانت دراجته تنهب الطريق وسرعان ما تخطى جسر النهر وساحة ريجنت ودار ضيافة جمعية الشبان المسيحيين وكانت أشجار حديقة المدينة الكبيرة السابعة فى ضوء القمر تقف صامتة كأنها جمهور يصغى بانتباه الى ما يقال فى اجتماع عام •

ومرقت مباني كلية الحقوق ونادى « ٢٠١ » خلفه بينما كانت دراجته تنهب الأرض • وكانت الحقول قرب النادى تنضج بالبرودة بسبب المياه التي تنز فيها من بحيرة مجاورة •

وبالرغم من دفء فبراير المريح فى المدينة فان برد الشتاء كان ما زال متمهلا هنا على مشارف المدينة •

وارتجفت التلال والحقول والبحيرة فى البرد القارس وبدأ كان ضوء القمر أيضا قد تجمل منه •

ولكن دينو لم يكن طبيعيا - فان موجة من الحماس كانت تندفع بشدة خلال شرايينه - واندفع تيار عاصف من الدماء الى رأسه - وكانت دراجته لاتزال تندفع للأمام وخيالها ينهب الطريق وهى تجرى •

وبدا كان دينو لن يتخلى عن المطاردة الى أن يفسر كلية اللغز الذى سلبه عقله هكذا •



## كريشان تشاندار

كريشان تشاندار من أحسن كتاب القصة القصيرة والرواية باللغة  
الأردية • ولد عام ١٩١٣ في لاهور •

كان والده طبيبا في كشمير حيث قضى كريشان تشاندار طفولته  
وشبابه ، تلقى تعليمه في جامعة بنجاب حيث حصل على ماجستير في الآداب ،  
وبكالوريوس في القانون •

بدأت حياة كريشان تشاندار الأدبية في عهد ما بعد « برم تشاند »  
وسرعان ما انضم إلى الحركة التقدمية • وسرعان ما أصبح أحد مفكرها  
القياديين • تأثر بماركس وفرويد ، طاغور ، وبرم تشاند ، وهو من المعجبين  
بأعمال تشيكوف وبلزاك ، وجوركي وهيمنجواي •

كتب حوالي اثنتي عشرة رواية ، وحوالي ثلاثمائة قصة قصيرة وعدة  
مسرحيات من ذات الفصل الواحد ، وترجمت كتبه إلى الإنجليزية والألمانية  
والروسية والصينية واليابانية ، والعربية والفارسية والهولندية والإيطالية  
والتشيكية •

ويعيش كريشان في بومباي • وعندما لا يكون مشغولا بكتابة الكتب  
فانه يخرج أفلاما • وهو يكتب بكلتا اللغتين الهندية والأردية •

وفي رأي كريشان تشاندار أن أهم ما حققه الأدب الهندي هو محاولته  
أن يكون عصريا ، وأن ينظر إلى محاولة الهند في اللحاق بالعصر الحاضر نظرة  
عطف وتفهم •



## الجندي

### الجنسدى

كان زمان خان وشاهباز خان ينتميان الى نفس الكتيبة العسكرية . كانا صديقين وزميلين سلاح يفهم أحدهما الآخر جيدا . ولم تكن صداقتهما وليدة زيارات مشتركة للمقاهى والحانات وصلات الرقص ، بل كانت شيئا أصلب أساسا وأطول بقاء - كانت صداقة نمت تدريجيا تحت الأجنحة المهددة بالدمار لطائرات الحرب - وتحت وابل من قصف المدافع الذى يورث الصمم ، وفى ظلال الموت الزاحف ، ولم يكن هناك شئ رقيق أو مهذب فى صداقتهما ، فقد كانت صداقة خشنة غير مصقولة ، ولا أثر للتهذيب فيها ، كانت أشبه بسلوك الحيوان فى اللعب حين يريد اظهار حيويته وقوته ، وكانت عميقة ثابتة كأشجار الجبال التى تستمد غذاءها من التربة الصخرية فى الهضبة المسطحة . وفى مثل هذه الصداقة لا يوجد مكان للعواطف أو مجال للمنازعة أو الخصام المتبادل وتكون خالية تماما من شطحات الخيال أو شاعرية الحياة . ولكنك تجد فيها رغم ذلك عنصرا مدهشا من الثقة المتبادلة . انها رباط لا لسان له ، ولكنه بالرغم من ذلك يفهم لغة القلب . وكانت التحية بين زمان خان وشاهباز خان سبا أو تعبيراً بديها وكثيرا ما اشتبكا معا فى شجار . وكان الأمر يصل الى أن يقدم كل منهما تقديرا ضد الآخر لقائدهما المباشر . ولكن عندما يصل الأمر الى مواجهة الخطر فإنهما يتصرفان كشخص واحد ولم تكن هناك تضحية لا يتحملانها . وكان ضابط الوحدة والرتب الأخرى يعرف ذلك ، وكثيرا ما حاولوا - من باب المزاح - الايقاع بينهما ولكنهم فشلوا .

كانت الحرب قد انتهت . وبعد خمس سنين من الخدمة العاملة كانا عائدين لوطنهما ، وكان شاهباز خان ينتمى الى «تساكلالا» وزمان خان من

«جهوليم» • وجلسا في القطار يواجه أحدهما الآخر وينظران خلال النافذة لأشجار السنط وشجيرات « الجوند والشره » • وتنقلت عيونهما الجائعة المتلهفة بين سفوح الجبال الصخرية المرتفعة وبين التربة البنية الحمراء التي لم ينم عليها شيء الا نبات « الدخن » ، ورجال لهم عضلات فولاذية • ومرق القطار خلال سلسلة طويلة من الصخور المرتفعة ونزل الى واد منحدر ، وعلى البعد ولأعلى منهما قليلا كانت هناك فتاة تحمل جرة على رأسها وهي تمر عبر درب ملتو ، وبدا أن جسدها يتمايل على ايقاع طبلة غير مرئية •

وهمهم شاهباز زاما شفقيه « تعالى يا حبيبتي - يا جندي الذي يشبه وحه القمر » وفجأة أوقف هممته وعض على شفقيه الرقيقتين قائلا « انها هناك - عبر ذلك الجبل - قرية عبد الله » • وأسفل سلسلة التلال - كان يربض واد صغير - يمر خلاله جدول ماء صغير • وعبر الجدول كانت هناك قرية - قرية امتدت فوقها السماء - قرية عبد الله • عبد الله الذي لن يعود أبدا • لقد مات وهو يحارب في قرية ايطالية ودفن جسده في قرية غريبة •

وقال زمان خان «نيسار»

• ونيسار داد خان •

• وبهاتا •

ومر أمام أعينهما صف طويل من الوجوه - وجوه حمراء ، ووجوه بيضاء ، وجوه ضاحكة ووجوه عابسة ، وجوه لا تعرف الخوف - متوحشة - قاسية - بريئة - كانت وجوها بشرية - وجوه اخوانهم • وجوه نبتت من نفس التربة وعاشت في نفس البيئة ، وكانت الآن تنظر الى موطنها خلال عيون شاهباز وزمان • ذهبت كلها ذهبت - نيسار - كمارامداد - بهاتا - عبد الله • وقال شاهباز « لم الحروب ؟ » وأجابه زمان وهو ينظر الى الأوسمة المعلقة على صدره « اسأل العريف » •

« لماذا يموت الجنود ؟ »

• كان زمان خان صامتا •

وقال شاهباز « لنفرض أن جميع الجنود في العالم رفضوا أن يحاربوا »  
« وحينئذ ... » وحينئذ سينتصر العدو « أجاب زمان

« عدو ... !! اين سيكون العدو ؟ »

وكرر زمان « الاولى أن تسأل العريف »

ولزم شاهباز الصمت • واندفع القطار مدويا خلال المضيق الصخري •

وقال زمان بفخر

« ان بلدتى جهو لم تقترب »

وقال شاهباز بأسى خفيف « ولكن نشاتللا مازالت بعيدة » ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة باهتة كأشعة الشمس الاولى « قد تحضر زوجتى للقائى على المحطة » •

وقال زمان فى غيرة خشنه « هه » ولم يكن قد تزوج بعد •

« وولدى ... عندما التحقت بالجيش لم يكن قد بلغ عمره سنة واحدة، ولا بد أنه قد طالت قامته الآن »

وقال زمان « نعم • كطول ماسورة بندقيتك »

وقال شاهباز كمن يتحدث فى حلم « أترى - هل سيتعرف على ؟ »

وأجابه زمان « لن يتعرف عليك لو كان ابن حرام »

وضربه شاهباز على صدره وانفجر زمان مقهقهها •

وزمجر شاهباز قائلا « يا ابن الخنزير • أمك • • • أختك • • • »

وكانا لايزالان يتبادلان السباب عندما وصلا الى جهولم • ونزل زمان خان - ويلقبه أصدقاؤه جاما - من القطار وهو يرتكز على عكازه • وأنزل الحمال حقائبه ووضعها على جنب • وأحصى زمان متعلقاته وكانت لفة فراش نوم ثقيل مطوى ، وصندوق ملابس كبير • وكان هذا هو كل شيء بعد ستة أعوام من الحرب • كان هذا كل ما يملك وقد عاد ناقصا ساقا ففقدتها فى مكان ما فى حومة الوغى •

وكان شاربه الأسود قد خشن وتحول لون وجهه الى لون النحاس ، وامتلات عيناه الزرقاوان بالقد • وحك ذقنه واستدار ووقف معتدلا بانتباه أمام نافذة العربة قائلا :

« فى رعاية الله يا باجو. »

« فى رعاية الله يا جامى »

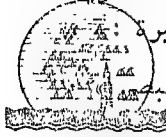
« اكتب الى »

« نعم سأفعل »

وسادت لحظة صمت ثقيلة •

« هل ستستطيع أن تدبر أمورك ؟ أو أرافقك الى قرينك ؟ » قالها شاهباز وهو يلقي نظرة سريعة الى عكازى زمان .

وخيل لزمان أن عطف شاهباز كان مشوبا بالسخرية . وتصلب جسده . وقال بغلظة وعنف وهو يهز يد شاهباز للمرة الأخيرة :  
 « لا - سأدبر - سأكون فى منزلى فى لمح البصر »  
 وابتدأ القطار فى التحرك .



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
 المكتبة العامة في الإسكندرية

« جاما يا ولدى »

« نعم يا باجى »

« على كل حال - لم تكن الحرب تبدو بهذا السوء ، لو انك عدت كاملا .  
 اننى حزين لساقك المفقودة يا صديقى . »  
 واستمر زمان ناظرا - وهو مقطب الجبين - الى وجه شاهباز الضاحك .  
 حتى غادر القطار الرصيف .  
 ودق بعكازه على الأرض فى غضب .

وقال الحمال « أخى »

وصاح زمان خان وراء شاهباز وهو يستشيط غضبا « يا ابن الحرام »  
 وانفجر الحمال قائلا « هل دعوتنى يا ابن الحرام ؟ أنت ابن الحرام وأبوك  
 ابن حرام ان الجنود أمثالك هنا يباع الاثنان منهم بباى واحدة . لا يدفعنك  
 الغرور والا دفعت بعكازك فى حلقك . أنا أنتمى لقبيلة بولديال . بولديال  
 أتعرف ذلك ؟ »

وقال زمان وهو يبتسم ابتسامه عريضة « وأنا كذلك بولديال يا ابن  
 العصا . هيا احمل متاعى يا ابن الطبله - أنا أخوك - من أين أنت ؟ » « كوه  
 موررى » .

وربت زمان خان على كتف الحمال وقال بنبرات تنم عن الحب والصدقة ،  
 ويداعب الحمال فيعود بنسبة أجداده الأول الى الخنازير « ان قبيلتنا فريده ،  
 والله ان جميع الجنود من قبيلة بولديال فى وحدتى كانوا أولاد حرام - أولاد  
 حرام شجعان - كلهم . لقد حاربوا كالأسود ، وقد أنعم على كل منهم بوسام  
 لشجاعته . ووضع الحمال الحقيبة على رأسه ولفه الفراش تحت أبطه وقال :  
 « هيا اعطنى العكاز أيضا . »



« وكيف سأسير اذن ؟ بساقيك ؟ يا ابن الخنزير . وضحك الحمال وخرج من المحطة وأراد زمان خان أن يدفع له أجره ولكن الحمال قال :

« لا ليس منك - ليس من فرد من بولديال ، فكل فرد فيهم اخى . رأيت عائد من الحرب . . ونظر الى العكاز ولكنه توقف فجأة عندما رأى الشخير الذى كان على وجه زمان وقال :

« اذهب بالسلامة . وليطل عمرك لتتمتع بمعاشك » .

وزمت شفتا زمان فى ابتسامة خفيفة - ابتسامة غريبة حلوة غير محسوسة كان بها من الدمع أكثر مما بها من فرح ، ومن الشفقة أكثر من الدموع ومن العجز أكثر من الشفقة ، وكانت ابتسامته تقول :

« هذه أرضى أنا . قريتى التى تجاوبت فى أصدائها أيام طفولتى والتى ما زالت سماؤها الجميلة مرصعة بنجوم أحلامى والتى فى ترابها ما زالت باقية رقصة الأقدام الرقيقة لمحبوبتى . وهبط درج المحطة ببطء والقى بنفسه فى العربية بمعاونة عكازه .

وسأله سائق العربى : « الى المدينة أيها الجندى ؟ »

« لا » .

« الى جاتاليان أيها الجندى ؟ »

« لا . اننى متوجه الى القرية الصغيرة - فى هذه الناحية من جهولم ، واذا أسرعت فستكون هناك قبل حلول الظلام » .

ولوى السائق ذيل فرسه قائلا : « هيا يا جميلتى . »

ورنت الأجراس التى حول عنقها ، واهتزت الريشة الحمراء على رأسها فى النسيم . كان زمان خان قابضا على عكازه بيد ، وواضعا قدما على حقيبته فى طريقه لقريته . وعندما لاحت له القرية طلب زمان خان من السائق أن يبطىء قليلا . وكانت أمامه حائط حدود القرية . وخلفه شاطئ نهر جهولم . وعبر النهر سار خط الحدود لولاية كشمير وعليه نقطة جمرك جاتاليان . وسمع الخريز الخفيض للنهر المنساب والرائحة النابعة من الحشائش الرطبة النامية على شاطئيه ، وكانت المحصولات قد جمعت وفجأة ذكرته أعوادها الباقية فى الأرض بتلك المقابر التى نصب عليها الآلاف من تلك الصليبان الصغيرة البيضاء . كانت الحرب كذلك قد جمعت حصادها البشع والذى كان - ككحادث عرضى - يضم جزءا لا يستهان به من ساقه الغالية . وكان المساء قد حل ، وكانت آخر جماعة من فتيات القرية بجرارهن المملوءة من البئر يهرعن عائدت نحو

القرية . كانت هناك فترة من الزمان ، يقف زمان فيها خلف شجرة مترقبا بلهفة حضور « زينا » .

كان ينتظرها وقتا طويلا يمتد فيه بعد الظهر الى الغسق وكان الوادى حينئذ تغطيه غيمة رمادية رقيقة وتهبط السكينة على القرية كأنما كان الحب قد غلف كل شئ باسترخائه الحلو . ولكنه كان يبقى عينيه مثبتتين على الدرب الذى يتلوى خلال الحقول ، الى أن يراها هارعة نحوه بخطوات رقيقة جميلة . وكان نبضه يزيد سرعة مع كل خطوة تخطوها . وأحيانا عندما لا تستطيع زينا الحضور فان الصمت يصبح ثقيل الوطأة عليه ، ويعود لقرينته بقلب مثقل ويلتقط زمارة الهوائى البنغالى ، ويجلس على شاطئ جھوليم حين تنساب ألحانه الشجية تمتزج مع خرير الماء المتدفق ، وتنادى كل نغمة فيها باسم زينا - زينا التى تحاكي بشرتها الذهب لونا ، وصوتها العذب الناي نغما ، وجسدها الرشيق غصن البان . وتزاحمت مجموعة من الأفكار عن زينا مندفة الى عقل زمان - بعضها واقعى يمت لهذه الأرض ، وبعضها الآخر مغلف بهالة سماوية .

وكان الليل قد اشتدت ظلمته . وكانا قد تركا سور القرية وراءهما ، وعلى مشارف القرية رأيا حلبة المصارعة حيث كان يتصارع صبية القرية . ومثل صبية القرية الآخرين كان يأتى هنا للتمرين ، وعندما كان يتعب من التمارين فانه كان يذهب ليغفو على الأرض اللينة تحت شجرة التين الهندى ، ثم يستحم فى نهر جهولم .

كان زمان شابا قرويا مفعما بالحياة ، كان من أبطال المصارعة وسباحا ماهرا . وعندما وقع بصره على حلبة المصارعة فان يده تحركت بلا شعور الى فخذيه ضاربا عليها بشدة كما يفعل المصارعون ، وانزلت الى بقية ساقه المفقودة ، فسحب يده متألما ووقف منتصبا متحديا . أوقف السائق العربى وطلب منه أن يرشده الى المكان الذى يقصده . . خذنى أولا الى مقام الشهيد ، ومن هناك اتجه يمينا حوالى مائة ياردة » .

كان قبل أن يلتحق بالجيش قد حضر للمقام مع زينا ، وتوسلا اليه أن يشفع لهما فى اجابة رغبتهما فى أن يظلا مخلصين لبعضهما . وقدما نذرا مقداره خمسة أنات من كل منهما عند الضريح . ربطا المبلغ فى قطعة قماش صغيرة وعلقاها على فرع شجرة البرقوق الكبيرة . ونزل زمان خان من العربى أمام مقام الشهيد ، وأحنى رأسه بخشوع فى صلاة ، ولما انتهت صلاته مسح يديه على وجهه وتلفت حوله . وكان هناك قنديل فخارى فى فجوة بالحائط يلتقى ضوءا خافتا على فتاة راكعة تصلى ، وكان وجهها الجميل نصف مغطى بوشاح أسود من قماش المرايل .

وحفل زمان • وسار على عكازه نحوها وهنّف « زينا » •  
 ونهضت الفتاة في ارتباك ونظرت الى زمان في دهشه •  
 وقال زمان مدركا خطاه : « عفوا يا اختاه ، لقد ظننتك زينا »  
 واستعان زمان بعكازه واستقل عربته مرة أخرى • وركعت الفتاة ثانية .  
 لتكمل صلاتها •

ووقفت العربية أخيرا بعدما قطعت مائة ياردة أخرى • كان زمان الآن قد  
 وصل الى بيته • وكان هناك دخان ينبعث من المنزل ورائحة لحم يطبخ • وسمع  
 ضحكات الاطفال المجلجلة تتوافق مع أصوات الرجال الثقيلة التي طغت على  
 الضوضاء ، وبين الحين والحين كان يسمع هديل ضحكة نسائية ناعمة •  
 وفوق الكل ارتفع صوت الحاكي مديعا أغنية «ماهيا» • وبدأ أنهم في غاية  
 السعادة والراحة • ولو أنه لم يخطرهم بعودته الا أنه تمنى لو كانوا مصطفىين  
 معاً أمام المنزل في ترحاب صامت • لقد النحق بالجيش لأجلهم ولقد ضحى  
 بساق لأجلهم كذلك • لقد أحرق شمعة شبابه أمام سترار من تيران المدافع  
 ووابل من الرصاص • وهنا – لا هين عن غيابه – كان المنزل يرن بالضحكات ،  
 وكان الحاكي يدور طوال الوقت وسارت الحياة كالمعتاد • وبدأ من طريقة  
 معيشتهم أنه لا حرب هناك وأن زمان خان لم يلتحق بالجيش اطلاقاً ولم  
 تتضعض ساقه أبداً • وشعر كالغريب في قريته •

وفتل زمان شاربه وطلب من سائق العربية أن ينادى على «ميراج دن» من  
 المنزل « قل له أن زمان هنا » •

وفي لحظة كانت العربية محاطة بأفراد عائلته • وحملوا ربطة فرشته  
 وحقيبتيه لداخل المنزل • وحتى هو فقد حملوه وأدخلوه للمنزل وانحنى باحترام  
 أمام والده وقبلته والدته وهي تبكي ورحب به أخوه الأصغر الذي شب مثله  
 يافعا ممشوق القد ، وضم اخواته الاناث الى صدره وربت على رؤوسهم ، ثم  
 جلس على المقعد الخشبي وبدأ يتحدث بهجة • ولكن لم تكن هناك بهجة في  
 قلبه وبدأ له أن حديثه كان خاويا وجافا •

وطلب والده من ميراج في صوت متهدج أن ينادى عمه هاشمات وأن  
 يخطر أهل القرية أن ابنه عاد من الحرب مغطى بأكاليل الفخر • وبكت أمه  
 لرؤيتها ساقه المفقودة وقالت :

« لماذا لم تخطرنا أنك فقدت ساقا ؟ »

وواساها قائلا « هذا لا يهم يا أماه – فلدى ساق أخرى – ساق حديدية .  
 وأستطيع أن أمشي بها • ونهض وخطا بضع خطوات ثم عاد الى مكانه •

وقال أخوه الأكبر وهو يحك رأسه « سأذبح ديكاً » .

واختفى من الساحة .

ودقق أخوه الأصغر النظر الى الأوسمة سائلاً بجرأة وهو معجب أشد  
'بالاعجاب' « فى أى معركة كسبت هذه الأوسمة ؟ » فى افريقيا - فى حصار  
كارين - كانت معركة حاسمة . حتى الوحدات البيضاء كانت قد تراجعت ،  
وحينئذ صدرت الأوامر لفصيلتنا بالتقدم ، وكنا نحن - جنود الوحدة رقم  
١٠ من بنجاب - الذين كسبوا معركة كارين . كان القتال مريراً . وكان مطلوباً  
منى ومن شاهباز خان أن نصعد حوالى ٢٠٠ ياردة لندمر دشمة مدفع رشاش  
بالقنابل اليدوية . كنا فى أسفل ، وكانت الدشمة فوق رؤوسنا تماماً وكان  
العدو قد مزق جنودنا أشلاء بنيران المدافع الرشاشة ، وزاحقت للأمام بوصه  
بوصة خلف بعض الأعشاب وفى النهاية اندفعت بجنون ودمرت دشمة العدو .  
وتردد أخوه وهو يقول « وهذه . . . وهذه الساق فقدتها فى تلك المعركة ؟ »

وفتل زمان خان شاربه قائلاً « لا . هذه فقدتها على الجبهة الإيطالية ،  
كان قائدنا قد أعطى أمر الهجوم بحراب البنادق . كان هناك اشتباك بالسلاح  
الأبيض مع الألمان . . . وهذه الساق . . » وضحك وهو يقول « كان يمكن أن  
أقتل ، ولكن الله كبير » .

وصمت زمان خان فجأة . فقد بدأ وصول أهل القرية . وقابلهم جميعاً  
بترحاب كبير ، ثم رحب بعمه راحمات . وبحزن سريع مفاجئ لرؤية ساقه  
العاجزة فان كل زائر حاول أن يخفى دمعه وراء ابتسامة وربت بحنان على  
رأس زمان . ولكن زمان كان يتظاهر بالمرح طوال الوقت كأنما كان بتر ساقه  
أمراً عادياً يحدث كل يوم . وبينما كان يقص بابتهاج لزواره تجاربه فى  
الحرب كان يحاول تحويل تفكيرهم فى ساقه بالانتقال لمواضيع أخرى ولكن  
مستمعيه لم يستطيعوا إبعاد نظرهم عن ساقه ومما زاد الطين بلة أن والدته  
كانت تبدأ البكاء مع كل زائر جديد جاعلة ساق ابنها المفقودة موضوع قصتها  
المثيرة للشجن . وجاء أهل القرية كلهم لرؤية زمان - رجالاً ونساء وأطفالاً -  
حتى هؤلاء الأطفال الذين رأوا النور بعد ما التحق بالجيش . وكان واحد من  
هؤلاء الأطفال صبياً تحمله زينا فى أحضانها ، حين حضرت ل ترى زمان .

وعندما دخلت ساد الصمت الغرفة وأوقفت إخت زمان الحاكى فجأة .  
وكتف الكل انفاسهم وتنهد زمان .

وبمجرد أن رأت أم زمان زينا قالت بسرعة :

« ان زينا الآن متزوجة من خير وهذا هو طفلها منه . . باركها يا ابنى . . »

خير . . . . . »

وأخذ زمان الصبى من زينا ربدأ يلاطفه وسأل زينا : « كيف حالك ؟ » .  
 وظلت زينا واقفة خافضة نظراتها . وحينئذ شرع الكل فى الحديث ،  
 وبدأ الحاكي ثانية فى الغناء وشاركت زينا وطفلها فى حبرها سيدات المنزل ،  
 وشغل زمان نفسه ثانية بالضيوف تاحها اياهم بحديثه المازح .  
 ورحل الضيوف واحدا بعد الآخر . وجلس زمان للقاء مع أفراد آخرين من  
 عائلته ، ومألاً العشاء حيويه بنوادى أخرى عن زملائه فى الحرب .

وعندما انتهى العشاء أطفئ مصباح السقف الكبير وانسحب الجميع  
 للنوم وفى ضوء المصباح الفخارى الخافت الذى تدلى مضاء بالغرفة رقد مستيقظا  
 لفترة طويلة وهو يحصى الأعمدة الخشبية فى السقف . وفتحت أمه صندوقها  
 يدين مرتجتين وأنت اليه بصورة قديمة . كانت هذه الصورة قد التقطت  
 له قبل أن يجند بالجيش . كان نفس زمان منتصباً عريض الصدر ذا شارب  
 رفيع ولكنه كان بساقين فى هذه الصورة ، وتنهت أمه .

وظل زمان محققا فى الصورة لفترة طويلة وخاصة الى تلك الساق  
 التى كانت قد فارقتة الآن . ثم أعاد الصورة لأمه قائلاً :

« اذهبى ونامى يا أمى . اننى لا أعانى من شىء فأنا سعيد بما فيه الكفاية  
 كما أنا » .

وابتعدت أمه باكية وعاد ثانية يحصى الدعائم . ولما لم يستطع النوم  
 فقد نهض من فراشه والتقط المزمار من الرف . وأوضح لأمه انه ذاهب لشاطئ  
 النهر والتقط عكازه .

وعندما عزف على مزماره عند شاطئ النهر امتلأ الجو بأصداء أيام خلت  
 وبدأت أشكال قائمة تملأ فراغ قلبه . وعادت اليه صورة من حياته الماضية ،  
 ذكريات . . لقاءه الأول مع زينا - قبلتهما الأولى ، ذهابهما معا الى سوق مدينة  
 جهولم . وزاد صوت المزمار حدة ومضاء وأصبح نافذا كسحر حربة البندقية ،  
 وبعد أن وخذ مركز الذكريات من قلبه توقف عن النغم . وهمست أعواد الغاب  
 للنسيم . وبين الحين والآخر كانت قطع من الطين تقع فى النهر محدثة صوتا  
 خفياً لسقوطها .

وجلس زمان هناك وقتاً طويلاً يقذف حفنات من الرمال فى النهر .  
 ثم سمع صوت أقدام ، وظهر خيال على الأرض . فنهض ودار حول نفسه بعكازه  
 ورأى زينا واقفة أمامه . وقالت زينا « لقد ارتكبت خطيئة ضدك » .

ونظر زمان إليها صامتا . ولكن شيئاً فظيعاً خيل اليه أنه انفجر فى  
 عقله ، وكان له دوى كقصف المدافع .

وهمست زينا « أنا ما زلت لك » .

وظل زمان ملتزما الصمت . كان يستطيع أن يشعر بكلماتها المرتجفة معلقة فوق أنات أعواد الغاب المتمايل .

وقالت زينا ثانية « لا يعلم أحد أنني هنا . اخنقني وألق بجسدي الى النهر ولكن أرجوك . . . أرجوك أن تقول شيئا . ان صمتك لا يحتمل .

ورفع زمان رأسه وكانت هناك ابتسامة باهتة على وجهه . وأخذ يد زينا برقة في يده قائلا في صوت رقيق .

« يا أختاه . دعيني أوصلك لمنزلك فلا بد أن ابنك وزوجك ينتظرانك » .

وعندما عاد زمان من منزل زينا كان المصباح الفخاري ما زال مشتعلا في فجوة حائط مقام الشهيد . وكانت فتاة من الجبال تجلس أمام القبر ويدها مرفوعتان في صلاة . ووسط الظلام المخيم القى المصباح ضوءه الضعيف على عينيها المغلقتين . كان هناك ضياء عن الطيبة في محياها .

وفي هدوء جلس زمان بجوارها . ورفع يديه في ايماء لا صلاة ولكن كلمات الصلاة لم تخرج من شفثيه . كانت روحه قد فقدت صوتها وكان قلبه قد فرغ من الكلمات . فقط سالت بعض الدموع على وجنتيه وسقطت على الرمال .

## كالوبانجى

### كالوبانجى

#### جامع القهامة

لطالما وددت أن أكتب عن كالوبانجى - ولكن ماذا يستطيع الشخص أن يكتب عنه ؟ - لقد نظرت الى حياته من مختلف الزوايا ، وحاولت أن أقويها وأتفهمها ، ولكننى لم أعثر اطلاقا على أى شىء غير عادى يصلح أساسا عنه ، وحتى لرسم صورة فوتوغرافية ، اسكتشية ، لخطوط حياته العريضة لن تشد اليها اهتمام أحد . وبالرغم من ذلك - ولا أعلم لماذا ؟ - فأننى فى كل مرة كنت أبتدىء فيها قصة ، فأننى كنت أرى كالوبانجى واقفا هناك فى مخيلتى يبتسم لى ويسأل :

« يا سيدى - هل كتبت قصة عنى ؟ كم مضى عليك منذ بدأت الكتابة ؟ »

« ثمانى سنوات »

« وكم قصة كتبت ؟ »

« اثنتين وستين ٠٠٠ اثنتين وستين »

« اذن ٠٠ ما هى العقبة ؟ ألا تستطيع أن تكتب واحدة عنى ياسيدى ؟ »

« انظر كم انتظرتك لتكتب عنى . لقد كنت خادما مخلصا لك طوال هذه الستين - كناسك العجوز كالوبانجى - لماذا لا تستطيع أن تكتب عنى ؟ »

ولا أجد ما أقوله جوابا على هذا السؤال . لقد كانت حياته رتيبة تبعث على الملل وليس فيها ما يستحق الكتابة عنه . وليس الأمر أننى لا أرغب فى

الكتابة عنه ، فلسنين طويلة أردت حقا أن أكتب عنه ولكننى لم أستطيع أبدا مهما حاولت . وهكذا فان كالوبانجى لا يزال الى اليوم يقف هناك فى زاوية من عقلى ممسكا بمكنسته القديمة ، بركبتيه الكبيرتين العاريتين وأقدامه الخليطة المشققة التى جف جلدها . وأوردته المتمددة نافرة من ساقيه العضاوين وجلده الأسود المجعد الخشن والشعر المترب على صدره الفائر ، وشفتيه الدابتين ، وفتحات أنفه الواسعة ، وصدفيه المجعدين ورأسه الأصلع . يلمع فوق الفجوات السوداء لعينيه . لقد قصت على شخصيات كثيرة قصص حياتهم مؤكدين أهميتهم فارضين على صفاتهم الدرامية ثم اختفوا . نساء جميلات ، وخيال جامع جذاب ، ووجوه قبيحة – لكل هؤلاء رسمت صورا ، وكلهم تركوا انطباعات فى النفوس ، ثم مضوا – ولكن كالوبانجى ما زال فى مكانه القديم واقفا هناك بنفس الطريقة ممسكا بمكنسته القديمة . لقد رأى كل شخصية أتت الى خيالى وراقبهم باكين متضرعين ، محبين وكارهين ، نائمين وساهرين ، ضاحكين . وعلى منصة الخطابة يلقون الخطب – لقد رأهم فى كل مظاهر الحياة . وعلى كل المستويات وفى كل مرحلة من مراحل العمر ، من الطفولة للكهولة ، ومن الكهولة للدهوت ، لقد رأى كل غريب نظر خلسة من خلال الباب ، وكان عندما يراهم مقبلين يكنس الطريق أمامهم . ويتنحى هو جانبا كما يجب أن يفعل جامع القمامة ، ثم يقف باحترام حتى تبدأ كتابة القصة . وحتى تنتهى ، وحتى يرحل كل الشخصيات والمتفرجين . ولكن حتى حينذاك كان كالوبانجى يظل واقفا هناك ، وأجده بعد ذلك يخطو خطوة للأمام ليصل الى مركز خيالى حتى أراه بوضوح . رأسه الأسمر يلمع . وعلى شفتيه سؤال صامت . لقد ظلمت أنظر اليه لفترة طويلة ولكنى ببساطة لا أستطيع أن أتصور ماذا يمكننى أن أكتب عنه . ولكنى اليوم آجد أن هذه الرؤية لا يمكن ابعادها . لقد ماطلته سنة وراء سنة ، ولكن لعلى أستطيع هذه المرة أن أتخلص منه .

كان عمري سبع سنين فقط عندما رأيت كالوبانجى للمرة الأولى بعد عشرين عاما ، عندما توفى كان شكله لم يتغير قط ، فى قليل أو كثير . نفس ركبتيه ، نفس الأقدام ، نفس لون البشرة ، نفس الوجه ، نفس الرأس الأصلع ، نفس الأسنان المتكسرة . نفس المكنسة دائما وكأنه ولد وهى فى يده كما لو كانت جزءا منه . كان كل يوم يفرغ مبادل المرضى ، ويرش المطهرات فى المراهيض ، ثم يتوجه ليكنس منزل الطبيب ومنزل الصيدلى ، وبعد ذلك يصحب بقرة الطبيب وعنزة الصيدلى لكى يرعى الحشائش . ويعود بهما للمستشفى عند الغسق ويقيدهما فى زريبة البهائم ويذهب لتجهيز طعامه ويأكله وينام . لقد راقبته مؤديا تلك المهام يوميا لعشرين سنة ، كل يوم بدون انقطاع . وخلال كل هذه المدة لم يمرض يوما واحدا ، وكان هذا شيئا غريبا ، ولكن ليس غريبا الى الحد الذى يجعلك تكتب قصة عنه .



حسنا ، اننى أكتب هذه القصة تحت ضغط . ولقد ظلمت أخادعه لسننرات ثمان ولكن ذلك الكهل لم يقبل أن يعفنى من هذه المهمة . لقد والى الضغط على لى أكتب قصته ، وكان هذا ظلما لك ولى - لى ، لأننى الآن يجب أن أكتبها ، ولك لأنه يجب عليك أن تقرأها - هذا بالرغم من أنه فى الحقيقة ليس هناك ما يبرر كل هذا العناء . ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟ فان فى حملته الصامتة نوع من الاصرار الحى المتوسل والعجز الأبكم ، وشعور عميق يبحث عن تعبير . يرغمنى على الكتابة على الرغم من أننى أواصل التفكير وأنا أكتب .

ماذا يمكننى أن أكتب عن حياة مثل حياته ؟ فليس بها مظهر يثير الاهتمام وليس بأى جزء من أجزائها أى غموض ، ولا فى أى زاوية منها شئ يجذب الانتباه - حقا لقد والى فقره الى خيالى باستمرار طوال السنين الثمانى الماضية ، والله يعلم لماذا ؟ ولكنى لا أرى ما يعنيه ذلك سوى عنائه . « حنى فى الايام التى كنت أكتب فيها قصصا رومانسية ، وأرسم صورا لأسعة القمر الفضية ، عندما كانت نظرتى للعالم كلها لبن وماء قداح - وحتى حينذاك - كان كالوبانجى واقفا هناك . ولما تجاوزت هذه المرحلة الرومانسية ، ورأيت الحياة فى كلا جانبها ، الجميل والسيئ ، وبدأت ألس أوتارها المقطعة ، كان أيضا هناك . وعندما أطلت من شرفتى ورأيت فقر وعوز هؤلاء الذين يعطونا طعاما ولما رأيت أنهارا من الدماء تسيل على ثرى البنجاب ، وأدركت اننا متوحشون ، كان أيضا واقفا على مشارف عقلى ساكنا صامتا . ولكننى الآن سأخلص منه حتما . الآن يجب أن يرحل ، الآن أنا أكتب عنه . من فضلك استمع الى قصته الغبية السطحية التى لا تثير اهتماما ، حتى يمكننى أن أرسله ليعزم متاعه وأنخلص من وجوده القذر . اذا لم أكتب عنه اليوم ولا تقرأ أنت عنه فانه سيظل هناك لسنين ثمان أخرى . ربما . . . قطعا طوال حياتى .

ولكن ما يشغلنى هو صعوبة معرفة ماذا أكتب . كان أبوا كالو بانجى كناسيين ، وأغلب الظن أن كل أجداده كانوا كناسيين أيضا ، وعاشوا فى نفس المكان لمئات السنين مثله تماما وأيضا فان كالوبانجى لم يتزوج ابلا ولا يحب ابلا ، ولم يسافر بعيدا - وفى الحقيقة صدق أولا تصدق - انه لم يغادر قريته ابلا . كان يعمل طوال اليوم ، وفى الليل كان ينام ويستيقظ ثانية صباح اليوم التالى ليشغل نفسه بنفس المهام ، ومنذ صباه المبكر كان هذا ما يفعله .

آه . . . نعم هناك شئ واحد مثير للاهتمام حقا عنه ، كان يجب أن يأتى بحيوان . . . . . بقرة أو جاموسة مثلا لتعلق صلته . وكم رأيت مرارا فى منتصف النهار تحت السماء الزرقاء جالسا القرفصاء على حائط طوبى منخفض قرب المستشفى فى الشمس الساطعة وخلفه بساط أخضر من الحشائش وبقرة تعلق صلته وتعلق حتى يروح فى سبات من التأثير المهدى .

وكننت دوما أشعر بنشوة غريبة من السعادة كلما رأيته نائما هكذا ،  
كأننى لمحت خطفا ، الجمال الخامل الوامن السائد للكون .

فى حياتى القصيرة رأيت أجمل النساء ، وأنضر الزهور فى براعمها.  
وأدهش منظر العالم ولكن - ولسبب أجهله - لم يحدث فى أى منظر آخر إن  
شعرت بمثل هذه البراءة ، وهذا الجمال والهدوء كما تعودت ان أشعر عندما  
كنت فى السابعة وكان الحقل يبدو فسيحا للغاية والسماء بمثل هدم  
الزرقة والصفاء وصلعة كالوبانجى تبرق كالزجاج ولسان البقرة يلحق برقة  
رأسه كما لو كان يهدئه ويصدر صوتا خفيفا حالما . وكنت أشعر برغبة فى  
حلق رأسى كراسه حتى أتمكن من الجلوس تحت لسان البقرة وأروح فى سبات  
مثله . وفى الحقيقة لقد جربت ذلك مرة وكم نالنى من أبى من ضرب !! وكان  
نصيب كالوبانجى أسوأ منى . لقد ضربه والذى بشدة حتى خشيت عليه الموت  
وصرخت فى انزعاج . ولكنه لم يعان ضررا قط . وظهر فى اليوم التالى كعادة  
ويمكنسته فى يده ليكنس المنزل .

كان كالوبانجى مغرما جدا بالحيوانات . كانت بقرتنا مخلصه له ، وكذلك  
عنزة الصيدلى ولو أن العناز مخلوقات هوائية للغاية - أسوأ حتى من النساء -  
ولكن كالوبانجى كان حالة خاصة . كان هو الذى يسقيهما ويطعمهما ، ويصحبهما  
للمرعى ويلقهما فى حظيرة المواشى ليلا ، كانا يفهمان كل إشارة منه بقدر ما يفهم  
الرجل طفلا . ولقد تبعته مرات عدة . وسواء فى الحلاء أو فى الطريق كان  
معتادا أن يتركهما طليقتين ولكنهما كانتا دائما تسيران بجانبه وتوفقان خطواتهما  
مع خطواته كما لو كانوا أصدقاء ثلاثة خارجين للنزهة . وإذا وقفت البقرة  
لتأكل قليلا من العشب الأخضر فإن العنزة تقف أيضا لتقرض أوراق شجيرة -  
أما كالوبانجى فكان يعض الحشائش ويبدأ فى أكلها - يأكلها بنفسه ويطعم  
بها العنزة أيضا ، ويحدث نفسه - لا يوجه الحديث لنفسه فقط ولكن البهائم  
أيضا - ويشترك الحيوانان فى الحديث ، يمدمان ، يحركان آذانهما ، يجران  
أقدامهما ، يخفضان ذليلهما ، يقفزان فرحا ، ويعبران عن نفسيهما بكل الوسائل  
وأنا واثق أننى لم أتمكن من فهم ما كانوا يتحدثون عنه . ثم بعد عدة دقائق  
فان كالوبانجى كان ينطلق ثانية وتكف البقرة أيضا عن الرعى وتترك العنزة  
شجيرتها وتسير معه . وإذا وصلوا الى جدول ماء أو الى نبع صغير جميل فان  
كالوبانجى كان حينئذ يجلس هناك أو بالأحرى يرقد هناك ويضع شفثيه على  
سطح الماء ويبدأ فى الشرب كما تفعل الحيوانات تماما . ويبدأ الحيوانان فى  
الشرب بنفس الطريقة لأنهما رغم كل شئ ليسا من البشر ولا يعلمان كيف  
يشربان من أيديهما .

وبعد ذلك ، فان رقد كالوبانجى على الحشيش فان العنزة ترقد أيضا عند

أقدامه ، قابعه بأرجلها للدخول راحة على ركبتيها كما لو كانت تنلوا صلواتها .  
وتجلس البقرة قربها متخذة وضعا يوحي اليك أنها زوجته وانها قد انتهت لتوها  
من اعداد العشاء . وكان هناك نوع من الهدوء وروح العائلة تظهر على كل  
تعبير على وجهها . ولما كانت تبدأ فى الاجترار كانت تبدو لى تماما كربة بيت  
قديرة تجلس الى أشغال الابرّة ونسج له صديريا من الصوف وبجانب هذه  
البقرة والعنزة كان هناك كلب أعرج كان كالوبانجى يعزه كثيرا . وكان عرجه  
سببا فى انه لم يكن قادرا على أن يتجول مع الكلاب الأخرى كثيرا وعادة كان  
أسوأهم نصيبا فى مشاجراتهم وكان دائما جائعا ودوما مصابا . وكان كالوبانجى  
دائما مشغولا بتضميد جروحه ، وعادة كان معنيا به أشد العناية . كان يغسله  
بالصابون والماء أو يزيل الحشرات العالقة بجلده أو يضع المرهم على جروحه أو  
يطعمه بفتات من خبز الذرة الجاف . ولكن الكلب كان حيوانا أثنائيا جدا .  
كان لا يظهر الا مرتين يوميا ، مرة فى الظهيرة ومرة فى المساء حينما يأكل  
طعامه . وتضمده له جراحه وينطلق ثانيا . كانت زيارته دائما قصيرة . وكانت  
تستوعب كل اهتمام كالوبانجى . لم أكن أحب الحيوان على الاطلاق . ولكن  
كالوبانجى كان دائما يلقيه بحب بالغ .

وزيادة على ذلك كان كالوبانجى يعرف كل مخلوق حى فى الغابة . فلو  
رأى حشرة عند أقدامه فانه كان يلتقطها ويضعها على شجيرة أو عشب . كان  
يجيب النمى بنفس طريقة عوائه . كان يعرف نداء كل طير – الدراج – حمام  
الغابة – الببغاء – العصفور وكثير غيرها . فى هذا المجال كان أعلم من راهول  
سانكريتيان ( عالم هندى شهير ) . وعلى أى حال فبالنسبة لصبنى فى السابعة  
من عمره كان يتميز حتى عن والدى . وكان معتادا على شواء ثمار الذرة على  
كوزها بطريقة رائعة ، يحمصها بعناية على نار هادئة حتى تلمع كل حبة فيها  
كالذهب ويكون مذاقها كالعسل وتعقب شذا وطيبا كشذا الأرض نفسها .  
كان يعتمد الى شواء كوز الذرة ببطء ، وهدوء وخبرة . ينظر اليه بين الحين  
والحين من كل جوانبه كأنه كان يعرف ذلك الكوز شخصا منذ سنين وكان  
يتحدث معه كأنه صديق ، ويعامله برقة ولطف ومحبة كما لو كان قريبا له ،  
كما لو كان شقيقه . وبالطبع تعود أشخاص آخرون شواء الذرة ولكن من يقارن  
به ؟ . كانت أكوازهم تبدو نصف مشوية لا طعم لها ، وكانت سوقية الى حد  
أنها لا تستحق اسمها . ولكن نفس الكوز فى يدى كالوبانجى كانت تتحول  
كليا وتخرج من النار كعروس جديدة تبرق بالذهب فى رداء عرسها . أظن  
أن كوز الذرة نفسه كان يدرك شيئا طفيفا من ذلك الحب الكبير الذى كان  
كالوبانجى يكتبه له ، والا فمن أين كان يحصل ذلك الشئ الذى لا حياة فيه على  
كل هذا السحر ؟ وكنت أتمتع بأكواز الذرة التى كان يعدها ويأكلها خلصة

بسرور بالغ . وضبطت مرة ونالني عقاب صارم . وكذلك نال كالوبانجى الرجل المسكين . ولكنه فى اليوم التالى كان فى منزلنا كالعادة .

حسننا . هذا كل شئ - لا أستطيع أن أتذكر شيئاً آخر له أهمية يمكن أن يقال عنه . أسلمتني مرحلة الصبا الباكر الى الشباب وبقي كالوبانجى كما هو تماماً . وأصبح الآن أقل انارة لاهتمامى وفى الحقيقة يمكن القول انه أصبح لا يثير اهتمامى قط . حقاً لقد جذبت شخصيته انتباهى بين الحين والحين . كان هذا فى الأيام التى كنت قد بدأت فيها الكتابة لتوى ، ولكى أسهل على نفسى دراستى للشخصيات كنت أسأله أحياناً ممسكاً بقلمى الجبر واضمأمة من الورق لأدون ملاحظاتي : « كالوبانجى ... أهناك أى شئ مهم فى حياتك ؟ »

« ماذا تعنى يا سيدى ؟ »

« أى شئ ذو أهمية خاصة - غير عادى ... غير مألوف ؟ »

« لا يا سيدى »

( فراغ فى الورق حتى الآن - حسننا - لننسى ذلك - ودعنا نشاير فربما يظهر شئ )

« حسننا - قل لى اذن ماذا تصنع بأجرك ؟ »

« ماذا أصنع بمرتبى ؟ » ويفكر ، اننى أحصل على ثمان روبيات ، أصرف أربع روبيات على الدقيق ، روبية للملح -- روبية للدخان - ثمان أنات للشاى -- أربع أنات للعسل الاسود وأربع أنات للتوابل . كم يبلغ ذلك يا سيدى ؟ »

« سبع روبيات »

« نعم ، سبع روبيات وكل شهر أدفع المقرض النقود روبية واحدة . » اننى أقترض النقود منه لأدفع أجر حياكة ملابسى . أليس كذلك ؟ اننى أحتاج لطقمين فى السنة . البطانية ... عندى واحدة ولكننى ما زلت أحتاج لطقمين من الملابس . أليس كذلك ؟ » ويا سيدى لو رفع السيد الطيب مرتبى الى تسع روبيات لرفلت فى النعيم حقاً .

« وكيف ذلك ؟ »

« سأشتري زبدا بروبية وأصنع خبز الذرة المستدير . لم أكل هذا الخبز أبداً يا سيدى . وأحب أن أجربه »

والآن فانى أسألك كيف أستطيع أن أكتب قصة عن روبياته الثمان ؟

وبعد • عندما تزوجت وبدأت الليالي مرصعة بالنجوم ومليئة بالبهجة وسب  
شدى العسل والمسك والورد البرى من الغابة القريبة وكنت تستطيع أن ترى  
الغزال وهو يقفز ، وبدأت النجوم كأنها تتدلى لنهمس فى أذنيك وترتفع الشفاه  
المليئة لشخص ما لفكرة القبل الآتية - حينئذ أيضا كنت أشعر برغبة فى كذابة  
شئ عن كالوبانجى فكنت أتناول ورقة وقلما وأذهب للبحث عنه •

« كالوبانجى - ألم تتزوج ؟ » •

« لا يا سيدى » •

« لماذا ؟ » •

« أنا جامع القمامة الوحيد فى هذه الناحية - يا سيدى - وليس هناك  
آخر لأميال عديدة • اذن كيف أستطيع الزواج ؟ » •  
طريق مسدود مرة أخرى • وحاولت ثانية •

« ألا تمنى لو أنك استطعت أن تفعل ذلك ؟ » وأملت أن يقودنى هذا  
الى شئ •

« أفعل ماذا يا سيدى ؟ » •

« ألا تريد أن تحب شخصا ؟ ربما تكون قد أحببت شخصا ولهذا لم  
تتزوج » •

« ماذا تمنى - أحب شخصا - يا سيدى ؟ » •

« حسنا - الناس يحبون النساء » •

« يحبون يا سيدى ؟ انهم يتزوجون • وربما أحب كبار القوم أيضا •  
ولكننى لم أسمع اطلاقا عن شخص مثلى يحب • أما عن الزواج فلقد أخبرتك  
عن سبب عدم زواجى اطلاقا • كيف يمكننى أن أتزوج ؟ » •

كيف أستطيع الاجابة عن ذلك ؟

« ألا تشعر بالأسف يا كالوبانجى ؟ » •

« على ماذا يا سيدى ؟ » •

بعد ذلك قطعت الأمل وتركت فكرة الكتابة عنه •

مات كالوبانجى منذ سنوات ثمان • وهو الذى لم يمرض ابدا سقط فجأة  
مريضا بمرض خطير للغاية حتى أنه لم ينهض ثانية من فراش مرضه • أدخل  
الى المستشفى ووضع فى عنبر بمفرده • وكان الصيدلى يقف بعيدا ما أمكن وهو

يعطيه الدواء . وكان عامل المستشفى يضع طعامه داخل الغرفة ثم يسرع بالخروج ، وكان على المريض أن يغسل أطباقه ويرتب فراشه ويتخلص من فضلاته . ولما مات تولت الشرطة التخلص من الجثة لأنه لم يترك وريثا ، لقد بقى معنا عشرين عاما ولكنه بالطبع لم يكن من أقربائنا . ولهذا ذهب مرتبه الأخير للحكومة لأنه لم يكن هناك من يرثه . حتى فى يوم وفاته لم يحدث شيء غير عادى ، فتح المستشفى أبوابه ، كتب الطبيب الأدوية اللازمة ، جهزها الصيدلى وأخذ المرضى أدويتهم وعادوا لمنازلهم - يوم كآى يوم آخر . كآى يوم آخر فان المستشفى أغلق أبوابه وعدنا جميعا لمنازلنا ، نتناول طعامنا فى هدوء واستمعنا الى المذياع وأوينا الى فراشنا ورحنا فى سبات . ولما استيقظنا فى صباح اليوم التالى سمعنا أن السلطات تخلصت مشكورة من جثمان كالوبانجى . ومن ثم فان عنزة الصيدلى وبقرة الطبيب رفضتا الطعام والشراب لمدة يومين ، ولكنهما وقفتا خارج الحظيرة تخوران وتمأمان بلا جدوى . . . ان الحيوانات هكذا . . . أليس كذلك ؟ .

ماذا . . . . . أنت هنا ثانية بمكنستك ؟ حسنا . . . ماذا تبغى ؟ ان كالوبانجى ما زال واقفا هناك . هيا هيا . . . لقد كتبت عنك كل شيء . ألم أفعل ؟ لماذا تظل واقفا هناك ؟ لماذا تظل تزعجنى ؟ أستحلفك بربك أن تذهب . هل نسيت شيئا ؟ اسمك كالوبانجى . وظيفتك كناس . ولم تغادر هذه المقاطعة البتة . لم تتزوج اطلاقا . لم تحب أبدا . لا أحداث هامة فى حياتك لا شيء ليهز مشاعرك - كشفتى محبوبتك أو قبلات طفلك أو أشعار غالب (\*) . حياتك خالية من الأحداث تماما . ماذا أستطيع أن أكتب ؟ ماذا أستطيع ان أكتب غير ذلك ؟ . المرتب روبيات ثمان . أربع روبيات للدقيق - أربع أنات للتوابل - روبية للملح - روبية للطباق ، ثمان أنات للمشاي ، أربع أنات للعسل الاسود . وهذه سبع روبيات - وروبيه لمقرض النقود . ثمان . ولكن روبيات ثمان لا تصنع قصة . وفى هذه الأيام فحتى الأشخاص الذين يكسبون عشرين . . . خمسين . . . وحتى مائة روبية ليسوا من الأهمية بمكان الى حد أن تكتب القصص عنهم ، وهكذا فانه من المؤكد أنك لا تستطيع أن تكتب عن شخص يكتب ثمانى روبيات فقط . فماذا اذن أستطيع أن أكتب عنك ؟ فلنأخذ كهيلجى الآن . هو الصيدلى بالمستشفى . انه يحصل على اثنتين وثلاثين روبية فى الشهر .

لقد ولد فى عائلة دون المتوسط وعلمه أبواه تعليما متوسطا حتى الاعدادى ثم اجتاز اختبار التأهيل ليصبح مركبا للأدوية . انه شاب ملىء بالحياة بكل ما يتضمنه هذا ، انه يستطيع أن يرتدى سروالا هندية أبيض نظيفا وقميصا

(\*) « غالب » شاعر هندي شهير من القرن ١٩ .

منشى ويستعمل دمانا لشعره ويقيه دمشطا جيدا . تدمه الدولة بالمسكن ،  
 كمئزل خشبى صغير . واذا أخطأ الطبيب فانه يستطيع ان يضع الأتعاب فى  
 جيبه . ويستطيع أن يغازل المريضات الحسنات . هل تذكر تلك القصة عن  
 فوران ؟ كانت فوران من باهينا . مخلوقة صغيرة حمقاء فى السادسة أو السابعة  
 عشرة من عمرها . وكانت لابد أن تجذب انتباهك ولو كانت على بعد أربعة أميال  
 منك كملصقات السينما . كانت حمقاء تماما . لقد قبلت ملاطفة شابين من  
 قريتها . وعندما كان ابن رئيس القرية معها كانت له . وعندما ظهر ابن رئيس  
 حسابات الجمعية كانت تشعر بانجذاب نحوه ، ولم تستطع أن تختار أحدهما .  
 يظن الناس عموما أن الحب شيء واضح محدد ظاهر ، ولكنه فى الحقيقة نوع  
 من الحالات غير المستقرة المتذبذبة غير المؤكدة . انك تشعر أنك تحب شخصا  
 وأنت تحب شخصا آخر أيضا ، أو ربما أنك لا تحب أحدا على الإطلاق . وحتى  
 لو كنت تحب فأنه شعور مؤقت متغير عابر حتى أنه فى اللحظة التى يغيب  
 فيها من تحب عن بصرك فانه لا يلبث أن يتبخر . ان شعورك صادق حقا ولكنه  
 لا يبقى طويلا . ولهذا السبب لم تستطع فوران أن تحدد موقفها . كان قلبها  
 يخفق لابن رئيس القرية ولكن حالما كانت تنظر لعيني ابن مسئول الحسابات  
 كان قلبها ينبض سريعا ونشعر كأنها وحيدة فى قارب صغير فى محيط شاسع  
 والأمواج تتلاطم حولها وهى تمسك بمجداف هشى فى يدها ، ويبدأ القارب  
 فى التارجح ويستمر تأرجحه بلطف . وكانت تمسك بالمجداف الهشى بيدها  
 الهشة كما لو كان يفلت من قبضتها . وبرقة تحبس أنفاسها وبيط ، تخفض  
 نظراتها وتترك شعرها يسقط بلا نظام ، ويبدو أن البحر يدور حولها وتنتشر  
 على سطحه دوائر تتسع بلا نهاية ويخيم سكون مميت على كل الجوانب وتتقف  
 فجأة نبضات قلبها فزعا وحينئذ يحتويها شخص بين يديه بقوة ٠٠٠ آه . كان  
 هذا هو شعورها ، وهى تنظر الى ابن مسئول الحسابات بالقرية ولم نستطع  
 أن نختار أيهما . ابن رئيس القرية ٠٠٠ ابن رئيس الحسابات ابن رئيس  
 الحسابات ٠٠٠ ابن رئيس القرية ٠٠٠ لقد قطعت عهدا لكليهما ، ووعدت كلا  
 منهما بلزواج وكانت صريعة هوى الاثنين . وكانت النتيجة أن تعاركا حتى  
 سالت دماؤهما وعندما سال الكافى من دماء الشابين لاما نفسيهما على أنهما كانا  
 بهذا الغباء . فى بداية الأمر وصل ابن رئيس القرية الى مسرح الحادثة وبيده  
 سكين وحاول أن يقتل فوران وجرحته فى ذراعها . ثم وصل ابن رئيس  
 الحسابات وصمم أن يقضى عليها وجرحته فى قدمها . وعاشت لأنها نقلت  
 الى المستشفى فى الوقت المناسب وأجرى لها العلاج اللازم . حسنا ٠٠٠ وحتى  
 رجال المستشفى بشر . فان الجمال يؤثر فيه على القلب - مثل الحقنة . وقد يكون  
 التأثير طفيفا أو عنيفا ولكن مما لا شك فيه أنه سيكون هناك بعض التأثير ،  
 وفى هذه الحالة كان التأثير على الأطباء طفيفا ولكنه على الصيدلى كان عنيفا .

فقد وهب كهيلجن نفسه قلبا وروحا ليعنى بفوران . وكان نفس الشيء تماما قد حدث من قبل . فقبل فوران كانت بيجومان وقبلهما راشمان وقبلها جاناكى . ولكن هذه كانت مغامرات كهيلجى الغرامية الفاشلة لأن هؤلاء النسوة الثلاث كن متزوجات . وفى الواقع كانت راشمان أما لطفلة أيضا . نعم . . . لم يكن هناك الأطفال فحسب ، بل وكذلك الآباء والأمهات والأزواج ونظرات الأزواج العدائية التى بدت لكهيلجى كأنها تنفذ رأسا الى قلبه محاولة البحث عن كل ركن من رغباته المخفية . وماذا كان يستطيع أن يفعل المسكين كهيلجى ؟ لقد قهرته الظروف . لقد أحبهن كلهن على التوالى - بيجومان . . . راشمان . . . وجاناكى أيضا .

وكان معتادا أن يعطى الحلوى لشقيق بيجومان كل يوم ، وكان معتادا أن يحمل ابن راشمان معه طوال اليوم . كانت جاناكى مغرمة بالزهور وكان كهيلجى يستيقظ ويخرج فى الصباح الباكر قبل شروق الشمس ويقطف باقات الورد الأحمر الجميل ليقدّمها لها . وكان يقدم لهن أفضل الأدوية وأجود الأطعمة وأكمل العناية . ولكن عندما حان الوقت وشفيت بيجومان رحلت مع زوجها وهى تبكى ، ولما شفيت راشمان أخذت ولدها ورحلت ، ولما شفيت جاناكى وحل موعد رحيلها ، أمسكت بالزهور التى أحضرها كهيلجى وضمتها الى قلبها وقد تفرقت عيناها بالدموع وهى تمتد يدها لزوجها ورحلت معه حتى اختفيا فى النهاية خلف قمة الجبل .

وعندما وصلا الى حد الوادى الأبعد - استدارت ونظرت ناحية كهيلجى - وأدار كهيلجى وجهه ناحية الحائط وبدأ فى البكاء . وعندما رحلت راشمان كان قد بكى أيضا ، وعندما رحلت بيجومان فانه أيضا بكى بنفس الحرقه . . . بنفس الجدية . وقد فاضت به نفس الأحاسيس المبرحة . ولكن لا راشمان ولا بيجومان أو جاناكى بقيت له ، ولكن الآن ، ولست أعلم بعدكم من السنين ، وصلت فوران وبدأ قلبه ينبض سريعا بنفس الطريقة تماما وكل يوم كان قلبه يخفق لها أكثر وأكثر . فى أول الأمر كانت حالة فوران دقيقة وكان الأمل ضئيلا ، ولكن نتيجة لمجهودات كهيلجى الشاقة بدأت جراحها تندمل تدريجيا ، وبدأت افرازاتها تقل وضاعمت الرائحة الكريهة وخف الورم . وبدأ البريق يعود تدريجيا لعينيها ونضرة الشباب لوجهها الشاحب . وفى اليوم الذى فك فيه كهيلجى ضمادات يدها فانها بدافع فجائى من عرفان الجميل ألقت بنفسها بين ذراعيه وانفجرت فى البكاء . ولما أزيلت الضمادات من على قدميها فانها صبغت قدميها ويديها بالحنة ، وزججت عينيها بالكحل ورتبت جدائل شعرها الطويلة . وفقرز كهيلجى فرحا لرؤيتها . وكانت فوران حينئذ قد سلمت قلبها اليه ووعدته بالزواج . كان ابن رئيس القرية وابن رئيس الحسابات قد أتيا لزيارتها فى مناسبات عديدة ويسألانها الصفع ويعدانها بالزواج . وكانت فوران تذعر.



لرؤيتهما كلما حضرا وتأخذ في الارتجاف وتنظر يمينا ويسارا لتجنب نظرتهما. ولم تكن تشعر بالراحة الا بعد أن يرحلا ويأخذ كهيلجي يدها في يده . ولما عوفيت تماما حضر اهل القرية جميعا لرؤيتهما . ولم تكن هناك حدود لعرفان. والدها ووالدتها بالجميل ، فقد تحسنت صحة فتاتهما وذلك بفضل عطف الطبيب والصيدلى . واليوم حتى رئيس القرية حضر وكذلك مستول الصراتب أيضا ، وولدهما هذان الحماران المغروران اللذان كانا يشعران بالأسى كلما نظرا الى فوران ، بسبب ما فعلاه ، ثم توجهت فوران الى والدتها ونظرت ناحية كهيلجي وهى مستنده عليها ، وعيناها مغرورتان بالدمع والكحل ، وبدون أن تنبت ببنت شفة رحلت الى قريتها . وكانت القرية كلها قد حضرت للقيها ، وكان ابن رئيس القرية وابن مستول الحسابات في عقيبها . وشعر لهيجي بخطواتهما وبخطوات أخرى أكثر وأكثر ، أحس مئات الخطوات تخطو عبر صدره وهى فى طريقها آخذة فوران معها وتاركين خلفهم سحابة من التراب معلقة فوق الطريق . وأدار وجهه ناحية أحد حوائط العنابر وانخرط فى النسيج . نعم ، لقد كانت حياة كهيلجي حياة جميلة رومانسية ، كهيلجي الذى تحظى منتصف عمره والذى كان مرتبه اثنتين وثلاثين روبية فى الشهر والذى كان يستطيع أن يربح من خمسة عشر الى عشرين روبية فوق مرتبه ، كهيلجي الذى كان شابا ، والذى كان يعرف ما هو الحب ، والذى كان يعيش فى منزل صغير ويقرأ قصص مشاهير المؤلفين والذى كان ينعى حبه . كم كانت حياة كهيلجي مثيرة - رومانسية وواسعة الخيال - ولكن ماذا تستطيع أن تقول عن كالوبانجي ؟ ما عدا ما يأتى :

١ - أن كالوبانجي غسل الدم والصديد العالق بأضمة بيجيمان .

٢ - أن كالوبانجي أفرغ مbole بيجيمان .

٣ - أن كالوبانجي نظف أضمة رثمان الملوثة .

٤ - أن كالوبانجي كان يعطى ابن رثمان ذرة مشوية ليأكلها .

٥ - أن كالوبانجي غسل ضمادات جاناكى القذرة ورش غرفتها يوميا بالمطهرات ، وأنه كل يوم فى المساء يخلق نافذة العنبر ويوقد الحطب فى المدفأة. حتى لا تشعر جاناكى بالبرد .

٦ - أن كالوبانجي أفرغ مbole فوران بانتظام لشهور ثلاثة وأيام عشرة .

رأى كالوبانجي رثمان وهى ترحل ورأى بيجيمان وهى ترحل ورأى جاناكى وهى ترحل ورأى فوران ترحل . ولكنه لم يدر وجهه أبدا للحائط ويكى، ففى أول الأمر كان يبدو عليه قليل من الارتباط للحظة أو لحظتين ويهرش رأسه ثم عندما يعجز عن تعليل ما يجرى ، فانه يخرج للحقول أسفل المستشفى ويدع البقرة تعلق له رأسه الأصلع . ولكننى قد قلت لك عن ذلك من قبل .

حسنا . ماذا أستطيع أن أكتب عنك أكثر من ذلك كالوبانجي ؟ لقد قلت كل ما هناك . قلت ما يمكن أن يقال عنك ، لو كان مرتبك اثنتين وتلاني رويبة ، لو كنت قد تخطيت منتصف عمرك ، أو حتى لم تبلغه — لو كنت ورتت قليلا من الثقافة . قليلا من التهذيب ، قليلا من البهجة البشرية والنشوة التي تجلبها ، لكنك كتبت شيئا عنك ، ولكن والأمر كذلك ماذا أستطيع أن أكتب عن روبياتك الثماني . وبين الحين والحين أمسك بروبياتك الثماني وأدرسها من جميع الزوايا ، روبيات أربع للدقيق ، رويبة للملح ، رويبة للدخان ، ثمان أنات للنساي ، أربع أنات للمسل ، أربع أنات للتوابل — هذه سبع — ورويبة لمقرض النقود ، هذا يكملها ثماني . كيف أستطيع أن أصنع قصة من ذلك كالوبانجي ؟ لا . . . . لا يمكنك صنعها . اذهب عنى . أرجوك أن تذهب عنى — أترى أنني أتوسل اليك بيدين مضمومتين . ولكنه ما زال يقف هناك يكشف عن أسنانه القذرة الصفراء غير المستوية ويضحك ضحكته المشروخة .

أرى أنني لا أستطيع التخلص منك بهذه السهولة . حسنا اذن . دعنى أقامه جمرات ذاكرتي مرة أخرى وربما — لمصلحتك — قد انخفض قليلا عن مستوى الروبيات الاثنتين والثلاثين . دعنى أرى أى مساعدة يمكن أن أستقدمها من الساعى باختيار . ان باختيار الساعى يربح خمس عشرة رويبة شهريا . وكلما خرج فى جولة مع الطبيب أو الصيدلى أو المكلف بالتلقيح ضد الأمراض ، يأخذ علاوات مضاعفة ومصاريف انتقال أيضا . ثم أن له قطعة أرض فى القرية ومنزل صغير تحوطه من جوانبه ثلاث شجرات طويلة من أشجار الصنوبر . بحديقة جميلة صغيرة فى الجانب الرابع أنشأتها زوجته . ولقد زرعها بكل أنواع الخضراوات — السبانخ والفجل واللفت والفاصوليا الخضراء ، والقرع — وكلها تحف فى فصل الصيف وتؤكل فى الشتاء . وعندما يتساقط الجليد ولا تتواجد الخضراوات . وتعرف زوجة باختيار كل شئ عن هذه الأمور . ولدى باختيار أطفال ثلاثة ووالدته العجوز التى تشاجر دائما مع زوجة ابنها . وحدث مرة أن تشاجرت أم باختيار مع زوجة ابنها وغادرت المنزل . وكانت السماء ملبدة بالغيوم الثقيلة وكان البرد القارس يجعل أسنانك تصطك . وهرع أكبر أولاد باختيار جاريا الى المستشفى ليخطره بما حدث وهرع باختيار فى التو واللحظة ليعيد والدته مصطحبا كالوبانجي معه وأمضيا طوال اليوم فى الغابة بحثا عنها ، باختيار وكالوبانجي وزوجة باختيار التى كانت حينئذ قد أسفت لمسا فعلته وواصلت البكاء والمناداة على حمايتها . وكانت السماء ملبدة وأخذت أيديهم وأقدامهم تتخدر من البرد ، وكان أغصان شجرة الصنوبر الجافة زلقة تحث أقدامهم ، ثم بدأ المطر يتساقط ثم تحول المطر الى برد وخيم سكون مطبق على الكون كأنما انفتحت هاوية الموت وأخذت ترسل الصف تلو الصف من

جنيات الثلج على الأرض وواصلت ندف النايح سقوطها ساكنة هادئة لا صوت لها وانبسخت طبقه بيضاء مخملية على السهيل والتل والوادي .

ونادت زوجة باختيار بأعلى صوتها « أمي » .

ونادى باختيار « أمي » .

وصاح كالوبانجي « أمي » .

ورجعت الغابة صدى أصواتهم وعم السكون .

ثم قال كالوبانجي « أظن أنها لا بد أن تكون قد ذهبت عند عمك في فاكار » وقبل فاكار بأربعة أميال وجدوها . كان الثلج يتساقط وكانت تشق طريقها وهي تسقط وتتعثر لاهثة متقطعة الأنفاس . ولما أمسك بها باختيار قاومت للحظة ثم سقطت فاقدة الرشيد بين ذراعيه ، وساعدت زوجة باختيار في رفعها . وحملها باختيار و كالوبانجي بالتناوب طوال طريق العودة . وكان الظلام حالكا عندما وصلوا الى البيت ، ولما رأهم الأطفال قادمين انخرطوا في البكاء وانتحي كالوبانجي ركنا ، ونظر حوله ثم بدأ يهرش رأسه . ثم فتح الباب في هدوء ودلف خارجا . نعم هناك قصص يمكن أن تكتب عن حياة باختيار أيضا ، قصص جميلة قصيرة . ولكن ماذا أستطيع أن أكتب أكثر من ذلك عنك يا كالوبانجي ؟ أستطيع بكل تأكيد أن أكتب عن كل فرد في المستشفى سواك . لكن عنك أنت . . . حسنا فبعد كل هذا التنقيب في ذكراتي أجد أني في حيرة ماذا أستطيع أن أفعل . اذهب عني الآن . أستحلفك بربك لقد أزعجتني بما فيه الكفاية حتى الآن .

ولكنني أعلم أنه لن يذهب . ولن أكون قادرا على إبعاده من مخيلتي .

وفي كل قصص سيكون واقفا هناك وهكسسته القدرة في يده . والآن

أنا أعلم ما تبغى .

انك تريد أن تسمع قصة عن شيء لم يحدث اطلاقا ، ولكن كان من الممكن أن يحدث . سأبدأ بقديمك . اسمع . . . انك تريد لقديمك القذرتين الحشمتين أن يغسلا الى أن يصبحا نظيفتين - يغسلا حتى تزول عنهما القذارة . انك تحتاج الى مرهم تدلك به شقوقهما وانك تريد لركبتيك العظمتين أن يغطيهما اللحم ولساقيك أن يصيرا قويتين صلبتين ، وأن تختفى الغضون من على بطنك الضامرة وأن يغسل التراب والقذارة من شعر صدرك الهزيل تريد أن تستلئ شفاهاك الرفيعة وتصبح قادرة على الحديث . انك تريد شخصا لبضع البرين في عينيك ويجرى الدم في وجنتيك ، وأن يعطيك ملابس نظيفة لترنديها . ويرفع أربع حوايط لمنزل صغير حوله يكون جميلا ورقيقا ونظيفا ، منزل تديره زوجتك ويمرح فيه أطفالك الضاحكون .

لا أستطيع أن أفعل ما تطلب • أنا أعرف أسنانك المهشمة وضحكك نصف الباكيه • أنا أعرف أنك عندما تأتي بلبقة لتلحق رأسك حتى تغمض عيناك ويسقط رأسك وتغيب في النوم في أحضانها العطوفة وعندما ننسوى إلى كوز الدرة بكل هذه الرقة فوق النيران وتنظر إلى بكل هذا العطف والحب وأنت تقدمه لي لآلتهمه ، ففي عين مخيلتك ترى ذلك الصبي الصغير الذي هو ليس ابنك ، والذي لم يصل بعد لهذا العالم ولن يصل قط مادمت حيا ، وبالرغم من ذلك فقد هدهدته كاب حان وأمسكت به في حرك وهو يلعب وقبلته على وجهه وحملته على كتفك وأنت تقول « انظروا ... هذا ولدي » • وعندما لم تستطع أن تحصل على أى من هذه الأشياء فانك تنتحى جانبا وتبرش رأسك في ارتباك وحيرة وتبدأ بلا شعور تعد على أصابعك واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية روبيات ثمان وأنا أعرف قصة ما كان يمكن أن يحدث • ولكنه لم يحدث • وذلك لأننى كاتب وأستطيع أن أشكل قصة جديدة ، ولكنى لا أستطيع أن أشكل رجلا جديدا • ولهذا فأننى بمفردى لا أكفى ، ولهذا فان الكاتب وقارثه والطبيب والصيدلى ، وباختيار ومحاسب القرية ورئيس القرية ، وصاحب الحانوت ، والرجل صاحب النقود والسياس والعامل والفلاح الذى يكدح فى حقله ، كلهم مطلوبون - المجهودات المتحدة لكل فرد من هؤلاء ، الألوف والملايين ومئات الملايين من البشر - وأنا بمفردى لا حول لى ، ولا أستطيع أن أفعل شيئا • وحتى تتضافر جهودنا جميعا يدا فى يد ليساعد بعضنا البعض فان تلك المهمة لا يمكن أن تنفذ • وستظل واقفا هناك على حافة مخيلتى كما أنت تماما بمكنستك فى يدك ، ولن أستطيع أن أكتب قصة عظيمة حقا يشع فيها بهاء السعادة الكاملة للروح البشرية ، ولن يستطيع البنائون أن يشيدوا ذلك البناء الضخم الذى تصل فيه عظمة شعبنا إلى ذروة انجازاتها • ولن يستطيع فرد أن ينشد أغنية تعكس أعماقها كل عظمة الكون •

لا ، ستكون تلك الحياة الكاملة مستحيلة ، ما دمت تقف هناك ومكنستك فى يدك •

لا عليك ، ظل واقفا هناك فالأحسن أن تفعل ذلك ، ثم ربما يأتى اليوم الذى يأخذ فيه أحدهم المكنسة من يدك ، ويضغط على يدك برفق ويصحبك إلى ما بعد قوس قزح •

## تهاكازى سيفسانكارا بيلاي

ولد عام ١٩١٤ فى تهاكازى ، قرية صغيرة جنوب الليبى فى ولاية كيرالا ، بحوالى عشرة أميال .

كان أبوه مزارعا ، ولكن منزله كان غنيا فى تقليد الثقافة السانكرينية وفنون كيرالا الوطنية . ففى المساء كان كبير العائلة يجلس فى ضوء مصباح زيتى ويقرأ مقتطفات عن مهاباراتا ، ورامايانا .

تلقى تهاكازى سيفسانكارا بيلاي أول تعليمه فى المنزل . وذهب الى المدرسة فى تهاكازى ثم للمدرسة المتوسطة فى امبالابوزها . والتحق بعد ذلك بالمدرسة العليا فى هاريبيد . وتوجه الى عاصمة الولاية ، تريفاندرم ليتلقى تعليمه الجامعى حيث درس فى كلية الحقوق . وهنا توسعت اهتماماته العقلانية وقراءاته ، فقرأ الأدب الانجليزى والأوروبى بما فيه فرويد وماركس وظهرت أولى قصصه القصيرة « فى الفيضان » و « الطفل الجميل » حوالى هذا الوقت . ونشر له كتاب للقصص القصيرة باللغة « المالايلامية » اسمه « البراعم الجديدة » عام ١٩٣٤ وخرجت للنور أولى رواياته « الجائزة » بعد ذلك بقليل ثم تبعنها « اللوتس المتساقطة » ومنذ ذلك الحين كتب أربع عشرة رواية ، وحوالى ستمائة قصة قصيرة كلها بالمالايلامية . وترجمت كتبه الى لغات غربية عديدة .

ولأعمال تهاكازى مضامين اجتماعية عميقة وتحيز يسارى واضح . وأشهر رواياته « شميمين » التى ربحت جائزة أكاديمية ساهيتيا والتى كتبت فى ثلاثة أسابيع . لقد ترجمت الى كثير من اللغات الهندية والأجنبية . وآخر قصصه « أطفال أوسيف » تبحث فى المجتمع المسيحى فى كيرالا .

وكتب تهاكازى أخيرا فى خطاب له « أنا فلاح بلولد ، محامى بالحرفة ، وكاتب بالاختيار ، وقد تأثرت بفلوبرت ، وبلزاك ، ودى موباسان ، وهوجو ، وديستوفسكى ، وجوجول ، وتولستوى . وليس هناك كاتب هندى مسئول مباشرة عن كتاباتى . والسبب واضح - فانى لا أعرف لغة هندية أخرى عدا المالايلامية .

وحتى طاغور لم يكن مسئولا عن تطوير القصص المالايلامى .



## الاب والابن

### الاب والابن

كان من المنتظر أن يصل مدير التعليم العام للولاية في اليوم التالي الى القرية للتفتيش على المدرسة المحلية . وانتقل ناظر المدرسة من فصل لآخر ملقيا تعليماته وتوجيهاته لكي يأتي الطلبة في اليوم التالي وقد اغتسلوا جيدا ونظفوا أنفسهم وارتدوا أحسن ثيابهم . وقبل أن يغادر المدرسون المدرسة أيضا قالوا للطلبة عما يجب أن يفعلوا .

أصبحت أخبار زياة المدير هي حديث القرية . كان حدثا هاما . وكان المسئولون الوحيدون الذين زاروا القرية بين الحين والحين هم مفتش البوليس ومفتش البريد الذي كان يحضر ليقوم بالتفتيش على مكتب البريد المحلي ، ومفتش الجمعية التعاونية . وكانت هذه سى المرة الأولى التى يزور فيها القرية مسئول من حكومة الولاية . كان فى القرية ، فى منزل الليكال موظف رسمى يتقاضى خمسمائة روبية شهريا وكان شقيقه محاميا ، ولكن بالطبع كان المدير المسئول فى الولاية أكبر من هذين الاثنين .

فى ذلك المساء توجه الناظر الى المنزل القريب من المدرسة . كان ذلك لتدبير اللبن للمدير . وسأل كبير العائلة الناظر .

« ترى . كم يبلغ مرتبه يا سيدى ؟ »

وأجاب الناظر « ألفا روبية شهريا ، ولقد تلقى تعليمه فى انجلترا » .

واندفعت سيدة المنزل قائلة وقد أذهلها الرقم .

« ماذا سنبصنع بكل هذه النفود ؟ »

قال زوجها « سيكون قادرا على انفاقها . انه شخصية كبيرة » .

وشعر ولدها رامو بالفخر اذ كان ناظر المدرسة يزور منزلهم .  
كان سيقول لأصدقائه عندما يذهب للمدرسة فى اليوم التالى :  
« لقد حضر ناظر المدرسة الى منزلنا » .

ولما سمع أن المدير مرتبه يبلغ ألفين من الروبيات شهريا فانه قام بعملية  
قسمة عقلية . قسم ألفين على ثلاثين . وكان هذا ما يجنيه المدير يوميا . كان  
أبوه يربح روبية واحدة فى اليوم عندما كان يعمل . ولما كان ناظر المدرسة  
موشكا على الانصراف أعطى تعليمات مفصلة للمرأة « مكيا لين من اللبن .  
أتفهمين ؟ راعى النظافة عند الحليب ، وأضيفى اليهما قدر مدمعتين من ماء بشر  
المعبد . ثم اغلى اللبن . لا تدعى ذرة من الرماد تقع فى اللبن . وسأرسل لك  
وعائى الفضى . أرسلى لى اللبن فيه .

وتساءلت المرأة « هل أضيف سكرًا ؟ » .  
وفكر ناظر المدرسة برهة . لم يكن قد فكر فى ذلك . وأخيرا قال :  
« لا . فقد تضيفين سكرًا أكثر من اللازم . وربما كان لا يستخدم السكر .  
وزيادة فى ذلك فقد يكون فى سكرك نمل » .

وبعد أن عبر ناظر المدرسة الساحة الخارجية استندار مكررا :  
« نذكرى كل شئ قلته . نظيف . صاف . لا رماد » .  
وقالت المرأة المسكينة :  
« سأستحم قبل أن أغلى اللبن » .  
وأسقط فى يد الناظر . أنها لم تفقه شيئا . كان يائسا وقال :  
« لا — ليس هذا — ما قلته انه يجب أن يكون كل شئ نظيفا . وليس  
انه يجب عليك أن تغتسلى أنت » وقال زوجها :  
« سأتولى مراقبة كل شئ يا سيدى . لقد فهمت » .

وكان رامو الآن فى موقف يسمح له بالزهو أمام رفاق فصله بالمدرسة .  
فقبل كل شئ فان ناظر المدرسة زار منزله . وثانيا فان أهله هم الذين سيقدمون  
المبن للمدير . وكان هناك شئ آخر ، كانت هذه فرصة لاذلال الليكال كريشمنان  
كوتى . كان كوتى يفخر بأن عمه رجل يتقاضى وأن لمنزله سقف من القرميد  
وليس من القش أو الغاب .



فى اليوم التالى كان كل طفل فى الفرية قد اغتسل جيدا وارتدى أفخر ملبسه للذهاب الى المدرسة • كان رامو يرتدى سروالا أزرق كان أبوه قد حصل عليه من اوانام • وكان اللون الآن قد خبا الى رقع من الأبيض والأزرق الخفيف • وكان يرتدى أيضا سترة باكمام قصيرة • وكان كريشنان كوتى يرتدى أجمل الثياب فى فصله • كان يرتدى سروالا قصيرا من الحرير اللامع وقميصا أنيقا من قمصان الصيدلة حزام فى الوسط وأربعة جيوب وياقة عريضة • ولم يستطع أى ولد أن يقاوم الحملة اليه • كانوا يريدون أن يتحسسوا سراويله الناعمة وقميصه الجميل • الا رامو كان مصمما أن يحقر كريشنان كوتى •

وطرح عليه سؤالا قائلا :

« انت تنتمى لعائلة كبيرة • هل تستطيع أن تقول لنا أين تلقى المدير تعليمه ؟ » •

لم يستطع كريشنان كوتى الاجابة • ولكنه لم يكن ليرضى بالهزيمة • قبل التحدى • تظاهر أنه يعلم •

« فى تريفنا ندروم » •

فصقق رامو بيديه وضحك • لقد انهزم كريشنان كوتى ورمش بعيونه يائسا • وقال رامو •

« لا ••• لا ••• ليس هناك » • واستندار للآخرين موجهها كلامه لهم « هل يستطيع أى منكم أن يقول لى ؟ »

لم يستطع أحد • انتفخ رامو قليلا ثم قال :

« أنا أستطيع أن أقول لكم • فى انجلترا » •

ولكن رامو لم يكن راضيا عن الطريقة التى أهان بها كريشنان كوتى • فعاجله بسؤال آخر :

« ما مقدار مرتب المدير ؟ » •

شعر كريشنان كوتى بالضالة • لم يقل شيئا • وقال رامو فى ثقة كاملة «

« ألفا روبية شهريا » •

وكان لزاما على كريشنان كوتى أن يفعل شيئا مقابل هذه الاهانات •

فقال « هذا لا شىء يتقاضى ٢٢٥٠ روبية » •

وكان هذا يزيد ٢٥٠ روبية عما يتقاضاه المدير •

وصفق رامو يديه ثانية وضحك كما لو كانت هذه اكذوبة كبرى . وقال  
« هيا . . . هيا . . . لا تكذب » ثم تحول للآخرين وقال :

« هل سمعتم ذلك ؟ ان والده يربح ٢٢٥٠ روبية فى الشهر . نخبوا  
مانكومان العجوز الذى يحجل على عصي فى الحقول فى الصباح مستندا على عصاه  
ويلتف فى شال أخضر يتقاضى ٢٢٥٠ روبية ! » .

وكان لدى كريشنان كوتى الجواب على ذلك :

« انه جدى . والد أمى ولو اننى أسميه أبى » . وسأله رامو .  
« اذن كيف لم ير أحد منا أباك ؟ » .

وأجاب كريشنان كوتى « أبى . . . انه فى الشمال » .

وبدون أن يضيع رامو ثانية واحدة سأله :

« أين فى الشمال ؟ » .

لم يجد كريشنان كوتى اجابة . ووقف حائرا يبحث عن جواب . وقف  
هناك وعيناه محمقتان . يغالب دموعه . لو حرك جفونه ولو مرة واحدة  
لانهمرت دموعه . صاح الأطفال . لقد كان كريشنان كوتى يكذب . كان  
يتفاخر . وهذا ما قالوه ووقف كريشنان كوتى هناك ذليلا يغالب دموعه  
بمجهود .

وسأله رامو سؤالا قاسيا « لماذا تبتدع أن شخصا آخر هو أبوك ؟ » مد  
كريشنان كوتى يده ليخدش رامو . ولكن رامو تراجع .

ولم يكف رامو عن مضايقته . « أين والدك ؟ » .

لم يعد كريشنان كوتى يتحمل أكثر من ذلك . وجرى الى أستاذه يبكى .  
ياأسا ليشتكى رامو . هرب رامو بعيدا .

وفى ذلك اليوم ذهب كريشنان كوتى الى منزله محطمسا . مغموما .  
وكالعادة كانت أمه تنتظره عند الباب . ولما رأى والدته أنفجر باكيا . هرعت  
بهوانى أما الى ابنها وأخذته بين يديها . وأخذ يبكى بحرقه على صدر أمه .  
وبكت الأم أيضا ، لقد كان كل شئ بالنسبة اليها . كان الشئ الوحيد فى  
حياتها . لم تسأله عن سبب بكائه . كان كأنها قد قبلت حقيقة أن حياتها كانت  
حياة دموع . ولم يكن هناك داع لكى تسأل .

وهرع سانكوما مان وزوجته جارين الى الخارج . وكان القلق واليأس  
باديين تماما على وجه الجدة . قالت كل تجعيدة قصتها . لقد عاش فى خوف

أزلى من أن كارثة ما قد تنزل به فى أى لحظة . حاول أن يجذب الابن من أحضان أمه ولكن الولد كان متشبثا بها . وأبى أن يتركها .

وقال سائكوما مان وهو يدعك صدره بضيق :

« يا الهى . . يا الهى . . ماذا حدث للمصبي ؟ قولى لى يا باهاوانى » ولم تقل باهاوانى شيئا . كان حزنا تقتسمه الأم مع ابنها فقط ولم يكن هناك أحد آخر ، حتى سائكوما مان ليشاركهما حزنهما .

وقال سائكوما مان « يا الهى . . يا الهى هل احتفظت بكل هذا الحزن لشيخوختى ؟ »

وتلك الليلة – فى الفراش – رقد الابن لاصقا بأمه . وكانت الأم ترقد يقظة كل ليلة تفكر وتفكر قبل أن تستسلم الى النوم . وفى وقت ما كان هناك رجل يشاركها هذا الفراش وهذه الغرفة . وكانت تنعس فى لمح البصر وتنام فى هدوء . ولكن هذا كان من سنين مضت . أما الآن فقد كادت تفقد القدرة على النوم ، كانت تبقى يقظة لساعات تفكر . وبالتدريج كانت عيناها تغلقان . وكان النوم فى النهاية ينتصر فى ذلك النضال . ولكن كل ليلة ، حتى الآن فانها كانت لا تزال تستلقى ساهدة تفكر وتفكر . وفى هذه الليلة كان كريشنان كوتى ، أيضا ، يفكر . ولم يستطع النوم .

« لماذا لا يعيش معنا أبى يا أماه ؟ »

كانت باهاوانى الأم على وشك أن تغيب فى النوم . ولكن ذلك السؤال اخترق قلبها . عضت الأم على نواجذها وكشمت نسيجا صدر من أعماق وجدانها .

لم يشعر كريشنان كوتى به . كرر سؤاله « لماذا يا أماه ؟ »

وأجابت الأم « هذا قدرنا يا بنى »

وفى هذه اللحظة لم تستطع باهاوانى أن تغالب دموعها . أدرك كريشنان كوتى أن أمه تنحب .

لم يستطع أن يفهم ما معنى !لقد ولكنه لم يسألها . وفى ظلام الغرفة الساكن سألها عن شئ آخر :

« أماه – هل يمكن أن ترينى صورة أبى ؟ »

سألها ذلك بتردد كما لو كان يشعر بأنها ستجد عذرا لكيلا تريه اياها . ولكن كان هناك شئ ما فى صوته الصبيانى المتضرع ينم عن رغبته العميقة . وعن لهفته فى أن يراها .

نهضت الأم ومسحت دموعها وأضاءت مصباحا .  
 نادى سانكوما مان الذى كان يرقد فى الغرفة المجاورة عليها متسائلا :  
 « لماذا توقدين المصباح يا باهاوانى ؟ » .  
 وأجابت بعد لحظة تردد « لأن كريشنان كوتى يريد ذلك » .  
 « ألم يتم بعد ؟ » .  
 « لا » .  
 « يا الهى » .  
 وأخرجت باهاوانى من قاع صندوق صورة ملفوفة بعناية فى قطعة  
 من حرير .  
 نظرت الى الصورة بتمعن . وملأت الدموع عينيها .  
 ومن الغرفة الأخرى كان صوت سانكوما مان يسمع وهو يردد لنفسه .  
 « يا الهى يا الهى » .  
 أخذ كريشنان كوتى الصورة من والدته وحقق فيها وهو يلتمسها بعينه .  
 — اذا جاز هذا التعبير — . أشرق وجهه وكلما نظر اليها ازداد وجهه الصغير  
 اشراقا وقال :  
 « كانت ملابس المدير تشبه هذه الملابس . سترة ورباط عنق ، ولكنه  
 كان بلا عصا وبلا قبعة . وبعد لحظة رفع رأسه ونظر الى عينيها سائلا :  
 « هل أستطيع أن آخذ هذه الصورة معى الى المدرسة باكر يا أماه ؟ » .  
 وقالت الأم :  
 « هذه صورة يجب أن نحافظ عليها بعناية . يجب ألا ندعها تتسخ .  
 « لن أوسخها يا أماه . هذه صورة أبى » .  
 وظل ينظر الى الصورة ولم يستطع أن يقاوم نفسه فطبع قبلة صغيرة  
 عليها .  
 وفى الغرفة المجاورة ظل سانكوما مان يردد كلمات « يا الهى يا الهى »  
 معتقدا أن الله سيجيب دعواته عاجلا أو آجلا .  
 وغلف كريشنان كوتى الصورة بعناية ووضعها جانبا . أطفال أمه  
 المصباح ومرة أخرى آوت الأم وابنها الى الفراش .

مرت الساعات . كان العالم كله فى سبات عميق ولكن سؤالاً صدر من أعماق كريشنان كوتى « ألن يأتى إلينا والدى أبداً يا أماء ؟ » ولم يكن لدى باهاوانى رد الا أن ضمته بين ذراعيها - كيف تستطيع أن تجيبه .

كان الليكال سانكوما مان مزارعاً ابنتهم له القدر . فبمجهوده الفردى اكتسب ما يكفيه ليعيش حياة رغدة . كان لديه ولدان وفتاة ، وكانت الفتاة هى الأقرب الى قلبه . وكان الولدان فى غاية الذكاء والمهارة . وهكذا كان بيته مزدهراً ، تباركه وفرة من أطايب الأشياء . لم يشاهد الا الضحكات والمرح والحيوية والحماسة . ولم تعبر عتبه ظلال الهموم . ولا أحد كان يظن ان هذه الحالة ستتغير قط ، فقد كان ذلك البيت جزءاً من الجنة . ومن كل أولاده كانت الفتاة هى التى لها النصيب الأكبر من حب أبيها . ولم يعترض أحد على ذلك . وكانت باهاوانى هى الأثرة أيضاً عند أخويها . ولم يكن هناك سبب واحد لأن تغادر البهجة وجه باهاوانى ، ولا كانت هناك مناسبة تستدعى ذلك ، كانت أى رغبة لها مهما صغرت أمراً واجب التنفيذ . وكانت بهية الطلعة . كانت أمينة سانكوما مان الكبرى الوحيدة فى الحياة أن يزفها كعروس لرجل رفيع المقام يكون جديراً بها . ثم تمنى أن يذهب ويقيم معها فى بيتها بضعة أيام قبل أن يموت . وكان الجميع موقنين أن الأمور ستسير كما يهوى . لم تكن هناك أمنية لسانكوما مان لم تتحقق . كان دائماً محظوظاً فى مثل تلك المسائل : كان كمن ولد مباركاً حوله .

كان أكبر أبنائه واسمه جوفيندان ، أول من حصل على بكالوريوس الآداب فى القرية ، ولما كان قد حصل على درجات ممتازة فانه لم يجد صعوبة فى الحصول على وظيفة . وحصل على عمل طبيب بمرتب ٢٠٠ روبية شهرياً . وحصل الابن الثانى على اجازة الحقوق وصار محامياً فى الليبى . وفى يوم تلقى سانكوما مان عرضاً لزواج ابنته باهاوانى عن طريق صديقه الوفى هارياد بارامو بيلاي . كان العريس المرتقب من ضواحي كويلون . كانت له وظيفة حسنة .

كان اسمه ن . باراسواران بيلاي ولكنهم كانوا يسمونه ن . ب بيلاي . وكان رجلاً ممتازاً فى صفاته وكان مستقيماً . كان لبيلاي شقيقة - ياسودا - حسنة المظهر وان لم تكن فى صحة جيدة .

وكان التفاهم قد تم على أن يتزوجها جوفيندان أكبر أنجال سانكوما مان وذهب سانكوما مان لزيارة العائلة . وكان راضياً عن العائلة وعن الاتفاق ، وتوافقت طوالح الزوجين ، وأعطى سانكوما مان كلمته بالموافقة .

ولما عاد الى منزله حدث شئ فى بيت الليكال . شئ لم يحدث مثيله من قبل . لم يكن فى الحقيقة شيئا مهما . فلقد استمر دقيقة واحدة . كان الذى حدث فى ذلك اليوم أن سانكوما مان فقد السيطرة على أعصابه وأغمى عليه . وكان سبب ذلك أن قرارا من سانكوما مان قد أصبح محل جدل فى ذلك البيت لأول مرة . لقد استغرق الأمر كله دقيقة واحدة أنعشت سانكوما مان بعدها بضع قطرات من الماء ثم أصبح كل شئ على ما يرام .

ما حدث كان الآتى : لقد عاد سانكوما مان من منزل بيلاي متحمسا وسعيدا وكان يصف كل شئ لزوجته عندما قالت عرضا « جوفيندان يقول انه لا يريد الزواج الآن » .

فهب سانكوما مان ثائرا : « من فال ذلك ؟ » .

وفى اللحظة التالية كان سانكوما مان مغشيا عليه . وعندما أفاق كان جوفيندان قد وافق على الزواج .

بعد ذلك لم تكن هناك أى متاعب . كانت شقيقة بيلاي — ياسودا — لا تزال طالبة . وافق أهلها على أن يتم زواجها بعد الانتهاء من امتحاناتها .

وكان يجب على ن . ت . بيلاي أن يذهب الى كالكوتا للتدريب لمدة ستة أشهر ، وهكذا قرروا أن يتم زواج باهاوانى بدون تأخير . وهكذا تزوج باهاوانى وبيلاي وكان زواجا موقعا وسعيدا .

عاد بيلاي من كالكوتا بعد انتهاء فترة تدريبه . وانتهت امتحانات ياسودا . ولكن ذلك الشهر كان شهرا سيئا . كان شهرا لا يبشر بالخير بالنسبة لزواج يتم فيه ، ثم ان جوفيندان أصيب فجأة بالتيفود . وهكذا مرت ثلاثة شهور أخرى . وحينئذ كانت الرياح الموسمية « المنسون » قد بدأت . وهكذا تأجل زواج جوفيندان وياسودا مرة بعد مرة . وأبدى بيلاي خيبة أمله مرة أو مرتين لهذا التأجيل . وفى هذه الحالات كان سانكوما مان يقول :

« انه ابنى ، وسأرى أن يتم الأمر » .

كانت باهاوانى الآن حاملا .

وكان الخبر التالى الذى سمع بعد ذلك خبرا مروعا . فلقد تورط جوفيندان فى مسألة غرامية فى اترافاندرم . وأصبحت الفتاة حاملا . واضطر جوفيندان للزواج منها . وكان زواجا مدنيا . ليس هذا كل شئ . لقد سمع أشيع أن جوفيندان لم تكن لديه أبدا نية الزواج من ياسودا . وقال أنها مريضة بالدرن . وبعد ذلك لم يعد بيلاي الى الليكال مطلقا ولم ير باهاوانى

ثانية . رزقت باهاواني بسلام . أطلق عليه اسم كريشنان كوتى . لم ير بيلاي وليده . ولم يسأل حتى اذا كانت زوجته فى حاجة لأى شئ طوال هذا الوقت وبعد فترة وجيزة أرسلته الشركة التى يعمل بها الى إنجلترا والمانيا لمدة عامين للتدريب . وأجاد فى عمله وقدمت له الشركة ترقية . نعم . الآن كان بيلاي يتقاضى ٢٢٥٠ روبية شهريا . لقد تحطمت أحلام سانكومامان المسكين ورأى اسواد مستقبل ابنته المحبوبة ، وفقد وجه سانكومامان بريقه وسرعان ما خططته التجاعيد ، وظهرت عليه سمات الهرم .

لم يعد هناك مرح فى ذلك البيت الآن . كان البيت صامتا وحزيناً لكن سانكومامان كان قد عزم على أمر : هو أنه يجب ألا تكون ابنته فى عوز أو حاجة ، ويجب ألا تقاسى وألا يؤذيها أحد . أراد أن يشب الصبى ليصبح ذا شأن ، ولكنه أدرك أنه أصبح هرما ، وأن أيامه قد قاربت نهايتها . وبدت النهاية تظهر فى الأفق أقرب وأقرب ، وكان قلقا . كان يخشى أن يموت قبل أن يكبر كريشنان كوتى ويصبح قادرا على رعاية والدته . أراد سانكومامان أن يعيش ليرى ذلك اليوم .

حاول سانكومامان جهده أن يقدم الترضية اللازمة ويسوى الأمور . لكن بيلاي كان صلبا لا يلين .

ومرت الأيام . ولفترة بعد زواجه . لم ير جوفيندان ووالده أحدهما الآخر ، فلقد أقسم الوالد العجوز ألا يرى ابنه بعد ذلك . لكن الأم كانت مشوقة لرؤية حفيدها . وكان هذا شيئا طبيعيا . وبغض النظر عن أى رحم وحب الحياة فإن الطفل كان ابن ابنها . لقد اشتاقت لرؤية الصبى . وكانت باهاواني أيضا تتشوق لرؤية الصبى . ولم يكن سانكومامان ليرفض لها طلبا ، وهكذا أحضر جوفيندان ذات يوم زوجته وولده الى اللىكال .

كان الابن صبيا ذكيا . وكانت الزوجة أيضا فتاة مهيبة فهكذا كانت فكرة والدته جوفيندان عنها وشعر سانكومامان نفسه بشئ من هذا القبيل . وقال سانكومامان بدون وعى « هكذا القدر . لابد أنه كان مدينا لها فى حياته السابقة ، والآن فإنه يسدد دينه » .

وهكذا انتهى سوء التفاهم وتصالح سانكومامان مع ابنه .

ومرت الأيام . كان لجوفيندان الآن ثلاثة أطفال . وزادت متاعبه ومسئوليته . ولم يستطع أن يوفق بين دخله ونفقاته فى حدود مرتبه . ولم يستطع بالطبع أن يدخر شيئا .

رفض يوم من الأيام خطر لزوجته خاطر « اذا كان هناك أى شيء اك  
تستحقه من عائلتك فانه سيكون عزاء لك إن تعرف مقداره » . ووافق  
جوفيندان على أن الأمر كذلك . ولكن بأى حق يستطيع أن يسأل أباه عن  
ذلك ؟ » .

لقد كان كل شيء فى المنزل ملك أبيه وملك أبيه وحده . أكان له الحق فى  
السؤال ؟ كان سيرضى مسرورا بأى شيء يعرض عليه أو يعطى له . وكان  
هذا هو كل شيء .

قالت زوجة جوفيندان « ليس من الضروري أن تطلب شيئا أو يقدم لنا  
أى شيء . دع كل شيء يبقى مع والدك ووالدتك طالما بقيا على قيد الحياة .  
ولكنهما ربما يرغبان فى أن يقررا ارتبا منهما » . وقال جوفيندان الذى  
لم يكن قد فكر جديا فى كل هذا : « ماذا هناك ليقرانه ؟ سنرتب ثلاث كل  
ما هو موجود » .

وعبت زوجة جوفيندان قائلة : « هذا ما تعتقده أنت . فقط انتظر  
وسترى من يأخذ ماذا ؟ » سيذهب كل شيء لاختك وابنها . وسيقرر أبوك  
ذلك كتابة » . ولاحظت التغيير الذى كان على وجه زوجها وأكملت .

« ولو أنه يتشم ويتلاطف معى ، فان والدك لا يحبني . لن يترك شيئا  
لنا لأنه يعلم أنني سأستفيد به أيضا » .

لم يوافق جوفيندان على هذا الرأى . لكنه لم يستطع أن يتجاهل كلية  
نقاش زوجته هذا .

ناقش ذلك الموضوع مع أخيه الأصغر - المحامى - . اذا كان لدى  
والديهما رغبة فى ترك أى شيء لهما فليفصح عن ذلك بوضوح . كان هذا  
رأى المحامى أيضا ، وكان يشعر كذلك أن سائكوما مان قد يترك كل شيء  
لباهوانى .

وقرر الشقيقان أنهما يجب أن يفعلا شيئا لباهوانى وأرسلا فى طلب  
باراموبيلاي الذى رتب زواجها - أرادا منه أن يذهب ويقابل زوج باهوانى -  
وعند عودته كانا سيقرران القسمة والارث . بعد أن رتبنا كل شيء حصل  
جوفيندان على إجازة بضعة أيام ووصل الى الليكال مع عائلته وحضر المحامى  
أيضا . وانتظر الجميع عودة بارامو بيلاي الذى ذهب لمقابلة زوج باهوانى .

وصل باراموبيلاي بعد بضعة أيام . رآه سائكوما مان وهو قادم . مرع  
للباب وتاداه قائلا : « ماذا حدث يا ياراموبيلاي ؟ أهناك أمل أن يرق قلب  
زوج ابنتى ؟ » .



لم يبد على وجه باراموبيلاي الكثير من التفاؤل وقال :

« لقد سافرت فقط ألف ميل ثم ألف ميل أخرى • ألفى ميل ، دعونى اجلس • سأقص عليكم كل شيء » •

شعر سانكوما مان بالاغماء • وضرب على صدره وكرره « يا الهى يا الهى ! »  
لم يكن لديه أحد آخر يطلب منه المعونة •

وانتظرت باهاوانى اما عند باب المنزل متلهفة • وكان كريشنان كوتى يمسك بساريها • وتنهدت بهاوانى أما تنهيدة طويلة وجففت عينيها بطرف ساريها ، ثم دلفت الى الداخل وابنها خلفها • سمعت سانكوما مان يقول ثانية « يا الهى يا الهى ! » وقلبه ملىء بالكرب • وعند عتبة الباب كان جوفيندان وأخوه •

كان باراموبيلاي يستريح بعد رحلته الطويلة • • وبين الباب والنافذة على مدخل البيت وقفت زوجة جوفيندان وزوجة المحامي تحترقان شوقا لسماع الأخبار • جلست زوجة سانكوما مان على مقعد خشبي • كان سانكوما مان يروح ويحيى فى فناء المنزل وهو يضرب على صدره ويعيد « يا الهى يا الهى ! »

شرب بارامو بيلاي قدح قهوته وقال :

« لم أستطع حتى رؤية الرجل لمدة يومين • انه رجل كبير هناك • لا يستطيع المرء أن يدخل فى عجلة من أمره وتفتح عليه الباب ، كان يجب أن أحصل على تقديم وعلى توصية لكى أراه • ان شركة ر.د.س • • • • • حسنا • • • انها تستحق أن تراها • وبدا كأن باراموبيلاي سيستمر فى وصف الشركة للأبد • كان جوفيندان قد نفذ صبره فسأله :

« وماذا قال ذلك الرجل الكبير الذى ينتمى لتلك الشركة الكبيرة ؟ »  
وبقى بارامو بيلاي صامتا للحظة كمن يبحث عن أقرب السبل لانهاء الموضوع.  
كله ، ثم قال :

« لقد قال أن والدته لا تستسيغ استمرار تلك الصلة » •

وخرج كريشنان كوتى الى عتبة الباب ، واتخذ موقفه بجانب جدته • واستطرد بارامو بيلاي « انه يجادل انه ليس الملولم على كل هذا • فان شقيقته ما زالت بدون زواج ، غارقة فى دموعها طوال الوقت • لقد صارت أسى أزليا فى خيانتهم • لقد تزوج بيلاي باهاوانى على اتفاق أن تحصل ياسودا أيضا على زوج » •

وقاطعه جوفيندان قائلا « لقد أرادوا ابتلاء شخص ما بمريضة بالدرن .  
لهذا فانها بقيت على هذا الوضع . من سيتزوج كومة عظام ؟ » وكان المرء  
يستطيع أن يسمع صوت سانكوما مان الذي يمزق الفؤاد وهو يقول :  
« يا الهى . . . يا الهى » ويرفع صوته كمن يريد لصوته أن يصل  
الى الله فى سمائه . انسحبت زوجة جوفيندان من الباب .

وقالت زوجة سانكوما مان : « ان قلب الرجل المسكين يتمزق » .  
بقى جوفيندان صامتا .

وقال المحامى « لو أن تلك المرأة العجوز - أم بيلاي - ماتت ، فهل  
سيتصرف بنزاهة ؟ » .

كان سؤالاً عويصاً . لم يقل بيلاي أنه سيستعيد زوجه وولده بعد  
« وفاة والدته » . لكن بيلامو بيلاي اشتم شيئا فعلا . وأوضح ذلك بصراحة  
بقوله :

« لقد قال بيلاي فعلا أن والدته هى العقبة . يجب أن تقرأ المعنى  
بأنفسنا من خلال ذلك القول . ولعلنى لا أملك الحق أن أقول كل هذا »  
« وقال المحامى » حتى لو كان أخى قد تزوج تلك المسلولة ، فانه كان سيتصرف  
بنفس الطريقة ، فلنترك هذه المسألة . لا حاجة له أن يأخذ زوجه وابنه  
حتى تموت أمه . ولكن ماذا عن الطفل ؟ هل قال ذلك الوحش . أى شيء  
عنه ؟ » .

وضحك بيلامو بيلاي وقال : « انظروا الى حظى التعس ، ان بيلاي  
يتكلم عنكم بنفس النغمة - نعم وحسن وكل شيء - يجب أن أسمع كل  
ذلك وكل هذا أيضا . لقد نظر الى وجهى « وقال لى اننى كاذب ومدبر للمكائد » .

وأجاب المحامى : « لهذا قلت أننا نستطيع أن نفكر فى مشكلة باهاوانى  
« فيما بعد . لقد أرادوا تدمير حياة أخى بفرض مسسلولة عليه . ليكن ذلك  
ماذا يقول عن الطفل ؟ » .

ولم يكن لدى باراموبيلاي شك فى هذه النقطة . وكان لابد أن يقول شيئا  
« انهم مستعدون لتربية الطفل ان تركتموهم يفعلون ذلك . لقد قال لى أن  
والدته مصممة على أن يؤخذ الطفل اليهم » . وكان صوت سانكوما مان الذي  
كان فى الحديقة ما زال يسمع وهو يردد ابتهاله لربه - نارايانا . . . نارايانا -  
ملأذه الوحيد .

وسادت لحظة صمت لم يتكلم فيها أحد .

ثم سألت زوجة سانكوما مان :

« دعنى أسألك شيئا يا رامو بيلاي ، هل بدا أنه مغرم بباهاوانى ؟ ، لم يكن باراموبيلاى متأكدا من ذلك . لقد شرح أحزان باهاوانى ببعض التفصيل . ولكن لم يبد أن ذلك مس شفاف قلب بيلاي زوج باهاوانى . »

وقال باراموبيلاى « لم يقل أى سوء عن باهاوانى . لم يتكلم الجميع بسوء عنها . ومن ذلك يستطيع المرء أن يستشف أنه لا يحس نحوها بأى شعور سىء . وقالت الأم وهى تشعر ببعض الاطمئنان « ان فى هذا بعض العزاء » . »

وتساءل المحامى « أى عزاء فى هذا يا أمى ؟ » .

وقالت الأم « على الأقل أنه لا يلوم باهاوانى المسكينة . كان باستطاعته اختراع كل ما يخطر بباله . ولو بدا فى اتباع هذا الطريق ، فماذا بإمكاننا أن نفعل ؟ » .

وقال المحامى « يا له من إحش بلا قلب . ان موضعه جهنم » . كان شعاع ضئيل من الأمل قد تسرب الى قلب الأم ، وكان ضوءه الرقيق . الخافت قد بدا يسرى وينتشر ببطء وقالت :

« كيف يرفض الله دموع باهاوانى وابتهالات أببك ؟ ان قلبه سيتغير يوما ما » .

لم يكن المحامى يثق فى ذلك . والتفت الى أخيه قائلا :

« لماذا لا تقيم عليه دعوة نفقة باهاوانى وطفلها ؟ ان مرتبه يزيد عن الفى روبية فى الشهر . يجب أن تأخذ سبعمائة على الأقل فى الشهر » . ووافق جوفيندان ناير قائلا : « وبذلك نعطيه درسا » .

ومن داخل المنزل جاء الجواب . وكان صوت باهاوانى .

« لا أرغب فى تلك النقود . ولئن أكون طرفا فى تلك الدعوى » . كانت نبرات باهاوانى واضحة وحاسمة . لم تكن لتذهب الى المحكمة تحت أى ظرف ، وألجمت كلماتها ألسنتهما . وشعرت الأم أنهما قد يفقدان السيطرة على شعورهما . كان موقفا متفجرا . وكانت شرارة صغيرة كافية لتفجيره فى أية لحظة . »

قالت الأم الباراموبيلاي : « خذ حمامك وبعض الطعام • تستطيع أن تقول لنا الباقي فيما بعد » • وتوجه باراموبيلاي ليأخذ حمامه • ودخل جوفيندان المنزل • وتساءلت زوجة جوفيندان :

« ألاحظت تصرف أختك ؟ ونبرات صوتها ؟ لا يستطيع المرء ، أن يتخيل أنها تتكلم مع أخويها الأكبر منها بهذه اللهجة • لا تواضع • لا تحفظ • لا أخلاق • لعلّي أكون قد احتلت على رجل لأنزوجه • فلنسلم بهذا • وهكذا قاننى امرأة غير سوية • ولكننى لا أتكلم اطلاقا مع أخوى بهذه الطريقة المتعالية • وراقبت وجه زوجها وأكملت •

« أن تقول أنها لا تريد السبعمائة روبية فى الشهر - أى وقاحة هذه ، ان سميح ذلك أنها سترث كل التركة بأكملها ، والا لما تكلمت بهذه الطريقة • لماذا لا تقول شيئا ؟ هل فقدت لسانك نتيجة لاستماعك لأختك ؟ » ولم تكف واستمرت •

« أتعرف جوابا لمثل هذا الغرور ؟ سأقول لك يجب أن نطالب بنصيبنا فى المال الى التلث فسيتبدد غرورها » •

كان كل هذا يجرى فى غرفة • فى نفس المنزل كانت هناك غرفة أخرى • كانت عالما قائما بذاته • كانت هناك امرأة صامتة معذبة تعيش على دموعها • لم يرها أحد تضحك • لقد أمحي الضحك من على وجهها الى الأبد • كانت تلك الغرفة وذلك العالم ينتميان لشخصين ، أم وولدها - • لقد نصبوا لها فى تلك الدنيا الخاصة الصغيرة ، ولكن ذلك الاله لم يكن يتجاوب مع دعوات قلبها • وبالرغم من ذلك فانها لم تكن تلوم أحدا •

واستلقى كريشنان كوني على ظهره واضعا رأسه على حجر أمه وسألها :  
« أمه - هل لى أن أسألك شيئا ؟ »

« ماذا تريد أن تعرف يا ولدى ؟ » •

« هل ستوافقين ؟ » •

« كل ما فى امكانيات أمك المسكينة هو ملكك يا ولدى » •

وبعد لحظة صمت قال :

« هل لى أن أذهب للبقاء عند والدته أبى ؟ » •

وجرت الدموع على وجنتى باهاوانى •

« لماذا تبكين يا أمه ؟ » •

ومسح دموعها بيديه الصغيرتين • وقالت باهاوانى بصوت مرتجف :

« فى هذه الحالة ستموت أمك » •

وبدون لحظة تردد جاء جوابه :

« لن أذهب الى أى مكان • سأبقى دائما معك » •

وجذبتة الأم ناحيتها وقبلته •

أعطت باهاوانى كريشنان كوتى حماما ومشطت له شعره وألبسته أجمل قميص وسروال •

قبلته •• قبلة مليئة بالدموع وباركته وكانت تتأهب لإرساله بعيدا بصلاة فى قلبها •• الى أين ؟ •• الى والده •

علمت باهاوانى أن زوجها لا يحمل لها ضغينة • قال باراموبيلاي انها لا حاجة لها فى التفكير بالعودة اليه طالما بقيت أمه على قيد الحياة •

والآن ، قد توفيت الأم ، فقد عاود باهاوانى الأمل فى مستقبلها • كانت تبعث بمندوب الله الصغير لزوجها • لم يكن الوالد قد رأى ابنه قط • كان لحمه ودمه • وربما تمتلئ عيناه بالدموع عندما يرى ابنه • قد ينسى كل شيء ، ويضمه الى قلبه • كل هذه العوائق من صنع البشر • مشاكل يخلقها المرء فى ركب الحياة ولا تأبه الطبيعة لها • ان قانون الطبيعة أن يحب الوالد ولده • كل هذه الأيام التى لم يمنح الحب فيها فرصته ليظهر نفسه كانت لأنه لم ير أحدهما الآخر • عندما يتقابلان اليوم سيغير كل شيء • ولعله من الممكن أن يعود كريشنان كوتى مع والده للمنزل • لابد أن يحضر • انه فرض عليه أن يحضر • هكذا كان حلم اليقظة عند باهاوانى • المهم هو الرباط بين الأب والابن • هذا هو أملها وأمنها • سيعود زوجها والدموع تترقرق فى عينيه ويمد يديه اليها ويضمها الى قلبه • هذا هو السلام الدائم الذى كانت تحلم به •

أخذ سانكوما مان حفيده من ذراعه وخرج من المنزل • وهو يردد « نارايانا » على شفثيه • كان لهذا الرجل الكهل ثقة عمياء فى الهة « نارايانا » • كان متأكدا أن غضب الوالد سيختفى حال رؤيته لولده •

ولكن ماذا كان يجرى داخل رأس كريشنان كوتى الصغير • قطعاً لم يكن يفكر فى روابط الحب الأبوى ، ولا كان يفكر فى عودة أمه لأبيه • كان ذاهبا ليرى أباه الذى لم يكن قد رأى منه الى الآن الا صورته • سيدلله أبوه كما يدلل خاله أولاده • كان يتوق الى حنان أبيه • كان هذا مدار تفكيره • كان كريشنان كوتى قد لاحظ من بعيد خاله وهو يحتضن ابنه يسأله هذا وذاك ويضحك

لأجاباته الصبيانية وأخيرا يقبله وأيضا تكون زوجة خاله بالقرب منهما . واليوم  
فإن والده سيحتضنه كما يفعل خاله مع ابنه وسيسأله أيضا عن هذا وذاك ،  
وسيحب بلا خجل وسيقبله أبوه . وكما سيكون بديعا لو أن أمه كانت معهما  
أيضا . وعند عودته سيقول لرامو انه رأى والده .

علم سانكوما مان من الصحف نبأ وفاة والدته بيلاي . وعلم أن بيلاي عاد  
إلى المنزل بسبب ذلك .

كان جوفيندان والمحامي معارضين لتوجه سانكوما مان لرؤية بيلاي . لكن  
سانكوما مان كان ذاهبا وحفيده في يده لأنه كان يعتقد أن الآلهة قد استجابت  
أخيرا لصلواته .

كان سانكوما مان قد ذهب إلى منزل بيلاي مرتين فقط . وكانت هذه  
هي المرة الثالثة التي يذهب إليه . أشار سانكوما مان لكريشنان كوتي على  
المنزل من بعد . كان منزلا كبيرا جميلا مزينا بالقرميد .

كان هناك شخص يرتدى قميصا وسروالا يدخن سيجارة ، وكان يقف  
تحت قبو مدخل المنزل . وتساءل كريشنان كوتي أهذا أباه ؟ لم تكن صورته  
هكذا . رأى الرجل سانكوما مان وكريشنان كوتي يدخلان المنزل . لم يبد على  
وجهه أنه تعرف عليهما بل لم يظهر على وجهه أى تغيير البتة . ونادى  
سانكوما مان الهة نارايانا من أعماق قلبه . ووقف فى ساحة المنزل ممسكا  
بكريشنان كوتي لا يعلم ماذا يفعل . لم يف أحد بكلمه ، لم يكن هناك وجه  
مألوف حوله . وهكذا بقيا قلقين لبرهة . كان بعض الأشخاص ينظرون ناحيهما  
من بعيد ، ويتحدثن همسا . ومن الجانب الشمالى اختلست سيدتان أو ثلاث  
النظر إليهما . ظن سانكوما مان أنهن يتكلمن عن الصبي ، استدار نحوهن  
وقال :

« نعم . . . هذا هو الصبي » .

يجوز أن يكون بيلاي قد سمع هذا القول . كان يذرع الشرفة جيئـ .  
ودهاها . لكنه لم يبد عليه أى ارتباك . استمر يدخن سيجارة بعد سيجارة

اقرب أحد الرجال منهما وأخذ بيد كريشنان كوتي بحنان قائلا :

« هيا يا ولدى . دع باشوسار يعطيك قبله . ان باشوسار هو الذى أنجبـ .

أباك »

لم يترك كريشنان كوتى يد جده .

اقتربت منهما سيده عجوز . نادى عليه أيضا ، لكن الصبي لم يذهب معها وتساءل باشوسار عما اذا كان بيلاي قد تعرف على ابنه وسمح لنفسه أن يخاطبه قائلا :

« هذا هو الولد »

وبدا على باشوسار أن لديه مزيدا من القول .

وقال بيلاي فى اقتضاب : « هكدا ! »

نادى سانكومامان ثانية ملاذه الوحيد « نارايانا » وتساءل :

« ما الخطأ الذى اقترفه الصبي ؟ »

وأجاب بيلاي « أنا لا أفكر فى ذلك » .

وقال سانكومامان مناشدا بيلاي « هذا الصبي من دمك ولحمك ، ألا تشعر نحوه بأى شئ ؟ »

وصمت بيلاي بعض الوقت قبل أن يجيب قائلا :

« ان الحب والكراهية يولدان من الالتصاق الحميم . انهما لا يزدهران تلقائيا ، »

لم يستطع سانكومامان أن يفهم ذلك . واستمر بيلاي فى حديثه قائلا :  
« دعنى أكون صريحا . لا حاجة بك أن تكون واقعا تحت أى سوء فهم . انكم أيها الناس غير سويين وأنانيون ومخادعون ، وأنا لا أريد أن يكون لى أية صلة بكم . »

وتضرع سانكومامان قائلا :

« لا تتكلم هكدا . أى ذنب جنته ابنتى المسكينة . أى خداع ، وأى شرار نصبت لك ؟ »

لم يكن لدى بيلاي جواب صريح على هذا السؤال . ولكنه بدا عليه شئ من الاضطراب ، ثم قال :

« حسنا . اذهب وانظر داخل تلك الغرفة . انظر الى شقيقتى . اهد قلمم للجميع انها مصابة بالدرن . انها لم تمت بعد . اذهب وانظر اليها . ثم »

نكلم معى بعد ذلك عن ابنتك • ما دامت أمى على قيد الحياة كان هناك من يتولاها برعايته فمن سيتولى هذه المهمة الآن ؟ انها لم تترك فراشها منذ وفاة والدتها • ولم تتناول حتى جرعة ماء • لقد أقسمت أن تجوع حتى الموت • لم يبق لها شىء لتعيش من أجله • دعها تموت • اذهب وأنظر » •

وبعد برهة سأل بيلاي :

« لماذا لا تذهب وترى بنفسك ؟ ليس لديك الشجاعة أن تفعل ذلك • أنا أعلم أنه ليس لديك الشجاعة لذلك » •

لم يكن لدى سانكوما مان شيئاً يقوله • كانت شكوى بيلاي صادقة • وكان الدور على سانكوما مان ليتكلم •

ومرت بضع دقائق • وقال كريشنان كوتى الذى كان ممسكا بشدة بيد حده « فلنذهب يا أبى • لنذهب لمنزلنا » •

كان لزاما على سانكوما مان أن يخطر بيلاي بشىء آخر ، فلقد أراد أن يعرف شيئاً واحداً آخر من بيلاي • وقال سانكوما مان :

« استمع الى ياولدى • أرجوك • اننى أريد أن أربى هذا الطفل وأجعل منه شيئاً • أنا واثق أنك كذلك ستريد ذلك • لن أعيش حتى أرى هذا اليوم • ان والدته فتاة بسيطة جدا • انها لا تعرف شيئاً ، ولا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة • ليس للصبي أى شخص سوى أمه وأنا ، وأنت بالطبع • لهذا يجب عليك رعايته • يجب عليك أن تتولى تربيته ورعايته وتعليمه وأن تجعل منه شيئاً » •

كانت هذه آخر رغبة لسانكوما مان • لم يكن لديه الآن أمل فى عودة ابنته لزوجها • ولا أى احتمال فى قضاء بضعة أيام معهم • وانتظر سانكوما مان جواباً •

وهز بيلاي رأسه وقال « لا • ان الزمان والفرصة لكل هذا قد فات أو انهما لو كان عندى من فترة مضت لاستطعت أن أرحاه • لقد كانت أمى متلهفة على رعايته ، وكان يمكننى أن أعهد به لأمى ، ولكننى لا أستطيع تحمل تلك المسؤولية الآن ، فكيف سأستطيع أن أرحاه » • وبعد برهة استطرد بيلاي :

« سوف أرتب موضوع النقود لمصروفاته وتعليمه • اذكر الرقم الذى تريده • ولكننى لا أستطيع تحمل هذه المسؤولية » •

واحمر وجه سانكوما مان المتعب العجوز وتصاعدت كبرياؤه ، وقال بحزم لم يبدء من قبل :



« لا • لا ضرورة لذلك • لقد ربحنا ما يكفي لتنشئته وتعليمه ، ولا احتاج  
لفلسي منك لهذا • »

ونفض سائكومامان ثم قال لكريشنان كوتى :

« ضم يديك وأنحنى لأبيك »

وتردد كريشنان كوتى • فأعاد سائكومامان كلماته بحزم :

ثبت كريشنان كوتى عينيه على والده وأنحنى ويدها مضمومتان •

وتسأل سائكومامان « اتسمح لنا بالانصراف الآن • »

لم يقل بيلاى شيئا •

وانتشر خبر زيارة ابن بيلاى لأبيه ، وحينئذ كان خدم المنزل والجيران قد  
تجمعوا هناك ، ورأوا الكهل والصبي وهما يرحلان •

أمسكت السيدات دموعهن بصعوبة وكذلك لم يستطع باشوسار مغالبة  
دموعه •

لما رأت باهاوانى سائكومامان وابنها عائدين وضع لها كل شيء لكن كان  
هناك شيء فى وجه الرجل العجوز فقد ظهر عليه تصميم جديد وهدوء جديد •  
لم يعد ينادى «ناريانا» كان قد فصل الآن الغلال عن القش • لقد سوى كل  
شيء ، ولم يعد هناك ما يتوقعونه •

وحالما دلف الى المنزل قال لابنته :

باهاوانى عليك بتنشئته جيدا • علميه • علميه الى أقصى حد يستطيع  
البلوغ اليه ، وسأتكفل بذلك مهما كانت النفقات • »

ثم التفت الى حفيده قائلا :

« هل ستذاكر جيدا وتكبر لتصير رجلا مهما يوما ما ؟ »

وجاءه الجواب مباشرة « سأفعل يا أبتاه »

حاولت زوجة سائكومامان جاهدة معرفة كل ما حدث فى منزل بيلاى من  
زوجها • لكن سائكومامان لم يفه ببنت شفه •

وبدا على كريشنان كوتى - الذى كان واقفا قرب أمه - أنه تغير قليلا •  
سأله باهاوانى :

« هل استندعاك أبوك الى جانبه ؟ »

« لا يا أماء • انه لم يقل لى أى كلمة • أى نوع من الآباء هذا ؟ »  
 حاولت باهاوانى أن تخفف من اندفاعه قائلة : « لا تتكلم هكذا يا ولدى »  
 ولكن كريشنان كوتى تجاهل ذلك وقال :  
 « أنا لا أحبه • وسأخطر رامو أننى لا والد لى • »  
 أغرورقت عينا باهاوانى • وواساها ابنها قائلا :  
 « لا تبكى يا أماء • لن أتركك أبدا • سنبقى دائما معا • يجب عليك  
 ألا تبكى • »

ومضت سنون عدة • وفى محطة سكة حديد ارناكولام كان القطار السريع  
 القادم من كوستين الى مدراس على وشك الوصول وكان هناك رجل يرتدى  
 الملابس الغربية وقد تقدمت به السن يقف بالقرب من بعض الأمتعة وعليها بطاقة  
 « ن • ب • بيلاي • شركة آر • دى • سى ليمتد • بنجالور • » وفى التو  
 أحضر الحمال حقيبة وجوالا (هولداول) ووضعها بالقرب من متاع الرجل •  
 وعلى تلك الحقيبة كانت هناك بطاقة باسم « الليكال كريشنان كوتى ، قرية  
 تهاكازى » ووقع نظر السيد على الحقيبة وعلى الاسم المبين عليها •

وصل القطار فى عجلة • وكان الرصيف مزدحما • وفى غمرة الزحام  
 رأى بيلاي الشاب الذى تحمل حقيبته اسم « الليكال كريشنان كوتى » ووقعت  
 عينا كريشنان كوتى على الأمتعة التى تحمل اسم ن • ب • بيلاي واستدارت  
 عيناه لوجه بيلاي • تعرف كل منهما على شخصية الآخر • وصعد بيلاي الى  
 مقصورة فى الدرجة الأولى • وكريشنان كوتى الى مقصورة فى الدرجة الثانية •  
 وكان بيلاي متوجها لمدراس لحضور مؤتمر • وكان كريشنان كوتى ذاهبا لمدراس  
 لمقابلة بشأن الحصول على وظيفة • وأسرع القطار يحملهما الى مدراس لكى  
 يصل فى الوقت المناسب كى يحافظ كل منهما على مواعده • وفى محطة كويمباتور  
 نزل كريشنان كوتى من القطار وتمشى على الرصيف ليلقى نظرة على مقصورة  
 الدرجة الاولى • كان بيلاي نائما • وعند ملتقى خطوط أركونام نزل بيلاي  
 من القطار والقى نظرة على مقصورة الدرجة الثانية التى كان بها كريشنان كوتى •  
 لكن كريشنان كوتى كان منهمكا فى قراءة جريدة الصباح • كان القطار متأخرا  
 أكثر من ساعة عن مواعده وبدا كأنه سيتأخر نصف ساعة أخرى • استحوذ  
 القلق على بيلاي • قد يصل الى المحطة المركزية وقت ابتداء المؤتمر ، وكان  
 كريشنان كوتى قلقا أيضا بشأن الوصول فى الوقت المناسب للمقابلة • وكان  
 يرى أنه لن يكون من اللائق أن يمثل أمام هيئة الاختبار بمجرد وصول  
 القطار •

وصل القطار للمحطة المركزية متأخرا ساعة ونصفا تماما . ولم يكن  
القطار يقف حتى قفز كريشنان كوتى منه ومعه حقيبته وجواله ورآه بيلاي  
من مقصورته مندفعاً كأنما كان على موعد مع القدر .

وخارج المحطة اضطر كريشنان كوتى أن يقف فى الصف انتظارا لسيارة  
أجرة وبينما هو فى الانتظار رأى بيلاي فى عربته الخاصة متجها لمؤتمره ، وفى  
التو وصلت سيارته الأجرة وقفز اليها فى طريقه الى مقابلته .



## كوشوانت سينج

كوشوانت سينج ، روائي وكاتب، قصة قصيرة ، ومؤرخ ومترجم . وُلد عام ١٩١٥ في هادالي بولاية بنجاب . وكان أبوه سير صوبحا سينج ، أحد مؤسسي مدينة نيودلهي .

تلقى كوشوانت سينج تعليمه في دلهي وحصل على بكالوريوس القانون في جامعة لندن ، وشهادة المرافعة في المحاكم من «الايترتمبل» (\*) وعمل لفترة قصيرة كمستئول عن العلاقات العامة للجنة الهندية العليا في لندن وحاضر عن طائفة السيخ في جامعة برينستون في أمريكا .

ظهرت أول مجموعة قصص لكوشوانت سينج « علامة فيشنو » في لندن عام ١٩٥٠ ولاقت نجاحا فوريا . تتضمن كتبه التالية روايتين طويلتين «القطار الى باكستان» عام ١٩٥٥ « ولن أسمع العندليب » عام ١٩٥٨ . كما كتب أيضا كتابا عن « تاريخ السيخ » .

وكان يعجب بسيريل كونلي ، والدوس هكسلي ، وشاعري لغة الاوردو غالب واقبال :

وقصصه قوية ، نابضة بالحياة وواقعية وخالية من العبارات المستهلكة . وسواء كان يكتب عن فلاح من البنجاب أو قاض في المحكمة العليا ، أو خادم عند عائلة فانه صادق وصريح بلا رحمة ، ولم يكن قط مملا . ورأيه عن مستقبل الكتابة الهندية بالمثل يقف عند منتصف الحلول ، فيقول « ان الجيل الحاضر من الكتاب لا يتواضعون ، مع أنهم لا يملكون شيئا يبرر عدم التواضع ، انني لا أنتظر منهم أن ينتجوا شيئا ذا قيمة » ويكتب كوشوانت بالانجليزية . ويعيش في نيودلهي .

Inner Temple . هو ناد ينتمي اليه الطلبة الذين يريدون الحصول على شهادة تؤهلهم للمرافعة أمام المحاكم ، ففي إنجلترا لا تكفي بكالوريوس القانون لذلك . ولابد لهم أن ينتموا الى ناد من النوادي الأربعة Temples ، وأن يحضروا حدا أدنى من الندوات ووجبات العشاء في ناديهم ، يختلطون فيها بالقضاء وكبار المحامين قبل أن يصرح لهم بالمرافعة أمام المحاكم . وهو تقليد قديم في إنجلترا - بلد التقاليد لا يزال ساريا الى اليوم . المراجع



## كارما

### كارما

نظر سير موهان لال الى صورته فى المرأة فى استراحة الدرجة الأولى فى محطة السكة الحديد • كان من الواضح أن المرأة صناعة هندية • فقد زال الأكسيد الأحمر الذى يغطى ظهر المرأة فى مواضع عدة وظهر فى وجهها خطوط طويلة من زجاج نصف شفاف • ابتسم سير موهان للمرأة ابتسامة شفقة ورعاية متعالية الى شىء وضيع وتمتم :

« انك تشبهين تماما كل شىء آخر فى هذا البلد ، عاجزة قدرة غير مبالية » •

ابتسمت المرأة بدورها لسير موهان وقالت :

« أنت لا بأس بك أيها العزيز العجوز • أنت مهذب • مقتدر ، بل وسيم أيضا • هذا الشارب المشذب بعناية وهذه الحلة من تستفيل والقرنفلة فى عروة الصدر وشذا ماء الكولونيا ومسحوق التلك والصابون المعطر تفوح منك ، نعم يا عزيزى العجوز أنت لا بأس بك » •

أبرز سير موهان صدره وعدل من ربطة عنق كلية « بالبول » للمرة المائة ولوح مودعا للمرأة •

ألقى نظرة سريعة على ساعته وقال لنفسه ما زال هناك وقت لشراب سريع •

« أيها الخادم » •

وجاء الخادم يرتدى كسوة بيضاء ، ووقف أمام الباب المغطى بشبكة من السلك ، وقال سير موهان •

« ويسكى » وغرق فى مقعد كبير من الخيزران ليشرّب ويجتر ذكرياته .  
 وخارج غرفه الانتظار كان متاع سير موهان مكوما الى جانب الحائط . وعلى  
 صندوق حديدى رمادى صغير جلست لا شيمى - وهى لىدى موهان لال -  
 تمضع ورقة من نبات البيتلى المتسلق وتروح لنفسها بجريدة . كانت قصيرة  
 وسمينة وفى منتصف الأربعينات . وكانت ترتدى ساريا أبيض قدرا باطار  
 أحمر ، وعلى أحد جانبيه أنفها لمع ماس خاتم أنف ، وكان فى ذراعها كنير من  
 « الفواش » الذهبية . وكانت تتكلم مع الخادم حتى استدعاه سير موهان  
 للدخل ، وبمجرد انصرافه نادى على جمال كان مارا وسألته :

« أين يقف ديوان السيدات ؟ »

« فى نهاية الرصيف تماما » .

وسطح الجمال عمامته على رأسه لتصبح وسادة ورفع صندوق الملابس  
 الحديدى فوق رأسه وسار على الرصيف .

التقطت لىدى لال سلة غذائها النحاسية وسارت بخفة وراءه ، وفى  
 طريقها توقفت عند كشك البائع لتعيد ملء صندوق أوراق البيتلى الفضى ثم  
 لحقت بالجمال . جلست على صندوق الملابس الحديدى الذى أنزله الجمال  
 وابتدأت تحادثه :

« هل القطارات مزدحمة على هذه الخطوط ؟ »

« هذه الأيام كل القطارات مزدحمة ، ولكنك ستجدين مكانا فى مقصورة  
 السيدات » .

« اذن فلأنهى ازعاج الأكل » .

فتحت اللىدى لال الصندوق النحاسى وأخرجت حزمة من الخبز المضغوط  
 وبعض مخللات المانجو . وبينما كانت تأكل جلس الجمال فى مواجهتها على  
 عجزه يرسم خطوطا على الحصى بأصبعه .

« هل تسافرين وحدك يا أختاه ؟ »

« لا ، أنا مع سيدى ، يا أختى . انه فى غرفة الانتظار . انه يسافر  
 بالدرجة الأولى ، انه وزير ومحام كبير ، ويقابل العديد من الضباط والانجليز  
 فى القطارات ، وما أنا الا امرأة وطنية لا أستطيع أن أفهم الانجليزية ، ولا اعرف  
 طباعهم ولهذا ألزم ديوان السيدات » .

تسامرت لا شيمى بمرح . . كانت مغرمة بالشرثرة ولم يكن لديها من  
 تتكلم معه فى المنزل ، ولم يكن لدى زوجها أى وقت ليقضيه معها . كانت



تقطن في الدور العلوى من المنزل ويقطن هو بالدور الأرضى . لم يكن يحب تسكع أقربائها الفقراء الجهلة حول « الشمالية » الذى يسكنه وهكذا لم يحضروا أبدا . كان يأتى إليها مرة كل حين فى الليل ويبقى لدقائق معدودة . كان يأمرها بالهندستانية المطعمة بالانجليزية وكانت تطيع دون اعتراض . على أى حال لم تنجب تلك الزيارات الليلية ثمارا .

خففت الإشارة وأعلنت دقائق الجرس اقتراب القطار . أنهت لىسى لال وجبتها بسرعة ونهضت وهى لا تزال تلحق بذرة المانجو المخلل . صدر عنها تجشئة طويلة عالية وهى متجهة ناحية صنوبر المياه العام لتغسل فيها يديها . وبعد أن اغتسلت جففت فمها ويديها بنهاية السارى المنحل وعادت الى صندوقها الحديدى وهى تتجشأ وتحمد الهتها على نعمة تلك الأكلة المشبعة .

وصل القطار نافثا بخاره . وجدت لاشيمى نفسها تواجه مقصورة داخلية للسيدات تكاد تكون خالية ، وكانت تلى عربة الحراس فى نهاية القطار . وكان باقى القطار مزدحما . حشرت هيكلها المكتنز الضخم عبر الباب ووجدت مقعدا بالقرب من النافذة . أخرجت قطعة نقود من فئة الأناثين من عقدة فى ساريها وصرفت الحمال . ثم فتحت صندوق ورق البيتل وأعدت لنفسها ورقتين من ورق البيتل ملأتهما بعجين أبيض وأحمر من بندق البيتل ، وحب الهال ، وقذفت بهما الى فمها وانتفخت أوداجها من الجانبين . ثم أراحت ذقنها على يديها وجلست تنظر ببلاهة الى الجماهير المتلاطمة على الرصيف .

لم يؤثر وصول القطار على هدوء أعصاب سير موهان لال . فقد ظل فى مكانه يحتسى مشروبه ، وأمر الساعى بإخطاره حالما يضع حقائبه فى مقصورة فى الدرجة الأولى . أن الاضطراب ، واللغط ، والعجلة هى من أعراض سوء التربية ، ولا شك أن سير موهان كان ممتازا فى تربيته . كان يريد أن يتم كل شئ بمنتهى الدقة والنظام وفى خلال السنوات الخمس التى قضاها بالخارج تطبع سير موهان بطباع وعادات الطبقة العليا هناك . ونادرا ما تحدث باللغة الهندية ، ولما كان يتحدث بها ، كان ينطقها بلكنة الرجل الانجليزى . كان يقتصر على الكلمات الضرورية جدا ويحاكى فى نطقها اللكنة الانجليزية باتقان ، ولكنه كان مغرما بلغته الانجليزية التى صقلها وهذبها فى مكان لا يعلو عليه مكان آخر ، هو جامعة اكسفورد . وكان مغرما بالحوار ، وكانجليزى مثقف كان يستطيع أن يتحدث فى أى موضوع تقريبا ، الكتب السياسة ، الناس . وكم من المرات سمع من الانجليز أنفسهم أنه يتحدث الانجليزية كرجل انجليزى .

تسمى سير موهان لو يعرف اذا كان سيسافر بمفرده . كانت محطة عسكرية . وربما يكون بعض الضباط الانجليز بالقطار . وأحس قلبه بالدفع وهو يتطلع الى حديث ممتع . ولم يكن من عادته أن يبدى أى لهفة فى التحدث مع الانجليز . كما يفعل معظم الهنود . ولم يكن على الصوت ، أو مهاجما ، أو متعصبا لرأيه مثلهم . كان يسير فى أعماله بواقعية لا يفضحها أى تعبير على وجهه . خطط لنفسه أنه سيقبع فى ركنه قرب النافذة ويخرج نسخة من جريدة التايمس . وسيطويها بطريقة تبدي للآخرين اسمها وهو يحاول فك رموز الكلمات المتقاطعة . كانت التايمس دائما تلفت النظر . فقد يحلو لبعضهم أن يفترضها عندما يضعها جانبا بتعبير يدل على أنه انتهى منها . ربما يلاحظ أحدهم ربطة عنقه الخاصة بطلاب كلية باليول فى جامعة اكسفورد ، والتي كان يرتديها دائما أثناء سفره . كان ذلك يفتح الطريق الى تصور شامل لأرض الأحلام فى كليات جامعة اكسفورد ، الاساتذة ، والعمداء والمشرفون ، وسباق القوارب ، ومباريات كرة القدم ، واذا فشلت التايمس ورباط العنق ، فسيلجأ سير موهان لتعبير انجليزى معروف لينادى خادمه كى يخرج الويسكى من الحقيبة . وسيتبع ذلك صندوق سجائر سير موهان الذهبى الجميل وهو ملىء بالسجائر الانجليزية . سجائر انجليزية فى الهند ؟ كيف تسنى له بحق السماء أن يحصل عليها ؟ هل يسمح ؟ طبعاً انه يسمح ، وابتسامة سير موهان المتفاهمة تظهر أنه قطعاً يسمح . ولكن هل سيستطيع ان يستخدم الرجل الانجليزى كوسيط للاتصال الروحي بانجلترا العجوز العزيزة . ؟ هذه السنون الخمس من السراويل الواسعة والأرواب الرمادية وجاكتات الرياضة ( بليزر ) الزرقاء والزوجى المختلط ، والعشاء فى نوادى المحكمة ، والليالى مع عاهرات بيكاديللى . خمس سنين من حياة حافلة مزدحمة ، تفوق بكثير . الخمس والأربعين سنة فى الهند مع مواطنيه القديرين البديئين مع التفصيلات القذرة لطريق النجاح ، وزياراته البهيمية للدور العلوى والمضاجعة الجنسية الخاطفة القصيرة مع لا شيمى المترهلة العجوز التى تفوح منها رائحة العرق والبصل .

انقطعت أفكار سير موهان عندما أخطره الحمال بوضع حقائب السيد فى مقصورة الدرجة الأولى بعد القاطرة . سار سير موهان الى مقصورته بمشية مدروسة . وشعر بئأس ، حيث كانت المقصورة خالية . وجلس فى ركن وهو يتنهد ، وفتح نسخة التايمس التى كان قد قرأها مرارا من قبل .

نظر سير موهان خلال النافذة . الى الرصيف المزدهم . أضاء وجهه عندما رأى جنديين انجليزين يسيران وهما ينظران الى كل المقصورات بحثا عن مكان . كانا يعلقان ربطة فرشهما خلف ظهرهما ويسيران بدون ثبات . صمم سير موهان على الترحيب بهما مع أنهما لم يكن يجوز لهما الا الركوب فى الدرجة الثانية ، فقد كان سيتخادث مع الحارس أو المحصل .

وصل أحد الجنود الى المقصورة الأخيرة وأدخل وجهه خلال النافذة  
ففحص المقصورة ولاحظ الأريكة الخالية وصاح :

« هيه - بيل - هنا واحدة » .

وأتى زميله ونظر للداخل أيضا ونظر لسير موهان وتمتم لزميله :  
« أخرج ذلك الزنجي الحقير من المقصورة » .

فتحا الباب واستدارا لسير موهان الذى كان نصف مبتسم ونصف  
محتج . وصاح بيل « محجوز ! » .

وشرح جيم وهو يشير لقميصه الكاكي :

« يا رجل .. محجوز .. الجيش .. القوات المسلحة .. » .

« أخرج بسرعة ... هيا أخرج » .

واحتج سير موهان ولكنته الاكسفوردية :

« دعنى أقول ... دعنى أقول ... حتما ... »

تريث الجنديان . لقد بدأ . ذلك كالانجليزية تماما . ولكنهما كانا يعلمان .  
أحسن من أن يثقا بأذانهما المخمورة . صفرت القاطرة ورفع الحارس رايته  
الخضراء .

التقطا حقيبة سير موهان وألقيا بها للرصيف . ثم تلاها زمزية مياحه .  
وحقيبة ملابسه ، وأعطيه نومه وجريدة التايمس . ازرق وجه سير موهان من  
الغضب وصاح وقد استبد به الغضب :

« غير معقول ... مستحيل ... سأرى أن يقبض عليكم ...  
يا حارس ... يا حارس .. »

تريث بيل وجيم ثانية . لقد بدأ ذلك فعلا انجليزيا . ولكن هذه  
الانجليزية كان فيها أكثر مما يلزم من انجليزية الملك .

ولطم جيم سير موهان على وجهه قائلا :

« أبقي فمك الأحمر مغلقا » .

وأطلقت القاطرة صفيرا قصيرا آخر وابتدأ القطار يتحرك ، وأخذ الجنديان .  
سير موهان من ذراعيه وقذفاه خارج القطار . تراجع للخلف ، تعثر فى ربطة  
فرشه وسقط على حقيبة ملابسه . « وداعا » .

(★) انجليزية الملك (king's English) ، هى اللغة التى يستخدمها صفوة المثقفين  
فى انجلترا ، وافراد المجتمع الراقي بها .

تسمرت أقدام سير موهان بالأرض وفقد القدرة على الكلام وحملق في  
نوافذ القطار المضيئة وهي تمرق أمامه في سرعة متزايدة • ظهرت مؤخرة  
القطار بنورها الأحمر والحارس واقف عند فتحة الباب وأعلامه في يده •

وفي مقصورة السيدات كانت لا شيمي الجميلة السمينة ، وخاتم أنفها  
الماسي يتلألأ في أضواء المحطة • كان فمها منتفخا بلعاب أوراق نبات البيتل والتي  
كانت تخزنه لتبصقه حالما يتخطى القطار المحطة • ولما تخطى القطار الجزء  
المضيء من الرصيف بصقت ليدى لال سيلا من لعاب أحمر طسار من خلال  
النافذة كالسهم •

## اغتنصاب

### اغتنصاب

استلقى داليب سينج على فراشة ، ينظر الى السماء المرصعة بالنجوم .  
كان الجو حارا ساكنا . وكان عاريا فيما عدا ما يستر العورة . وبالرغم من  
ذلك تدرجت حبات من العرق على كل أجزاء جسده . كانت الحرارة تنبع  
من الحوائط الطينية التي تشويها الشمس طوال النهار . كان قد رش الماء  
على سطح المنزل ولكن ذلك لم يكن ذا أثر الا في تصعيد بخار طيني له رائحة  
الأرض وروث البهائم .

كان قد شرب ماء بقدر ما وسعت معدته ، وبالرغم من ذلك كان حلقه  
جافا . وكان هناك أيضا البعوض وطنينه الرتيب . اقترب بعضه من أذنيه  
لحد كبير وأمسك به وسحقه بين ابهامه وأصابعه . دخلت واحدة أو اثنتين الى  
أذنه الداخلية وسحقها على حائط أذنه بسيابته . تشابك بعض هذا البعوض  
في شعر لحيته وأخمدت أنفاسه في شراكها ، حتى كف الطنين . واستطاعت  
بعض هذه البعوضات أن تتغذى على دمه تاركة اياه ليهرش ويلعن .

عبر الممر الضيق الذي يفصل بيته عن بيت عمه ، كان داليب سينج  
يرى صفا من الأسرة على السطح . في جانب منها نام عمه بانثا سينج وذراعه  
متباعدتان وكذلك رجلاه كما لو كان مصلوبا . ارتفعت بطنه وانخفضت وهو  
يشخر . وكان قد تناول منقوع العنب الهندي بعد الظهر ونام في استسلام  
كامل . وعلى الجانب الآخر من الصف جلست بعض السيدات يروحن عن أنفسهن  
ويتحدثن بصوت خفيض .

(★) منقوع العنب الهندي شراب مخدر .

استلقى داليب سينج مستيقظا يحملق في السماء . ولم يجد السلام ولا النوم . وعلى الرغم من ذلك فعلى السطح الآخر نام عمه - أخو والده وقاتله . - وجدت نساؤه الوقت للجلوس والحديث فى الساعات المتأخرة من الليل بينما كانت أمه تدعك الأواني والأطباق بالرماد وتجمع روث البهائم للوقود . كان لدى عمه الخدم لترعى ماشيته وتحث أرضه بينما كان هو يتعاطى منقوع العنب الهندى وينام . كانت ابنته بنيدو ذات العيون السوداء تخرج لا لشيء الاستعراض أثوابها الحريرية اليابانية ، ولكن لداليب سينج لم يكن هناك الا العمل ومزيد من العمل .

اهتزت اشجار السرو . اندفع النسيم الرطب عبر فتحات السقف فأبعد البعوض وجفف العرق . وأشعر داليب بالسكينة والهدوء وأحس بالنوم يستولى عليه . وعلى سطح منزل باننا كفت النساء عن الترويح . ووقفت بيندو بجانب فراشها وألقت برأسها الى الوراء وملأت رئتيها بالهواء الرطب البليل . راقبها داليب وهى تغدو وتروح . كانت تستطيع أن ترى أهل القرية وهم نائمون فوق الأسطح أو فى الساحات . لم يتحرك أحد . توقفت بيندو ووقفت بقرب فراشها . وأمسكت بقميصها من ركنيه اللذين كانا يصلان الى ما فوق ركبتيها مباشرة وأمسكت بهما أمام وجهها بيديها الاثنتين متعرية من وسطها لرقبتها وداعية النسيم البليل لاحتواء بطنها المستوية وصدرها المليء بقوة الشباب ثم همس شخص ما شيئا فى غضب . وأسقطت بنيدو قميصها واستلقت على فراشها وضاعت فى الخطوط العريضة لوسادتها التى كانت قطعة من الفوضى .

عاد داليب سينج الى كامل يقظته ودق قلبه بسرعة جنونية ، واختفت صورة باننا سينج الكريهة من خياله . أغلق عينيه وحاول أن يعيد خلق بيندو كما رآها فى ضوء النجوم . اشتهاها وفى أحلامه حصل عليها . وكانت بيندو - فى الحلم - راغبة دائما . بل مستجديه . وكان داليب سينج متعطفا عليها دون لهفة . وكان باننا سينج يغلى بالغيط والاذلال . كانت عينا داليب سينج مغلقتين ولكنهما تفتحتا على عالم آخر حيث عاشت بيندو ، وأحبت وحيث كانت عارية وغير خجلة وجميلة .

بعد عدة ساعات حضرت والدة داليب وهزته من كتفه . لقد حان الوقت لكى يذهب ليحرق الأرض والجو لا يزال معتدلا . كانت السماء سوداء والنجوم أكثر لمعانا . التقط قميصه الذى كان مطويا تحت وسادته وارتداه . وألقى بنظرة الى السطح المجاور . كانت بيندو غارقة فى سباتها .

شد داليب سينج ثوريه الى المحراث وتركهما ليقوداه الى الحقول . سار

خلال أزقة القرية المظلمة المهجورة الى الحقول المضاء بالنجوم . كان متعبا وكان خيال بيندو لا يزال يربك عقله . تحول لون الأفق الشرقي الى رمادى . ومن خلال حدائق المانجو انبعثت صرخات طير الكويل الحادة فى مجموعات من الأصوات العالية . وبدأت الغربان تنعق فى أشجار السرو .

كان داليب سنج يحرق ولكن عقله لم يكن فى عمله . اكتفى بامساك المحراث والسير خلفه فى ببطء . لم تكن الخطوط مستوية ولا عميقة . وجعله ضوء النهار يشعر بالخجل . فصمم على أن يجمع شتات نفسه ويلقى بأحلام اليقظة بعيدا . غرس نصل محراثه الحاد عميقا فى الأرض وأعمل منخاسه بشدة فى مؤخرة الثورين . انتفض الثوران فجأة فى حركة وهما ينخران ويضربان بذيلهما . شطر المحراث الأرض وسقطت كتل كبيرة من الطين على جانبي أقدام داليب . شعر داليب بالسيادة على ثوريه والمحراث ودفع بمحراثه بتصميم وحشى الى عمق أكبر وراقب نصله الحاد وهو يشق طريقه خلال التربة السمراء الغنية بشبق شديد .

صعدت الشمس فى السماء بسطوع شديد وحرارة متوهجة . فتخلى داليب عن الحرث وقاد ثوريه الى بئر تحت شجرة سرو ورفع النير عنهما . جذب عدة دلاء من الماء . اغتسل ورش الماء على ثوريه وتبعهما للمنزل والماء يتقاطر منهما طوال الطريق .

كانت أمه فى انتظاره . أحضرت له خبزا طازجا وبعض السبانخ بقليل من الزبد فيها ، وأحضرت أيضا قدحا نحاسيا كبيرا مليئا بمخيض اللبن . أقبل داليب على الطعام بشراهة بينما جلست أمه بجانبه تطرد الذباب . أتى على الخبز والسبانخ ثم تبعهما باللبن . استلقى على فراشه وسرعان ما غاب فى النوم . ظلت أمه جالسه بقربه تروح عنه برقه .

نام داليب طوال الصباح وبعد الظهر ، ونهض فى المساء وتوجه لحقوله لتطهير مجارى المياه . سار على مجرى المياه الذى يفصل أرضه عن أرض عمه . كان اتباع باننا سينج هم الذين يروون أرضه فمنذ أن قتل أخاه لم يأت باننا سينج الى أرضه قط فى المساء .

عكف داليب سينج على تطهير مجارى المياه فى حقوله . ولما انتهى من ذلك ذهب الى مجرى الماء واغتسل . وجلس على شاطئ المجرى الذى يغطيه العشب وأرجله فى الماء الجارى منتظرا والدته .

غربت الشمس على رقعة شاسعة من الحقول الممتدة ولعت نجمة المساء قريبة من هلال القمر . ومن القرية كان يستطيع أن يسمع صرخات النساء

عند البئر والاولاد في لهوهم مختلطة كلها بنجاح الكلاب وزقزقة العصافير الصاخبة وهي تستعد للاستقرار في أعشاشها أثناء الليل .

خرجت مجموعات من النساء الى الحقول وانتشرن خلف الشجيرات ليقضين حاجتهن . واجتمعن ثانية واغتسلن في صفوف على طول مجرى الماء .

حضرت أم داليب سينج ومعها العلامة الخشبية من ملاحظ مياه القناة التي تبين أن دور داليب لرى حقوله قد حل . ثم عادت لترعى الماشية . كان أتباع بانثا سينج قد رحلوا . أغلق داليب سينج مجرى المياه على حقول بانثا سينج وفتحها على حقوله . وبعد أن انتهى من ذلك استلقى على الشاطئ الرطب المغطى بالحشائش يراقب المياه وهي تترقق على الأرض المحروثة وتتسلاً كالأزئبق تحت أشعة القمر الجديد . استلقى على ظهره ينظر الى السماء ويستمتع الى الأصوات الصادرة من القرية . وكان يستطيع أن يسمع بعض النساء تتحدث في مكان ما من حقول بانثا سينج ثم خيم على الدنيا فجأة صمت يضيئه نور القمر .

قطع حبل أفكار داليب صوت رشرشة ماء بالقرب منه . وتلفت حوله فرأى امرأة على الجانب الآخر من القناة جالسة على عجزها وهي تغتسل . وكانت تغتسل بالماء بيد بين فخذيها وتغسل نفسها باليد الأخرى . وملأت يدها من الأرض بالطين ودعكت به يديها ثم غمستهما في الماء الجاري . ثم مضمضت فاتها والقت ملء يدها ماء عدة مرات على وجهها . ثم نهضت تاركه سروالها مكموما عند قدميها ، ثم أمسكت بقميصها من الأمام وانحنى لتجفف وجهها .

كانت بيندو . استولت على داليب سينج رغبة جنونية فقفز الى الماء . وعبر الى الضفة الأخرى نحوها . كان وجه الفتاة مدفونا في قميصها ، وقبل أن تتمكن من الاستدارة كانت يدا داليب سينج قد التفت حولها تحت أبطيها وحول صدرها . ولما استدارت نحوه غطى وجهها بقبالات ملتفة وأسكت صرختها المرتعبة بأن ألصق فمه بفمها ، ثم نزل بها الى الحشيش الطرى . قاومه بيندو كقطة متوحشة . وأمسكت بلحيته في كلبا يديها وغرزت أظفارها بوحشية في صدغيه ، وعضت أنفه حتى أدمتها ولكن سرعان ما انهكها التعب ، فكفت عن النضال واستلقت ساكنة بلا حراك . كانت عيناها مغمضتين وانحدرت الدموع على جانبي وجهها غاسلة الكحل الى أذنيها . كانت جميلة في ضوء القمر الشاحب . وامتلأ داليب بتأنيب الضمير . لم يكن قط قد قصد إيذاءها . ربت على جبهتها بيده الخشنة الكبيرة وجرى بأصابعه خلال شعرها وأنحنى وحك أنفه بأنفها برقة . فتحت بيندو عينيها الواسعتين وحملت فيه بنظرة جوفاء خالية من التعبير فلم يكن في عينيها كراهية ولا حب . كانت مجرد



حملقة • قبل داليب سينج عينيها وأنفها بعطف واكتفت بيندو بالنظر اليه ، وعلى وجهها نفس التعبير الخالي من المعنى والدموع تتساقط بغزارة من عينيها . كانت رفيقات بيندو ينادين عليها ، ولكنها لم تجب • اقتربت احدهن وصرخت تطلب النجدة فنهض داليب سينج وقفز عبر الماء واختفى فى الظلام •

## - ٢ -

حضر جميع ذكور قرية سينجبورا ليستمعوا الى قضية التاج ضد داليب سينج • وامتلات القاعة والشرفة والساحة كلها بالفلاحين • وفى ناحية من الشرقة كان داليب سينج مكبلا بالحديد بين شرطين • جلست أمه تروح عنه وهى تغطى وجهها بازار ، وكانت تبكى وتمخط أنفها • وفى الناحية الأخرى كانت بيندو وأما وعديد من النساء غيرهما يجلسن متقاربات فى دائرة • وكانت بيندو أيضا تبكى وتمخط أنفها • وكان يشرف على هذه المجموعة من عمل بانثا سينج وأصدقائه وهم يميلون على عصيهم البامبو فى مشاورات هامة مستمرة • وكان القرويون الآخرون يروحون عن أنفسهم من ملل الانتظار بشراء الحلوى من الباعة الجائلين أو بتنظيف آذانهم عند الجوالين المختصين بتنظيف الآذان • ونجمع بعضهم حول باعة الأدوية القوية للباء وهم ياكزون بعضهم بعضا بالكوع ويضحكون •

كان بانثا سينج قد استأجر محاميا ليساعد مدعى الحكومة • جمع المحامى شهود الاثبات فى ركن وجعلهم يراجعون شهاداتهم ، وحذرهم من الأسئلة التى يحتمل أن توجه اليهم من محامى الدفاع ، وقدم صاحب المحكمة وكاتبها الى بانثا سينج وأوعز اليه بتقديم « بقشيش » اليهما • ثم أخذ رزمة من الاوراق المالية من موكله ليعطيها المدعى الحكومة • كان جهاز العدالة قد أجرى تشحيمة جيدا • لم يكن لدى داليب سينج محام أو شهود دفاع •

فتح الساعى باب غرفة المحكمة ونادى على القضية بطريقة منمعة • وأدخل بانثا سينج أصدقاءه • واقتاد الشرطيان داليب بينهما الى الداخل ولكن الساعى منع والدته من الدخول فهى لم تدفع له شيئا • ولما عاد النظام الى الغرفة بدأ الكاتب فى قراءة الاتهام •

قال داليب سينج انه غير مذنب • وطلب القاضى كومار من مساعد المدعى أن يستدعى بيندو •

جرت بيندو قدميها الى منصة الشهود ووجهها ما زال مغطى بشالها ، وهى تمخط أنفها • وسألها المفتش عن عداء أبيها لداليب سينج • وقدم ملابسها وهى ملوثة بالدماء والمنى • وأنهى هذا قضية الادعاء • كانت أدلة بيندو مؤيدة بالمعروضات واضحة لا تدحض •

وسأل السجين عما اذا كان لديه أية أسئلة . غمغم داليب سمينج يديه  
المغلولتين بالقيود وقال :

« أنا برىء يا صاحب اللالىء »

ونفد صبر القاضى كومار :

« لقد سمعت الأدلة . ان لم يكن لديك أسئلة للفتاة فسأصدر قرارى » .

« يا صاحب اللالىء - ليس لدى محام . ولا أصدقاء لى فى القرية  
يشهدون ببراءتى . أنا فقير . . ارحمنى . . أنا برىء » .

غضب القاضى . والتفت للكاتب قائلا :

« استجواب الشاهد . . لا يوجد »

غمغم داليب سمينج « لكن . . قبل أن ترسلنى الى السجن يا سيدى  
الامبراطور اسألها عما اذا كانت غير راغبة ، لقد ذهبت اليها لأنها أرادتنى .  
أنا برىء » .

التفت السيد كومار ثانية ناحية الكاتب .

« استجواب الشاهد بالمتهم . هل ذهبت للمتهم بمحض ارادتك ؟ » .

« أجيبى »

ووجه السيد كومار حديثه لبيندو « أجيبى . . هل ذهبت للمتهم بمحض  
ارادتك ؟ »

مخطت بيندو أنفها وبكت . انتظر القاضى والجمهور فى صمت مشوب  
بالضيق .

« هل ذهبت أم لم تذهبى ؟ أجيبى . . فلدى أعمال أخرى »

ومن خلال ثنايا الشال العديدة التى كانت تغطى وجهها أجابت بيندو . .  
« نعم » .

## بالاجومى بادماراجو

ولد بالاجومى بادماراجو عام ١٩١٥ ، بقرية صغيرة بولاية آندرا فى الهند الجنوبية . كانت أسرته من البراهمة ، وكان أبوه ناظرا لمدرسة ثانوية بمدينة قريبة . نال ماجستير العلوم فى الكيمياء من جامعة بنارسى الهندستانية .

بدأ بادماراجو الكتابة عندما كان فى العشرين من عمره . انه يكتب بال « نيلوجو » وتتضمن أعماله ثلاثة أجزاء من القصص القصيرة نشرت بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٣ ، ورايان « حديقة الحيوان البشرية » ١٩٦٤ ، وثلاث مسرحيات: « دموع من الدم » و « رامادو الشرير » و « الشر ولعقاب » . ونالت إحدى قصصه « الاعصار » الجائزة الثانية فى المسابقة العالمية للقصة القصيرة التى عقدتها جريدة نيويورك هيرالد تريبيون عام ١٩٥٢ .

ويظهر أن تأثيراته كانت أكثر تنوعا مما هى عادة بين الكتاب الهنود . انه يضع برت هارت وموباسان فى أول القائمة . ويلى ذلك موم ، وتشيكوف وتورجينييف ، ويليهم كذلك هكسلى وهيمنجواى . انه يعجب اعجابا شديدا براجارو ويشعر أن المؤلف فى روايته « الشعبان والجبل » « نجح فى مد حدود اللغة الانجليزية . وجعلها أداة رائعة للتعبير عن الفكر والاحساس بأسلوب هندي صميم » .

ويعيش بادماراجو الآن فى مدراس . ويكتب روايات الأفلام فضلا عن القصص الخيالية .



## فى القارب

### فى القارب

بعد مغيب الشمس غلفت الدنيا غلالة حزينة • وانساب القارب فى رفق  
فوق النهر الساكن •

وكانت المياه تتلاطم على جانبي القارب فى تموجات خفيفة • ولم تبد بادرة  
من حياة ، الى أبعد ما تستطيع العين أن ترى ، وراح العالم الميت يهيمهم  
بلا صوت • لم تكن تلك الهمهمة مسموعة ، ولكن الجسد كان يشعر بها  
وكانت تملأ العقل بذبذباتها • كان هناك احساس يزحف الى العقل الواعى ،  
بأن الحياة تأتى الى نهايتها ، وبأن هناك سلافا ثقيلآ خاليا من الأمل يجثم على  
الصدور • وكانت المعالم المبهمة الغامضة للأشجار البعيدة تتحرك مع القارب  
بلا حراك • وكانت الأشجار الأقرب تتحرك الى الخلف ، كشياطين ذات شعر  
أشعث • لم يتحرك القارب • وتحركت ضفة المجرى الى الخلف •

نظرت عيناي الى أعماق المياه الساكنة ، متوغلة فى الظلام واسترخت  
النجوم على فراش من مياه يتأرجح حالما على التموجات البطيئة ، ونامت بأعين  
مفتوحة •

لا حركة فى الهواء • راح الحبل الذى كان الملاحون يجذبون به القارب  
يرتخى ويتوتر فى ايقاع منتظم وكانت الأجراس المربوطة فى عصا التوجيه فى  
يد القائد تدق فى كل خطوة • وعند أجد أطراف القارب ، كان هناك وهج  
أحمر لنار فى الفرن ، يتوهج متحولا الى شعلة ثم يخمد على التوالى وبدلو  
صغير ، راح صبى ينزح المياه المتسربة الى القارب من بعض الثقوب الصغيرة •  
وكانت هناك أجولة من أعواد الأرز والتمرهندي وغيرها مكدسة فى القارب •  
واستلقيت فوق قمة القارب وأنا أحملق فى السماء ومن داخل القارب انتشر

دخان الطباقي مختلطا بأصوات خفيفة غير واضحة فى جميع الاتجاهات . كان فى الغرفة الصغيرة حيث يجلس الكاتب . مصباح زيتى صغير يلقي بصيصا من الضوء فى الظلام . ومضى القارب فى سيره .

ونادانا صوت من بعيد قائلا « أرجو أن تحضروا القارب الى هذه الضفة — هذه الضفة ! » وبينما كان القارب يقترب من الضفة ، قفز شخصان على السقالة ، ومال القارب ميلا خفيفا الى ذلك الجانب .

وقال صوت نسائي « أرجو ألا تعيرونا اهتماما . سنجلس هنا فوق القمة » .

وسألها الرجل الجالس الى الدفة . . أين كنت كل هذه الأيام يارانجى ؟ « لم أرك منذ مدة طويلة » .

« أخذنى رجلى الى أماكن كثيرة — فيجاينا جارام ، فيزاكها باتنام وصعدنا معا تل أبانا » .

« أين انت ذاهبة الآن ؟ »

« مانداياكا . كيف حالك يا أخى ؟ الا يزال لديكم نفس الكاتب ؟ »

« نعم » .

وسقط جسد الرجل الذى يصاحبها مكوما على الأرض وانزلق سيجاره الهندى المشتعل من فمه . وأطفأته المرأة .

قالت « اجلس كما ينبغي » .

« حيه ، أيتها الكلبة . أظنيننى سكران ؟ لسوف أحطم ضلوعك ان أزعجتنى » وراح يتدحرج من جانب القارب الى الجانب الآخر . وغطته المرأة بملءة من القماش كانت قد انزلت الى جانبه عندما تدحرج . وأشعلت سيجارا لنفسها . وعندما اشتعل اللهب بعود الثقاب ، رأيت وجهها لحظة وجيزة . وكان الوجه القاتم يتوهج حمرة .

كانت هناك لمحة من القرار الموسيقى العميق ( الباس ) فى صوتها . وعندما كانت تتحدث ، كنت تشعُر أنها تسر اليك فى غير مواربة بدخائل أسرارها . لم تكن جميلة ، كان شعرها أشعث . ومع ذلك كان يحيطها مظهر من مظاهر الوقار . كانت « البلوزة » السوداء التى كانت ترتديها توحى اليك أنها لا ترتدى شيئا . وكانت عيناها تلمعان فى الظلام كأنهما تتوقدان حياة . وعندما أشعلت عود الثقاب لاحظت أننى أزقد قريبا منها . قالت محاولة أن توقظ الرجل « ثمة شخص نائم هنا » .

« أرقدى أيتها الفاجرة • سوف أدق عنقك ان أيقظتني ثانية » • وابتعد  
عنى بشيء من الجهد •

ووقف الكاتب على السقالة ومصباح الزيت فى يده • وسأل قائلاً :

« من هذا الشخص يارانجى ؟ »

« انه رجلي ، بادالو • أرجو ألا تحصل أجرا منا يا سيدى نظير الرحلة » •

« أهو بادالو ؟ اخرجيه ! انه وغد ولص • ألا ادراك عندك ؟ انه سكران  
سكرا بينا وقد أحضرته الى هذا القارب !! »

واحتج بادالو قائلاً « من ذا الذى يقول أننى سكران ؟ »

وصاح الكاتب فى الملاحين قائلاً : « أيها الحمقى • القوا بهذا الشخص  
الى الخارج • لماذا سمحتم له بأن يطاء القارب • انه سكران ؟ انه سكران سكرا  
بيننا » •

وقال بادالو محتجاً « لست سكران سكرا بينا • لقد رويت قليلا من  
ظمنى فحسب » •

قالت المرأة تنصحه « لماذا لا تظل صامتا ؟ » ثم جعلت تستعطف الكاتب  
قائلة « أرجوك يا سيدى ، أناشدك • فليباركك الله يا سيدى • سوف ننزل  
فى ( ماندا باكا ) » •

وانضم اليها الرجل فى الاستعطاف « لست سكران يا سيدى • أرجو  
أن تكون كريما وتسمح لنا بالذهاب الى ماندا باكا » •

« ان أثرت أى شغب سيأمر بالقائك فى القناة • وعاد الكاتب الى غرفته  
وهم بادالو جالسا ، فلم يكن حقا سكران » •

وقال فى صوت خفيض « سيأمر بالقائى فى القناة - ابن الكلبة » !  
« الزم الصمت • ان سمع ما قلتة ، فقد انتهينا » •

«دعه يلقي نظرة على القارب غدا صباحا • انه يدعى العظمة ابن الكلبة» !

« س • س • س • • ثمة شخص نائم هناك » •

وأشعل بادالو سيجارا • كان ذا شارب كثيف جدا • وكان وجهه  
بيضاويا • وكان عموده الفقرى منحنيا كقوس يجذبه ونر • كان نحىلا معروقا  
وكان يحف به مظهر عدم الاكتراث •

كان القارب ينساب فى يسر • وكان الملاحون يغسلون الأوانى بعد  
الطعام ، وهم يتحدثون فيما بينهم •

لم يكن الجو باردا ، ولكننى غطيت نفسى بملاءة . أحسست بالخوف من ترك جسدى معرضا للظلام ولا حول له . كان النسيم لازعا . وكان القارب ينساب فوق المياه فى رقة كأنه لمسة امرأة .

كان الليل مغلفا بالرقعة - كأنه فى أحضان امرأة غير مرئية . وأحسست بأننى تائه فى ذلك العناق وطاف بخاطرى كثير من ذكريات ماض وذكريات القصص المشوبة بالأسى عن امرأة رعت رجلا وجلبت له السعادة .

وعلى مسافة قريبة منى كان سيجاران يتوهجان بالحمرة فى الظلام . بدا كما لو كانت الحياة تجلس هناك تدخن فى شراة وتفكر فى نفسها . وسأل بادالو قائلا « أية قرية هى التالية فى طريقنا ؟ »

قالت رانجى « كالدارى » .

« ما زال أمامنا مسافة طويلة نقطعها » .

« لا تفعل ذلك اليوم . ينبغي أن تكون حريصا ليس اليوم . سنحاول مرة أخرى عندما يصبح الحال أكثر أمنا . ألا تنصت الى ؟ »

قال بادالو « أنت خائفة - أيتها الفاجرة » ودغدغ جنبها بنخسة من اصبعه .

قالت « اوه ! » ونظرت نحو السماء كأنها تتمنى أن يدوم الشعور الذى وهبه هذا اياها الى الأبد .

غلبنى النوم تدريجيا . وتحرك القارب مع التيار وكأنه نائم أيضا . راح الشخصان غير البعيدين عنى يتحدثان همسا الى بعضهما البعض فترة ما . ورغم أننى كنت نائما ، فقد كان جانب منى يقظا . كنت أعرف أن القارب يتحرك وأن المياه كانت تتلاطم على جانبيه ، وأن الأشجار على الضفة كانت تتحرك متراجعة الى الخلف .

وكان الجميع نياما داخل القارب ، وانتقلت رانجى من جانبى الى الدفة وجلسمت بجوار الرجل الذى كان يديرها .

سألته قائلة كيف حالك يا أخى ؟ وسألها رجل الدفة وكيف حالك أنت ؟

« يالها من روائع رأيناها أنا ورجلى ! ذهينا الى السينما ، شاهدنا سفينة ، يا لها من سفينة ! كانت يا أخى كبيرة فى مثل حجم قريتنا ، لست أعرف أين كانت دفتها . وأخبرته بمائة شئ وكان صوتها يهددنى فى نومي . »



قال رجل الدفة « أوه أيتها الفتاة ! اننى أشعر بالنعاس +  
 وقالت رانجى « سأسسك بها ، استلق هناك » .  
 ومضى القارب فى سكون . . . ببطء . . . ودون أن تعكر السكون . رفعت  
 رانجى صوتها بأغنية .  
 أين هو ! أين هو رجل ؟  
 اننى أضاع الطعام فى الطبق  
 وأجلس هنا منتظرة عودته .  
 الليل يعمق كالظل  
 ولكن النوم لا يراود عيني - أين هو ؟ رجل ؟  
 الريح الباردة تلسعنى كالعقرب .  
 وأعصابى تتقلص وتؤلمنى .  
 ما لم تضمنى الى جسدك الدافئ .  
 فقد أموت . . . أين هو ؟ . . . رجل !!  
 كان فى صوت رانجى موسيقى . كان يبدو وكأن جميع المخلوقات الحية  
 قد سمعت الأغنية فى نومها ، وكان صدى حكايات الحب العنيفة يتردد فى  
 أسمى وغموض فى تلك الأغنية . وانتشرت كصفحة المياه وطفا العالم فوقها كأنه  
 قارب صغير ، وبدأت الحياة البشرية ، بحبها وحنينها شيئاً حتمياً وغريباً .  
 وعلى مسافة قريبة منى ، جلس بادالو ورأسه مغطى بملاءة . ولكن كان  
 يبدو أن هوة عميقة تفصله عن رانجى .  
 وبعد قليل مضى بادالو الى داخل القارب . ونفضت النوم وظللت  
 مستلقيا أنظر الى النجوم وكانت رانجى تغنى :  
 كنت تظن أن هناك فتاة فى الحارة خلف الكوخ .  
 وتسللت الى هناك فى سكون .  
 ولكن من هى الفتاة ؟ يارجل العزير .  
 اليسى هى أنا فى ريعان شبابى ؟  
 وطافت أغنية رانجى بالعالم ، ثم عادت ومستنى فى مكان ما بقلبي .  
 وأحسست بالنعاس . وفى نومي رقص حنين الرجل والمرأة الفطرى لبعضهما

البعض أمامي كعاشقين ريفيين يلعبان « الاستغماية » وامتد أمامي في نومي عالم حالم ، جديد تماما بالنسبة الى . وكانت رانجي وبادالو ينتقلان في أشكال لا حصر لها . وغابت الأغنية عن وعي ، وأغلقت أبواب عقلي تدريجيا حتى ازاء الأحلام .

وأيقظني شيء من الاضطراب في القارب وانتصبت جالسا . كان القارب مربوطا بوتر على الشاطئ . وكان رجال القارب يتحركون في عجلة بالقارب وعلى الضفة ، ومعهم مصابيح . وعلى الضفة كان رجلان يقفان على جانبي رانجي وهم يمسكان بذراعيها . وكان أحدهما هو الكاتب . وكان معه قطعة حبل في يده ، وكان يبدو أن رانجي ستجلبه جلدا . وقفزت الى الضفة وسألتها عما حدث .

واحمر وجه الكاتب غضبا . وقال ، « لقد فر الوغد ببعض حاجياننا . لابد أن ابنة الكلبة هذه قد أرست القارب على الضفة بينما كان الجميع نياما . كانت ممسكة بالدفة ، تلك الفاجرة » . وكانت هناك لمحة من اليأس وضعف الحيلة في نبرات صوته .

وسأله قائلا ، « ما هي البضائع التي سرقت ؟ »

« سلتان من الحنہ وثلاثة جوانات من التمرهندي . ذلك هو السبب في انني قلت انني لن أسمح لهما بالتواجد في القارب . سوف يتعين علي أن أعوض الخسارة » تم سأل رانجي « أين أنزل البضائع ؟ » .

« قرب كالداری ، يا سيدي الكريم ! »

« أينها الكذابة ! لقد كنا جميعا مستيقظين في كالداری » .

« اذن فلا بد أن ذلك كان في نيدادافولو » .

« لا ، انها لن نخبرنا قط . سوف نسلّمها للشرطة في أثيل . اصعدى الى القارب » .

« سيدي الرحيم ، أرجو أن تسمح لي بالانصراف » .

« اصعدى الى القارب » هكذا أمرها وهو يدفعها نحو القارب .

وجرها ملاحان الى داخل القارب .

« أيها الشحاذون النائمون . أيها المعتوهون المهملون ! أليس عندكم شعور بالمسئولية ! لماذا وضعتُم الدفة في أيديها ! » وكان الكاتب غاضبا جدا . وعاد الى غرفته .

واستأنفت رانجى الجلوس فى مقعدها السابق . وجلس ملاح بجانبها ليحرسها . ونحرك القارب ثانية . وأشعلت سيجارا .

وسألتنى فى صوت يوحى بالألفة : « سيدى الرحيم ، احتفظ بواحد لى أيضا » وأعطيتها سيجارا وعلبة ثقاب وأشعلنه .

« أخى العزيز ما الذى تربحه من تسليمى للشرطة ؟ »

وقال الملاح ، « لن يدعك الكاتب تذهيبين » .

وسألتها ، « هل بادالو زوجك ؟ »

وأجابت ، « انه رجلى »

وقال الملاح ، « لقد أغواها وهى فتاة صغيرة . ولم يتزوجها . والآن لديه فتاة أخرى . ابن هى يارانجى ؟ » .

« فى كفور . انها الآن فى أوج ازدهارها . وعندما تعاني ما عانيته من لطحات عديدة ، فسوف تبدو اسوأ منى حالا . هذه الكلبة القذرة ! »

وسألتها ، « اذن لماذا ترتبطين به بأية صلة ؟ »

« انه ملكى ، يا سيدى ! » هكذا أجابت ، وكأنما كان ذلك يفسر كل شىء .

« ولكن له امرأة أخرى »

« ماذا يستطيع أن يفعل بدونى ؟ لا يهم كم عدد النساء اللاتى يملكنهن الرجل . »

أقول لك يا سيدى ، انه ملك بين الرجال . وليس هناك آخر مثله . »

وقال الملاح ، « سيدى ، لا يمكنك أن تتصور هذا الشخص على حقيقته ، دون أن تعرفه . كانت تفيض حياة وشبابا عندما علقته به . وفى ذات ليلة ، حبسها فى كوخها وأشعل النار فيه وكادت أن تموت حرقا . وكان طالعهما الحسن فقط هو الذى أنقذها » .

« شعرت أننى سأخنقه بيدى المجردتين ان استطعت فقط الوصول اليه . وسقط عود أحمر ساخن من الغاب عبر ظهرى من سقف الكوخ » . ورفعت بلوزتها قليلا وحتى فى الظلام استطعت أن أرى ندبة بيضاء على ظهرها .

وسألتها ، « لماذا تبقيين معه بعد كل هذه القسوة ؟ »

« لا حيلة لى فى ذلك يا سيدى • عندما يكون معى اتعلق به بكل بساطة • انه يستطيع التحدث جيدا فيشبر احساسك بالشفقة وتجعله يفيض كجدول من الماء • بدأنا رحلتنا مساء اليوم من كفور • وفى الطريق ، رجانى راکعا على ركبتيه أن أساعده فى هذه المهمة •

قال انه مفلس تماما • ووصلنا الى قناة نيدادافولو بطريق مختصر عبر الحقول • • ؟

« أين أرسى البضائع ؟ »

« كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ »

وقال الملاح ضاحكا ، « أوه انها لن تقول الحقيقة قط ، تلك الأفاقة ! » وتملكتنى نزعة مفاجئة من الفضول للنظر الى وجهها عن قرب • ولكنها فى الظلام ، ظلت غائمة المعالم وغير واضحة القسمات •

وزحف القارب ببطء على صفحة المياه الملساء • وعندما مر منتصف الليل أصبح للنسيم لسعة أشد برودة ، كان هناك حفيف للأوراق على الشجر ولم أنم ثانية تلك الليلة • حاول حارس رانجى بلا جدوى أن يقاوم رغبته الغلبة فى النوم وأخيرا استسلم له • ولكن رانجى جلست هناك تدخن سيجارها بلا مبالاة ، مستسلمة لموقفها •

وسألتها ، « ألم تتزوجى مطلقا ؟ »

« لا ، كنت صغيرة جدا عندما أخذنى بادالو ومضى »

« ما هى قرينتك الأصلية ؟ »

« اندرا ياليم • • لم أكن عندئذ أعرف أنه سكير • • الآن ، طبعاً ، أخذت عنه هذه العادة • لا بأس من تعاطى المرء الشراب • ولكنه عندما يسكر أحيانا ، يصبح متوحشا • »

« كان بوسعك أن تتركه وتعودى الى والديك • »

« هذا ما أحس به ، عندما يصبح متوحشا • ولكن فى ذات الوقت ليس هناك شخص آخر مثله • أنت لا تعرفه • عندما لا يكون سكران يكون فى وداعة الحمل • انه قد ينال مائة - امرأة • ولكنه يعود الى • »

ماذا يمكنه أن يفعل بدونى ؟

واسترعى موقف المرأة انتباهى كشيء غريب ، ولم أستطع أن أعرف ما جمع شمل هذين الاثنين معا • وقالت رانجى ثانية : « لم نجد عملا يناسبنا •

لهذا اضطررنا الى احترام اللصوصية . عندما كانت أُمى حية اعتادت أن تؤنبنى لأننى جعلت من نفسى حمقاء .

وفى ذات ليلة أحضر تلك الفتاة الى كوخى .

« أية فتاة ؟ »

« التى يعيش معها الآن . وضعها على فراشى واستلقى بجوارها . أمام عيناى ! كان كلاهما سكران . الفاجرة » .

ووثبت عليها وخمشتها فى عنف . فتدخل بيننا وضربنى حتى تقطعت أنفاسى .

وحوالى منتصف الليل ذهب معها الى مكان ما . وعاد ثانية . وسببته ورفضت ادخاله المنزل وتهاوى على عتبة الباب بدأ يبكى كطفل . وتأثرت . وجلست بجواره . وأخذنى الى حجرة وسألنى أن أعطيه عقدى . وسألته ، « لماذا ؟ » . قال ان ذلك من أجل الفتاة الأخرى . واستبد بى الغضب وانهلث عليه بسباب مقذع . قال لى باكيا ، انه لا يستطيع العيش بدون تلك الفتاة . ولم يعرف غضبى حدودا فدفعته الى الخارج أغلقت الباب بالمزلاج من الداخل . وراح يجذبه فترة ثم انصرف . واستلقيت مفتوحة العينين ولم أستطع النوم وقتا طويلا . ولكن بعد أن - غلبنى النوم اشتعلت النار فى المنزل . كان قد أغلق الكوخ من الخارج وأشعل النار فيه وحاولت فتح الباب فى لهفة يائسة وفى ذلك الوقت من الليل لم تصل صيحات استنجادى الى جيرانى . كان جسدى يشوى حيا . وأغمى على . ولا بد أن جيرانى قد أنقذونى وأنا فى تلك الحالة وقبضت عليه الشرطة فى اليوم التالى .

ولكننى أخبرتهم بطريقة منطقية انه لا يمكن أن يكون مرتكب الجريمة . وفى ذلك المساء حضر الى وراح يبكى ساعات طويلة . أحيانا عندما يكون سكران يبكى كذلك . ولكنه عندما لا يكون سكران . يكون شخصا ظريفا . وأعطيته ذلك العقد .

« لماذا لا تزالين تساعدينه فى هذه الجرائم ؟ »

« ماذا أفعل عندما يأتى ويرجونى فى أمر ، وكأن حياته كلها تتوقف عليه » ؟

« أحقا أخذك الى كل تلك الأماكن فيجيا يانا جارام ، وفيزاخا باتنام وما الى ذلك ؟ »

« لا . كنت أريد كسب ثقة الملاحين . ففي مناسبتين سابقتين . سرق هذا القارب – بالذات » .

« ماذا سنفعلين اذا قبضت عليك الشرطة ؟ »

لماذا ينبغي على أن أفعل شيئا ؟ ماذا يستطيعون أن يفعلوا ؟

ليست في حوزتي بضائع مسروقة . من ذا الذى يعلم من هو المسئول عن السرقة ؟ قد يضربوننى ولكنهم فى النهاية سيضطرون الى اطلاق سراحى .

« افرضى أن بادالو ضبط بهذه البضائع ؟ »

« لا ، سيكون قد نخلص منها الآن . لقد ظلمت بالقارب لأتيح له وقتا كافيا لتنفيذ فراره »

واطلقت آهة ثم قالت ، بصوت خفيض ، « كل هذا سيؤول الى تلك الكلبة الملعونة لن يتركها حتى تدبل نضارتها . على أن احتمل كل هذا فى سبيل تلك الفاجرة » .

لم يكن هناك أثر للعاطفة فى صوتها ، كما لم يكن هناك أى عتاب . لقد نقبلته كما كان وكانت مستعدة لأن تفعل أى شئ من أجله . لم تكن توضحية ولم يكن اخلاصا ، بل لم يكن حبا . كان قلب امرأة فيحسب . بمزيج غريب من المشاعر ، يشوبها الحب كما تشوبها الغيرة كان هناك تعبير واحد ظاهر فقط عن هذا الخليط من المشاعر وكان ذلك هو الحنين الذى كانت تحسه نحو رجلها . كانت كل خلية من ألياف هذا القلب متعطشة لذلك الرجل . ولكن لم يكن لديها طلبات تطلبها منه ، أخلاقية أو أدبية . لم يضرها ألا يكون مخلصا لها ، أو حتى أن يكون قاسيا معها . لقد أحبته كما كان بكل شذوذه وتقافته وبروحه الوحشية التى لم تروض . ما الذى اسنمذته من مثل هذه الحياة والحظ يعاندها الى هذا الحد ما الذى اكتسبته مقابل دفع هذا الثمن ؟ ألم تكن مثل هذه الحياة تعسة جدا ومثقلة بالعناء ؟ ولكن رغم ذلك هل كانت السعادة سوى قلة الاحساس بالتعاسة ؟ وساءلت نفسى : أكنت سعيدة ، اذا أنا حكمت على نفسى بهذا المقياس ؟

وارتفعت الريح تلدريجيا . وتحرك القارب بسرعة أكبر . كانت هناك علامات على ان العالم يستيقظ ببطء من نوم يجدد فيه سبابه .

هنا وهناك كان فى الامكان رؤية الفلاحين وهم ذاهبون الى حقولهم . لم يكن نجم الصباح قد أشرق بعد . وضمت رانجى ركبتها وثنت ذراعيها حولهما ، وجلست تنظر الى الليل المنقش .

قالت فى بطن . دون أن توجه حديثها الى بصفة خاصة ، هذا هو رجلي  
وأينما ذهب ، فمآله أن يعود الى . وكانت هذه الكلمات تلخص الأمل الوحيد  
والقوة الوحيدة والإيمان الوحيد الذى جعلها متعلقة بالحياة بلا تردد . كانت  
حياتها كلها تدور حول هذه النقطة .

كان هناك فى قلبى اسفاق وخوف . وفوق كل شئ احترام لتلك المرأة .  
كنت أعجب ، كم كانت أحوال القلب البشرى محيرة وعجيبة ومخيفة . بل  
وخرقاء !

وجلست انظر اليها حتى طلع النهار . وقبل أن أنزل من القارب ،  
وضعت روية فى يدها خفية ، ثم مضيت دون أن انتظر لأرى استجابتها .  
ولم أقابلها ثانية قط .





## سانتا راما راو

ولدت سانتا راما راو عام ١٩٢٣ فى مدراس فى جنوب الهند وتقلد والدها - سير بنجالى راما راو - ضمن ما تقلد - عدة مناصب دبلوماسية منها سفيرا للهند فى الولايات المتحدة وتلقت تعليمها فى مدرسة سانت بول فى لندن وفى جامعة ولسلى فى ولاية ماساتشوسيتس بأمريكا .

ولقد والت الكتابة منذ أيام دراستها « لم أقدر أبدا أن أكون كاتبة .  
لقد وجدت فقط أن بعضا من كتاباتى يصلح للنشر » .

وسافرت سانتا راما راو كثيرا وتتضمن كتبها « العودة الى الهند » عام ١٩٤٤ « شرق الوطن » عام ١٩٥٠ ، « وهذه هى الهند » ١٩٥٤ ، « ونظرة الى الجنوب الشرقى » ١٩٥٧ ، « تذكروا المنزل » ١٩٥٦ ، و « رحلتى الروسية » ١٩٥٩ و « هدايا المرور » ١٩٦١ و « ممر الى الهند » وهى مسرحية مبنية على رواية اى . م . فورست وقدمت فى برودواى عام ١٩٦٢ .

وتعيش سانتا راما راو الآن فى نيويورك .



## ماذا يهم

### ماذا يهم

كان الشيء الوحيد المشترك بين « أناند » وبينى ، هو اننا تلقينا دراستنا الجامعية فى أمريكا . وليس ذلك لأننا كنا نلتقى كثيرا خلال تلك السنوات الأربع التى قضيناها فى الخارج - فقد كان يدرس ادارة الأعمال أو شيئا من هذا القبيل فى بوسطن ، بينما كنت اتلقى منهج الدراسات الأدبية الحرة المعتاد فى ويسلى وفى المرات القليلة التى تقابلنا فيها هناك ، لم يكن لدى أحدهما الكثير الذى يقوله للآخر - ولكننا حين عدنا الى بمباى ، كان احساسنا المشترك بانتزاعنا من بيئتنا هو الرابطة بيننا . كان هذا القلق بأكمله يندرج فى جيل آبائنا تحت عبارة شاملة هى « عائد من انجلترا » ، وهى عبارة كانت تصلح حتى لو انك كنت تدرس فى ميونيخ أو ادنبره ، اللتين كانتا من البلاد المحببة الى الطلبة الهنود فى تلك الأيام . وكان هذا المصطلح يستعمل كمؤهل ( للمناصب والزيجات ) أو كتفسير لمشكلات عدم التوافق المألوفة . فكنت تجد فى نوع معين من الصحف - حتى بعد الحرب - اعلانات فى « عمود الاعلانات الشخصية مصوغة فى الأسلوب التالى : « مطلوب : فتاة شابة ، حسنة المظهر ، متعلمة - الانتماء لطائفة رفيعة جوهري - لشاب عائد من انجلترا . ترسل صورة . والنقطة الهامة انه كان عليها ان تثبت صلاحيتها ، أو - على الأرجح - كان على أسرتها أن تبين جدارتها بأن تكون مرغوبة . ولكن عبارة عائد من انجلترا - كانت كفيفة بأن تخبرها بكل ما تحتاج الى معرفته عن الفتى : كيف ان أسرته من الثراء بحيث ارسلته للخارج ليتعلم ، وان فرصته للظفر بمنصب حكومى ، أو مركز فى التجارة تفضل فرص معظم الآخرين . وان لزواجه ان تتوقع بيتا غير متزمت فى تمسكه بالتقاليد ، ويحتمل أن يطلب اليها فيه أن تقدم لحما فى الوجبات ، وان تستضيف أجنبى ، وأن تتكلم

بالانجليزية ، بل ٠٠ وان تحتفظ بمشروبات كحولية فى المسكن وخلق بها ان تعلم كذلك انه سيكون زواجا « طيبا » ٠٠ ( أى مرغوبا ) .

« عائد من إنجلترا » كانت – كالعبرة الأخرى الكثيرة الذكر « راسب فى بكالوريوس الآداب » – نوعا من الأسلوب الهندى للتعريف بالشخصية ، وكانت موضوعا للتسلية من التفكه لدى البريطانيين حين تظهر فى طلب عمل . ومن الطبيعى انهما كانتا عبارتين لهما معنى جاد ودقيق لدى الهنود ٠٠ اذ أن عبارة راسب فى بكالوريوس الآداب لم تكن – بوجه عام – تعنى عندنا ان الشاب أخفق فى أحد الامتحانات ، وانما كانت تعنى انه اجتاز جميع سنى الدراسة فى المدرسة والكلية التى تفضى الى شهادة ٠٠ ولهذا اعتبار هام فى بلاد كانت الأمية طابعا عاديا ، والتعليم رفاهية .

وفى سياق جيل أصبح متزايد الحساسية ازاء السخف والسخرية ، انصرف الناس عن تلك العبارات المفيدة ، ولم يحن وقت عودة « أناند » وعودتى الى « بمباى » . حتى كان علينا ان نهتدى بأنفسنا الى أوصافنا الخاصة التى نعبر بها عن حالتنا القلقة ، فكنا عادة ننتقى تعبيرات عجيبة ، عن مدى تقدم أفكارنا بالنسبة لبمباى ، أو كيف ان المشروعات الحية لا يمكن أن تزدهر فى الهند ، نظرا للقبضة المميتة لنظام الأسرة ، أو كنا نبدى تعليقات سيكولوجية لم نحسن هضمها ، عن آثار الرضا والتسليم بالواقع ، كطريقة فى الحياة . والواقع ان ما كنا نعنيه هو اننا كنا نعانى هموم ، العائد من إنجلترا .

وكانت حالى أهون من حال أناند ، لأن أبوى كانا – من ناحية – متحررين أى لم يكونا من الهندوس المتزمتين ، وكانا على استعداد – بعد خمسة عشر عاما من التجوال فى العالم ، فى السلك الدبلوماسى – لأن يتقبلا برباطة جأش – بل وبقدر من الرضا المستريب – ظفري بعمل فى إحدى المجالات فى بمباى وكانت أمورى أهون – من ناحية أخرى – لأننى خضت أسوأ أزمات التكيف والتوافق من جديد قبل ذلك بست سنوات ، عندما عدت من إنجلترا بعد سنوات عشر فى مدارسها الداخلية .

غير ان محنة العودة من إنجلترا – بالنسبة لأناند – كانت أقسى وأكثى ، لأن أسرته كانت متشبثة بالتقاليد ، وكانت أمه لا تتكلم الانجليزية ، ولا تطمئن للأساليب الأجنبية ، وكان قد اقتصر فى دراسته على مدارس « بمباى » الى أن ذهب الى أمريكا لدراساته العليا ٠٠ وكان أبوه – وهو مقال عظيم النجاح فى بمباى – قد أصر على أن يدخل أناند – بوصفه الابن الأوحده – فى عمل الأسرة ، ويعمل تحت اشرافه عدة أعمام وليس الأب وحده .

كانت أسرانا تقيمان فى شارع واحد ، لا تبعد احدهما عن الأخرى أكثر



نفرس «أناند» فى وجهى لأول مرة ، وشرع يبتسم مرددا : «أوكى ا» .  
ثم أردف : « ما سمعت هذا منذ زمن » .

أسرعنا دون تدبر ، نخوض برك الماء ، ونتفادى مظلات الناس ، حتى وصلنا - والماء يقطر منا . ونحن نضحك - الى أقرب مطعم . ولم يكن أكثر من «شرب يقدم وجبات خفيفة» سناك بار . فى أحد جانبيه مائدة طويلة ومقاعد عالية بلا مساند ، وفى الجانب الآخر من المكان الصغير بضع موائد . ووقفنا بين الجانبين متهدجى الانفاس ، نجفف وجهينا - دون نتيجة تذكر - بمناديلنا ، ونسوى الشعر المبلل ، ومازلنا نضحك بذلك الابتهاج الطائش الذى تخلقه لحظة كهذه . وقررنا أن نجلس الى مائدة ، لأن «أناند» قال ان الكعكات الجافة ، ذات الحلية السكرية الوردية - التى نسقت بعناية على المائدة الطويلة - تبدو أبعد ما تكون عن اثاره الشهية اذا ما ظلت فى مواجهتنا طيلة الغداء .

كان دخولنا الصاحب قد جعل الرواد الآخرين يلتفتون ويحملقون ، حتى اذا جلسنا الى المائدة . كان الشبان الأربعة أو الخمسة الجالوس الى المنضدة الطويلة - ولعلمهم كانوا كتبة من المكاتب القريبة . متواضعين ، شديدى العناية لدرجة مثيرة للاشفاق بسرراويلهم البيضاء من الكتان ، وقمصانهم البيضاء ( المظهر الذى لا يغفله أحد للكتبة الهنود ) - قد كفوا عن مراقبتنا ، ورجعوا الى تركيز انتباههم على أقذاح القهوة باللبن مرة أخرى ، وعلى الدخان المتصاعد من فطائرهم المنتفخة المتبللة بالكري . واستأنف «الشيخ» الجالسون الى المائدة المجاورة - بمهمهم الزاهية وسلوكهم المتسم بالتعاطف - حديثهم المتهج . وعادت عاملتا الآلة الكاتبة - اللتان تختلط فيهما الدماء الانجليزية بالهندية ، واللذان كانتا فى ثوبين موشين بالزهور - الى همساتهما وضحكاتهما المكتومة ، والى شراهما الفوار .

عندما أحضر لنا الساقى قائمة الطعام ، اكتشفنا ان المطعم كان يدعى «مقهى لاكسمى والميدالية الذهبية» . واسلم هذا «أناند» لنوبة جديدة من الضحك . وبينما كنا فى انتظار شطائرنا والقهوة ، أخذ يتسلى باختيار تجميعات غير متناسقة لأسماء المطعم ، على نمط اسمه : «مقهى فينوس. وصن يان سن» ، و «صالون الثلجات كادبلاك والشيطان الأحمر» وهكذا . وما كانت مبتكراته بارعة ، ولكننا كنا قد أصبحنا بحلول هذه اللحظة فى حالة طيبة من اعتدال المزاج ، وكنا مستعدين لأن نتفكه بأى شئ تقريبا .

واذكر أن أحدها سأل الآخر مرة أثناء هذا الحديث : «ما رأيك الحقيقى فى بمباى ؟» . فأجاب الآخر : «لنواجه الحقيقة . ان بمباى جحيم لا شك

فيه « ٠٠ وبدأنا أولى محادثاتنا اللا نهائية عن نفسينا ، والبيئة المحيطة بنا ، وأسرتينا ، وتكهنتنا المكتتبة بصدد المستقبل . لقد قضينا وقتا ممتعا .

وقبل ان ننصرف ، كان « أناند » قد أخذ رقم تليفون عملى ، وما أنقضى يومان حتى اتصل بى يدعونى الى الغداء ثانية . وقال : « سأعوضك عن أهوال لاكسمى والميدالية الذهبية . سنذهب الى « التاج » ، وهو - على الأقل - مكيف الهواء ، وان لم يكن « البافيون » (\*) .

كان قد حجز مائدة بجوار النوافذ فى قاعدة المائدة بفندق « التاج محل » ، لنستطيع أن نطل - ونحن جالسين - على مياه الميناء الرمادية المنفرة ، ونشاهد سحب الامطار الموسمية المتكاثفة فوق الجزر المتناثرة . وفى الجو البارد - اذا قيس بدفء المطر فى الخارج - شربنا زجاجة من النبيذ ، وأكلنا فطائر اكباد الاوز المحلية « باتيه دى فواجرا » ، وشعرنا بالأسى لنفسينا .

قال أناند : « اننى لا أعرف لماذا أتعب أبى نفسه بارسالى الى أمريكا ، مادام لا يبدو مهتما بأى شىء تعلمته هناك » .

قلت وأنا تواقفة للحديث عن شواغلى : « اننى على دراية بهذه الحال » . - أتصدقين ان المؤسسة كلها تسير على النحو الذى كانت عليه قبل خمسين عاما ، تماما ؟

- أصدق طبعا . خذ المجلة مثلا . . .

- أقصد ان كل شىء ينجز باجراءات شفوية مبهمة . ما من شىء يحفظ وينسق فى أظاير على نحو سليم . ثم هناك الاعتماد الهائل على القوة والنفوذ ومعرفة شخص ما فى الحكومة يدبر الحصول على التراخيص وأذون الاستيراد وما إليها .

- مقابل اكرامية بطبيعة الحال ؟

- أو لخطر صداقة قديمة أو جمائل متبادلة فى الماضى ، أو . . .

- الواقع ان تمكنا من اصدار عدد من المجلة معجزة فى نظرى ، اذا راعينا ان احدا ممن يصفون الحروف لا يتكلم الانجليزية ، فهم مضطرون لأن يصوغوا القوالب بلغة لا يعرفونها ، ومعكوسة - كصورة فى مرآة - وباليه . - هذا كله تخلف عن الزمن .

ANDRÉ G. STYLLER 1971

(٢٢) البافيون بالفرنسية ، والباقليون بالانجليزية ، هو اسم مطعم فاخر فى فرنسا وأمريكا .

- بوسعك ان ترى اننا انما نحتاج – فى الحقيقة – الى عدد كبير من مصححي « البروفات » وعدد ضئيل من المحررين ..
- ولكنك لست مضطرة – على الأقل – لأن نعامل مع الاسرة كذلك .. مع العدد الكبير من اخشاب ميتة فى صورة أعمام الأب المسنين . وأبناء أبناء العم ذوى الذكاء المعتم ، الذين لا بد من استخدامهم !
- ألا تملك اقتراح اقصائهم واعطائهم معاشا ؟
- لا تظنى أننى لم أفعل . ولكن أبى يفتصر على الابتسام ويقول اننى لن ألبث أن أهدأ وأستقر عما قريب . أوآه ، ما الجدوى ؟
- كانت مناقشاتنا تكاد تنتهى دائما بأن يقول واحد منا ، فى ضيق مبالغ فيه : « هكذا تسير الأمور . أحسب أن علينا الآن ان نعود الى مناجم الملح (١) ؟ » .. وما أضفت قط اننى كنت استمتع بعملى .
- لم نطقن فى ذلك اليوم – الا عندما هممنا بمبارحة « التاج » – الى كثرة الذين نعرفهم أو كانوا يعرفوننا أو يعرفون أحدا من أسرتنا – ممن كانوا يتناولون الغداء فى قاعة الطعام الكبيرة . فابتسمنا أو أومأنا لعدد من الناس – ونحن نشق طريقنا خارجين – وعرجا على عدة موائد لتبادل التحيات . وكنا معا نشعر – فى سخط متزايد – بالنظرات المتكهنه ، وبالفضول المتكتم بحرص وراء مجاملات الكلام الشكلية الساره . وسرت و « أناند » متنديين صامتين الى درجات سلم الفندق الواسعة طولا الواطئة عرضا . وأظنه كان يحاول ان يبدو غير مكترث .
- ولم ينفجر مغضبا الا حين بلغنا الطريق ، اذ قال : « عليهم اللعنة ! .. يالهم من ققط متلصصة ! أى شأن لهم . على أية حال ؟ » .
- قلت متكهنه : « أنه النبيل .. حتى الذين ذهبوا للخارج كثيرا ، لا يتناولون الخمر أثناء الغداء » .
- « هببه كذلك . فما الذى يعنيه فى هذا ؟ » .
- « أنها أساليب أجنبية مستهجنة . بجانب انهم .. » .
- « بجانب انهم ليس لديهم ما يفعلونه سوى الخوض فى سير الناس » .
- « هو هذا طبعا ، ثم انك – بجانب هذا – تعتبر فى نظرهم صيدا ثميننا ، فمن الطبيعى أن يتساءلوا » .

(١) اشارة الى العمل القهري .. اذ كان المسجونون يستخرون فى مناجم الملح .



عبس « أناند » ونحن نضرب الطريق الى حيث كانت سيارته ، بجوار سياج البحر . وفتح الباب لى ، ثم ركب خلف عجلة القيادة . ولم يدرك للحظة أو اثنين ، وانما جلس ويداه على العجلة . وقد أساح برأسه عنى ، يخلق مهددا فى نور ما بعد الظهر ، الذى كان يحتمل ان يدلهم فى أية لحظة لمطر .

وخيل الى أنه على وشك ان يخبرنى بشىء — عن خيبة رجائه فى أمر ما ، أو عن علاقة غرام — ولكنه بدلا من ذلك ضم أصابعه فى توتر فجأة ، وقال : « الى الشيطان بهم . فليتكلموا اذا لم يكن لديهم ما هو أفضل » . قلت وأنا أرجو ألا ينم صوتى عن اهتمامى بهم : « نعم . مهما يكن ، فمن ذا الذى يابه ؟ » .

فابتسم فى وجهى قائلا : « هكذا تكون الروح . سنريهم ! » .

تناولنا الغداء فى « التاج » مرات عديدة بعد ذلك ، ولكننا كنا فى كل مرة أكثر تحديا ، وأكثر شعورا — نوعا ما — بالنظرات المتسائلة ، مدركين دائما اننا وحدنا كنا الاثنين « غير المرتبطين » اللذين يتناولان الغداء معا . أما الآخرون فكانوا رجال أعمال ، أو أزواجا وزوجات يقومون بمجاملات بحكم الواجب ، لم يكن بوسعهم — لسبب ما — ان يقيموها فى بيوتهم ، أو سيدات يأتين جماعات ، أو أجانب .

وعندما كنا نقف داخل مدخل قاعة الطعام . كان « أناند » يقف لفترة ثانية ، ثم يمسك بمرفقى ويقول شيئا ، شبيها بالتالى : « تقدمى ، لنوجه ضربة من أجل الحرية » ، أو « دعينى أرفع عصا العيينين . سأواجه فرقة الاعداء كرجل » . ولم يكن يخدعنى . أو يخدع أى شخص آخر ، فيما أحسب ، بهذا القول .

ان « بمباى » مدينة كبيرة — تضم ما يزيد على مليونى نسمة — ولكنها فى حياتها أقرب الى مجموعة من القرى . وفى جماعتنا مثلا ، كان كل امرئ يعرف الآخر ، بالنظر على الأقل . فكنا فى أى من الفنادق أو المطاعم — التى اعتدنا التردد عليها — موقنين بأننا سنلتقى بصديق أو قريب أو أحد المعارف . وكنا جميعا نذهب الى نفس الحفلات ، وننتهى الى نفس النوادى . بل أن كلا منا كان يعرف سيارة الآخر ، وكانت النظرة السريعة الى أى صف من السيارات فى موقف ما ، تنبئك بأن السيدة فلانة تبتاع مجوهرات لدرس ابنتها ، أو أن السيد علان يحضر اجتماع احدى لجان نادى ويلينجدون . لهذا ، كان كل امرئ يعرف طبعاً أن « أناند » وأنا كنا نتناول الغداء معا مرتين فى الاسبوع ، ومن المؤكد ان أسرتهما كانتا تسمعان أننا نشاهد معا .

ولم يذكر لى والدائ قط هذا الأمر ، وان كان ثمة قدر من التوجس مسلكهما كلما ورد اسم « أناند » فى حديث • ( ويالها من لحظة محزنة حين يصبح الوالدان لأول مرة فى شئ من التخوف من ابنتهما ) • و . أنهما - فيما بينهما - يتجاوزان عن كثير من التساؤل والتعليقات من اصدا وأقاربهما • بل ان الناس كانوا يقولون لى أحيانا : « هل تأتين لحفلة السبت ؟ • • سيكون أناند موجودا » • واذا كانت أم « أناند » قد نه يوما بأنه موضوع أحاديث الناس فالواضح أنه لم يكن يرى نصحتها . بأن يكرره أمامى • وأستطيع القول انها - دون الجميع - كانت انزعاجا ، اذ كانت شديدة التمسك بالتقاليد ، رغبة فى زواج طيب وم لأبنها الأوحده ، الذى حيره وأذهله ، ما تظن هى أنه نوع من السلوك وال المعقد ، الذى يبدو لها متصنعا - وهو شئ يبدو لى فى غاية العجب ، أنظر اليه بأثر رجعى •

وكان « أناند » - من آن لآخر - يصطحبنى بعد أن يقفل م أبوابهما ، الى داره للشاى • وأظنه كان يفعل ذلك بدافع من مراعاته دخيلته - لأمه ، ليريح بالها بصدد الصحبة التى كان مقبلا عليها ، بأن اننى لم أكن فتاة نزقة متهورة وان كنت أعمل فى مجلة • ولست أدرى ا مدى طمأننتها وقد كنت قصيرة الشعر ، مخضبة الشفتين ، لا أضع نقه وسط جبينى كما تقضى التقاليد • ولكنها كانت تحينى دائما بأدب ، كفيها بالنحبة التقليدية للهندوس ، وترمقنى بنظرات مأكرة حين تظننى لا إليها • وما كان بوسعنا أن نتبادل الأحاديث ، اذ كنا من طائفتين مختلف فلم تكن تتحدث الا باللغة « الجوجيراتى » ، بينما كانت لغتى « الهندوكى وكانت دائما تبقى معنا فى حجرة الجلوس الى أن يحضر أحد الخدم الش ثم ترفع قوامها المسترخى عن مقعدها ، وتومئ محيبة اياى ، ثم تتركنا و- وكنا نفطن دائما الى وجودها فى الحجرة المجاورة ، وراء مدخل مقبى ت عليه الستائر ، ونسمع من حين لآخر رنين فنجانها اذ يلامس طبقه • حديثنا دائما يميل الى التحفظ المتكلف ، بالرغم من انها لم تكن تفهمه

ولعل هذا الضغط الصامت ، أو لعله مجرد نوع من التمليل ، هو جعل « أناند » وأنا نهمل الأماكن التى اعتاد أبناء جماعتنا غشيانها ، و عن مطعم أكثر تواريا للقاءاتنا للفداء • فقد ظلمنا لا نتمالك أن نتأثر ب من يعرفوننا ، بالرغم من اعتبار نفسينا متحررين • ولم تكن ثمة جدو انكار اننى كنت أهتم بالرأى العام ( وان لم أكن بحاجة للقول بأننى دائما أنكر ذلك لأناند ) •

وأحسبني كنت قد بدأت أفقد تهور وعناد « العائد من إنجلترا » ، بيد-  
 اننى لم أكن مستعدة للكف عن ملاقة « أناند » للغداء . كنت ارتاح اليه ،  
 وانتظر بشئ من نفاذ الصبر اتصالاته التليفونية ، والصوت اللطيف وهو يقول  
 شيئاً من هذا القبيل : « هالو ؟ ٠٠ أهذه هي الفتاة العاملة ؟ » ( كان هذا من  
 تعبيرات الشجى الاثيرة لدى أناند ٠٠ اذ كانت الفتاة العاملة ذات غرابة مميزة  
 فى بمباى فى تلك الأيام . فلو انك من أسرة محترمة قادرة على أن تعولك ،  
 لما كان يفترض ان تعملى لتكسبى مالا . لم يكن على العمل الاجتماعى غبار ما .  
 ولكن العمل فى شئ يحاط بالشبهات كالصحافة شئ آخر ) . وكان يقول  
 أحيانا : « أنا العميل السرى ٥٠٧ . أنت من الزملاء المناضلين فى المقاومة ؟ »  
 أو « أنا أخاطب الآنسة تحرير المرأة ؟ » .

وكنت فى أى الأحوال أضحك وأقول : « نعم » ٠٠ فيقترح ان نجرب  
 طعاما صينيا ، أو نتناول دجاجة مثبلة فى حانوت ايرانى معين ، أو أن نذهب .  
 — اذا كان اليوم من الأيام الحارة ، عديمة المطر ، فى أواخر فصل الامطار  
 الموسمية — الى شاطئ « سوباتى » ونأكل الأصناف الرخيصة من الاخلاط  
 اللذيذة الغزيرة التوابل ، التى كان الباعة يبتكرونها . ولم يعد — باتفاق  
 صامت — يأتى الى مكتبى لاصطحابى . وبدلا من ذلك أصبحنا اما أن نلتقى عند  
 موقف سيارات الأجرة عند الناصية ( تاركين سيارة أناند مستقرة فى الدرب  
 الممتد خلف مبنى مكتبه ) واما أن نصل منفردين لمكان اللقاء .

كنا مرة منطلقين فى سيارة الى « كولابا » — أقصى نقطة جنوبية من  
 الجزيرة — واذا « أناند » يميل فجأة للأمام ويطلب من سائق السيارة التوقف .  
 ففى شارع لا يمتاز بطابع خاص ، تقوم على جانبيه منازل فردية للطبقة  
 المتوسطة ، لمح لوحة عليها : « محل جو » — سماه جندى أمريكى برح به  
 الحنين ، وجد سبيله الى ذلك المكان أثناء الحرب — فسرعان ما أصبح ذلك  
 مطعمنا المفضل . أولا لأننا شعرنا بأننا مكتشفاه ، ثم لان طاهيه كان من  
 « جوا » ، وهذا معناه ان بوسعك ان تطلب اللحم البقرى ، على نقيض المطاعم  
 الهندية الأخرى . اذ أن معظم الهندوس لا يأكلون اللحم البقرى ، ولا يطهونه ،  
 ولا يبيعونه فى محلاتهم ، فكان من جراء ذلك أرخص اللحوم فى بمباى .  
 كنا نأكل الكثير من لحم البقر فى « محل جو » ، وكثيرا ما كنت أتمثل  
 « أناند » فى بيته فى المساء ، يجد لذة كبيرة من تصور ارتياح أمه لو انها  
 علمت بأن فى جوفه شواء من لحم البقر .

وسرعان ما ألف صاحب المحل — الذى كان « أناند » يدعوه « جو » ،  
 بالرغم انه كان هنديا دينيا ، بشوشا — ان يرانا مرة كل يومين تقريبا .

والحق اننا لم نستطع أن نتصور كيف يمكنه أن يكسب شيئا ، اذ أننا لم نجد قط في المحل أحدا سوانا ، أناند وأنا . وكان « جو » يحضر الطلبات بنفسه ، وهكذا لم يكن لديه سقاة ولا خدم . وقال « أناند » ان المكان ربما كان واجهة للتستر على أنشطة تمت للسوق السوداء ، وان للمرء أن يتوقع أى شيء من رجل يفتح « محل جو » فى بمباى . والأرجح ان السبب الحقيقى الواقعى ، هو أن معظم عمل « جو » كان يتمثل فى طهو الوجبات وارسالها للطاعمين خارج المحل .

وأصبحنا نتمكن من السكن الى « محل جو » حتى اننا ابتعنا مفرشا للمائدة ، لنخلع على المكان شيئا من اللياقة ، فكان يبسطه فى زهو على المائدة التى فى الركن ، وهو لا يكف عن أن يذكر انه قد غسله منذ تغدينا فى المرة السالفة . وكنا نحفظ بزجاجة « جن » عند « جو » ، وعلمناه كيف يعد عصيرا طازجا من الليمون الهندى ( الليم ) معه ، ليتسنى لنا أن نتناول « كوكتيل » قبل الغداء . ولم يكن لديه ترخيص لبيع المشروبات الكحولية ، فكان يمزج « الكوكتيل » لنا دائما فى قنينة غير شفافة ، كتب عليها « زنجبيل ناشف » ، تحسبا لمقدم أى أحد . ولعله كان يضيف ماء الى « الجن » ، ولكننا لم نحفل كثيرا ، لأن الفكرة ذاتها هى التى كانت مبعث سرورنا .

كنا نجلس الى مائدتنا بين نافذتين ، نرمق من آن لآخر الحديقة الصغيرة غير المنسقة ، وشجيرات الياسمين ، وحركة المرور العابرة ، وتبادل الحديث . وكما كنا نتكلم ! .. حديث مستمر متصل . أحيانا نقول : « هل قدر لك فى الولايات المتحدة الامريكية .. » ، أو « أتتذكر .. » وما الى هذا . وأحيانا كان الحديث يتناول أحداثا فى البيت و فى مكاتب عملنا . وكنا نتحدث كثيرا .. عنهم ، و « هم » تتضمن أى أقارب أو أصدقاء كنا نعتبرهم عتيقى الفكر ، متدخلين ، يفتقرون للفهم . وكنا نتناول أحيانا أحكامهم الظالمة بالنقاش ، وكانت كثير من محادثاتنا تبدأ بعبارة : « اتعرفين ما ذهبوا اليه وما فعلوا ؟ » .. وامتد كلامنا طيلة الشهور السابقة على الرياح الموسمية ، الى أيام باكورة الشتاء بجوها الذى تشبع فيه البرودة والصحو . ويبدو لى الآن انها كانت معجزة ان استطعنا ان نجد مثل هذه الوفرة من التعليقات عن تفاصيل ودقائق حياتنا العادية التى ليس فيها ما يثير الخيال أو يبعث على الاهتمام .

ولو كنا أكبر سنا ، أو أقوى ملاحظة ، لكننا قد عرفنا يقينا ان هذه الحال لا يمكن ان تدوم أمدا أطول . كنت أشعر - شعورا مبهما - بأن كل يوم يمر علينا فى « بمباى » كان يجلب معه قدرا ضئيلا من الاسترخاء فى سخطنا على ( الأحوال فى الهند ) ويقلل من وضوح رؤيتنا لمعالم حياتنا فى أمريكا . على أنه ما دار بخلدى قط ما كانت أسرة « أناند » خليفة بأن تعدله

كحملة مضادة على تدمره بوصفه « عائدا من إنجلترا » . كانت أم « أناند » غير معقدة ، تأخذ الطريق المباشر دائما الى غرضها ، وما كانت هناك - في نظرها - سوى طريقة واحدة واضحة وفعالة للقضاء على الداء بأكمله دون انتظار لأساليب الزمن البطيئة .

كنا في « محل جو » حين أعلن « أناند » وصول « جاناكى » . وأتذكر اننى كنت قد وصلت للمطعم مبكرة وكنت أجلس الى مائدتنا حين جاء « أناند » كان في مشيئه قدر من التوتر دائما . ولكن توتره فى ذلك اليوم كان أكثر بروزا . وكان يحمل منكبىه الضيقين بطريقة مشدودة ، ويبدو عليه أنه مهموم . فسألته على الفور عما اذا كان هناك ما يشغل باله . فتساءل بحدة ، وكأنما التعبير قديم غير مستعمل : « ما يشغل بالى ؟ ولماذا يكون هناك ما يشغل بالى ؟ » .

- الواقع اننى لا أدرى . كل ما هنالك ان شكلك يبدو غريبا .

قال متعمدا سوء الفهم : « لا أشعر بأن شكلى غريب » .

أحضر له « جو » جرعة الكوكثيل . وسأل - فى قنوط - عما اذا كنا نريد شواء اللحم البقرى مرة أخرى .

فلوح له أناند بيده نافذ الصبر . وقال : « فيما بعد . . سنقرر فيما بعد » . ثم نظر لى فى صمت ، وقد قطب جبينه منذرا : « أتعرفين ما ذهبوا اليه وما فعلوه ؟ لقد دعوا شخصا من أبناء العمومة . . البعيدة ، للاقامة » . ولم يبد لى أن فى الأمر نكبة خطيرة . فأبناء العمومة يأتون - منذ الأزل - للزيارة مدعوين أو غير مدعوين . ولكل الأقارب الحق فى أن يقدوا عندما يروق لهم هذا ، وان يمشوا ما شاءوا . لهذا بدا ما أعلنه غير مدعاة للضيق ، ولكنى سألته فى حذر اذ بدا جد مهموم : « وأحسب انه سيكون مرتقبا منك أن تهيئه لشغل وظيفة ما فى الشركة » .

قال أناند : « انها فتاة » .

وكان هذا نبأ مفاجئا حقا ، فتساءلت : « فتاة ؟ . . هل ستعمل فى الشركة ؟ » .

- كلا ، طبعا . أليس بوسعك أن ترى ما يدبرون ؟

- كلا ، فى الواقع . ليس بوسعى .

قال وهو يبدو عديم الحيلة ازاء هذا الغباء : « الا ترين ؟ . . انهم يحاولون تدبير زواج لى » .

ولم يسعفنى الفكر بشئ أقوله ، سوى عبارة غير مقنعة : « كلا بالتأكيد » .

ومضى يقول غير ملق بالا لما قلت : « اننى لاذهب الى القول بأنهم يظنون انهم بارعون . يجمعون بيننا - كما ترين - بحيث لا يجرحون ايثارى الأجنبى » وضغط على الكلمة بمرارة وهو يواصل الحديث « غير المفهوم لهم لأن أفكر لنفسى فى هذه الأمور . ان علينا أن ننمى حب كل منا للآخر . بطريقة غير محسوسة . أوآه ، اننى لأرى المؤامرة بأكملها » .

- لا بد انك تتوهم كل هذا .

- انها وصلت مساء أمس . وما أخبرونى بأنها كانت قادمة .

- ولكن الناس دوما يأتون دون توقع .

- أعرف هذا ، ولكنها جاءت مدعوة . هكذا أخبرتنى هى .

قلت : « يالك من مسكين يا أناند » . كنت أسفة لأجله ، ومغضبة من أجله . لم تكن ثمة بوادر غرامية متبادلة بينى وبين أناند ، لهذا لم تكن الفتاة تمثل أى تهديد شخصى لى ، ولكنى رأيت صادقة ان المسألة مسألة مبدأ ، وواجب المرء ان يقف فى صف المبدأ . كنا كثيرا ما اتفقنا على أن نظام الزيجات المدبرة اهانة جوهرية لحقوق المرء كإنسان . انه التدخل النهائى ، الذى لا يطاق من العائلات المتسلطة . وحاولت ان أفكر فى شئ أواسيه به ، ولكنى لم استطع سوى أن أقول فى استخزاء : « كل ما عليك أن تفعله هو أن تصمد الى النهاية » .

قال : « وأشاهدها تؤدى الواجبات الصغيرة فى البيت ، وتجعل نفسها بهدوء شخصا لا غنى عنه ؟ » وأردف بابتسامة محنقة : « ومع توالى السنين . . اتظنين اننا سنكبر معا محتفظين بكياستنا ولباقتنا ؟ »

قلت ضاحكة : « لا تكن بهذا الحمق . انها ستضطر للرحيل ، عاجلا أو آجلا .

لاح انه بدأ يبتهج ، وتساءل : « ولكن ، هل سأعيش حتى ترحل ؟ »

قلت وأنا أفكر - لأول مرة - فى الفتاة : « ليس فى هذا انصاف للمسكينة . أعنى - اذا كانوا قد أيقظوا آمالها » .

- حسبك ، لا تسرعى فى العطف عليها . ان الطريقة الوحيدة للتخلص من هذا الأمر نهائيا ، ان أجعل موقفى واضحا . . ان اتزوج غيرها فورا . ما أحسبك تفكرين فى الزواج منى . . أتتدبرين هذا ؟ .

قلت مجفلة : « يا للسماء ! - كلا . لا أراك بحاجة للجنوح الى هذا  
التطرف .

- ربما لا . سنرى .
- وأخيرا ، خطر لى أن أسأله : « ما اسمها ؟ » .
- جاناكى .
- اسم جميل .
- ان نفسى تغشى له .



ترقبت موعد غدائنا التالى بصبر نافذ . فلما التقى بعد يومين فى مطعم  
« جوا » ، شرعت اسأل أناند فى تلهف : « كيف تسير الأمور ؟ » . كيف  
تسير علاقتك بجاناكي ؟ » .

وبدا أناند بعيدا عنى بفكره ، ضجرا نوعا ما بهذا الموضوع ، وصاح :  
« جوا ! مزيدا من الشلج ، بحق القديس بطرس . ليس المفترض فى الشراب  
ان يكون دافئا . وطرق المائدة بأصابعه ، بحركة عصبية مألوفة ، وقال فى  
اصرار : « انه لن يتعلم قط ! » ثم قال بعد فترة : « جاناكي ؟ » . انها بخير  
فيما أظن . مصدر ازعاج ضئيل » .

- أهى تبالغ فى التلطف اليك ؟
- الواقع اننى أشهد لها بهذا ، فهى تحرص على ألا تقف فى طريقى .
- قلت وقد غشينى شعور غامض بخيبة الأمل : « أوه ! » .
- الذى يغيظنى هو مجرد شعورى بأنها موجودة دائما .
- شعور كهذا خليق بأن يقودنى للجنون .
- ثم قال فى لهجة غاضبة مفاجئة : « انها امرأة الى أبعد الحدود » .
- أتعنى انها تحوم حولك ؟
- ليس هذا ، الى حد كبير ، ولكنى أراها تأمل فى أن أتناول عشاء  
طيبا ، أو أن أكون قد نعمت بيوم طيب فى العمل ، أو ما الى ذلك .
- هذا يبدو حريا بشملى غرورك .

– بل ارى أنها الخطة المرسومة . الأمر الذى يدعو للاشفاق ، هو أنهم يجهلون طبيعتى تماما اذا كانوا يظنون انها من نوع الفتاة التى أود الزواج منها .

– وما نوع الفتاة التى تود ان تتزوجها ؟

قال فى عجز : « علم هذا عند السماء . انما أريد فتاة مختلفة تماما ، على أية حال لقد عرفت فتاة من هذا النوع يوما ما .

قلت وقد أثار اهتمامى : « أكانت هناك فتاة فى أمريكا ؟ »

– أليست فى أمريكا « فتاة » دائما ؟ . هذه عادة متوارثة كانت – فى عهد آبائنا – ابنة صاحبة المنزل التى تؤجر غرفة مفروشة للطلبة فى مكان ما فى « إيرلز كورث » بلندن . وهى شقراء لطيفة لا تصد أحدا .

– وفتاتك ؟

– لطيفة لا تصد ، ولكنها ارفع من ابنة صاحبة المنزل بعدة درجات . كانت فى السنوات النهائية فى الكلية . وكانت لها أسرة لطيفة – اذا احتل المرء الأسر – كانت فتاة حيية ، ولكنها كانت مصممة على الايمان بأن محيط المنزل المريح السعيد هو خير وقاية للفتاة . وما أظنهم كانوا يقيمون اعتراضات كثيرة لو أقدمنا على الزواج .

– اذن فلماذا لم تتزوجها ؟

– لست أدرى . هل تغلح هذه الزيجات ؟ اننى لا أدرى حقا .

– أحسب ان والديك كانا خليقين باثارة عاصفة .

– قبل الزواج . . لو اننى أخبرتهما . وليس بعده . فاذا ذاك ، يكون التفاعل الكيميائى اللعين الذى يحول الفتاة الى كنة ( زوجة ابن ) قد أدى مفعوله . وكانت هذه هى المشكلة حقا .

لم يكن بوسعى أن اتصورها كنة هندية تعيش فى أسرة فى بمباى . . أية ورطة كان هذا خليقا بأن يحدثها . وجود المشاعر الجريجة ، والاتهامات المتبادلة ، وخيبة الرجاء . ومضى فى لهجة صادقة جادة ، وكأنه يتناول نقطة هامة : « لست مرهف العاطفة نحوها . أعنى ، اننى أعلم انها لم تكن فائقة الجمال أو ما الى ذلك ، ولكنى أعلم انه كان لى شخصية مستقلة فى ذهنها . بعيدا عن كوتى مجرد ابن شخص ما ، أو مجرد رجل تتزوجه ، أو امرئ ذى روابط طيبة بدوائر المال والأعمال » .



... وهل أنت كل هذا لدى جاناكي ؟

... أظن هذا • فماذا أكون سواء ؟

واذ بارحنا مطعم « جو » بعد الغداء ، قال : « أرى انه يحسن بك ان تأتني لتناول الشاي ، كي تلتقي بها • هل يروق لك هذا ؟

... كنت آمل ان تدعوني •

... وهو كذلك اذن • غدا ؟

قابلت « أناند » في اليوم التالي ، بعد العمل ، وأنا مفعمة بالانفعالات المثيرة ، فأقلني بالسيارة الى بيته • وسألته : « هل ستستاء أمك لأنك دعوتني ؟ »

... لماذا تستاء ؟ • انك تناولت الشاي معنا من قبل •

... ولكن الأمر يختلف الآن •

قال وهو يأبى تقبل الموقف : « لا أستطيع ان ارى سببا لذلك » •

قلت : « لاتكن بهذا الغباء ! » • • • • • وجال بخاطري ، يا للفتاة المسكينة • • • • • سيكون من المخيب لآمالها بدرجة كبيرة • ان يصر على ان يعاملها كمجرد ابنة عم عرضت له أو جاءت لقضاء فترة • وسألته : « هل تترك أمك بلباقة وحيدا معها لتتناولا الشاي ؟ » •

... أبدا • انهما تثرثران معا عن مختلف التفاصيل المنزلية • • • انه حديث مهمل كل الملل •

لم يكن الأمر مملا بالنسبة لي • ذلك لأن أم « أناند » كانت أكثر مودة وحفاوة بي مما كانت في الزيارات السابقة بكثير ، وسألت نفسي ان كانت قد اطمأنت الى نجاح خطتها الى الحد الذي لم أعد فيه الآن مصدر خطر • ثم • • • كانت هناك وطأة الانتظار لرؤية شكل « جاناكي » ، وكيف تبدو •

وجاءت مع الخادم الذي حمل صينية الشاي ، مزينة ستار قوس حجرة المائدة ليتمكن من المرور بسهولة • كانت ملتفة الجسم ، مشوقة القوام ، ذات وجه جميل جدا ، وابتسامة تجريبية مستحجية ، ثم عن حساسية ، لاح انها كانت على استعداد لمحوها في الحال اذا لم تكن مستعدة لأن تبتسم معها • ورأيت للتو انها كانت الكنة المثالية لأية حماة • • • فهي وادعة ، مطيعة ، نافعة • • • كان شعرها مشدودا الى الخلف في العقدة المعهودة عند مؤخر العنق • وكانت على جبينها النقطة الدالة على انها عذراء « النيككا » ، ولا تملو وجهها أية أصباغ

سوى أخف لمسة من أحمر الشفاه ، وحتى هذه ، رأيت انها ربما كانت تجربة جديدة عليها ، اكراما لأذواق « أناند » الغربية .

كان حديثها موجهها فى الغالب لأم « أناند » ، وبلغت « الجوجراتى » ، ولاحظت انها كانت قد اضطلعت فعلا ببعض واجبات المضيغة . فصببت الشاي ، وسألت - بلغة انجليزية واضحة ، لطيفة - عما اذا كنت آخذ لبنا وسكرا . وقامت بتقديم أطباق الفطائر الصغيرة والحلوى الهندية .

قلت فى تكلف بعد أول قطعة تناولتها : « ان هذه لذيدة » .

وأدركت أم « أناند » لهجتى ، وان لم تفهم الكلمات ، فقالت لأناند شيئا بلغة الجوجراتى .

وترجم قولها دون تحمس : « لقد صنعتها جاناكى » .

مسحت « جاناكى » - فى ارتباكها - فمها بمنديلا بحركة حاسمة . شأن من لم تتعود خضاب الشفاه ، ثم نظرت بدهشة وفزع للبقعة الحمراء على المنديل . ورأنتى أراقبها ، فأولتني احدى ابتساماتها المستحبة .

وبادرت قائلة أول ما خطر بذهنى : « ما أبرعك . اننى اتمنى لو أستطيع الطهو » .

أجابت : « ان تعلمه سهل جدا » .

- لا يبدو أن هناك أى وقت له .

قالت دون تهكم أو حسد البتة : « هذا حقيقى بالنسبة لمن هى مثلك .. تمارس حياة حافلة بالعمل ومختلف الاهتمامات » .

شعرت بخجل من نفسى ، لغير ما سبب كان بوسعى ان أعينه .

واصلنا الحديث فى الامور العادية ، واستمرت « جاناكى » فى وضعها بدرجة تدعو للاعجاب ، قادرة على ان تبدى الاهتمام بمعظم التعليقات العادية . دون ان تغفل إعادة ملء الاقداح والأطباق . وأخذ الحديث يقتصر تدريجيا على « جاناكى » واياى ، لأن « أناند » اسنسلم الى صمت واجم . واتذكر اننى لم ار ان بوسع أحد ان يلومه حقا . فان مما يثير الحنق حقا أن يضطر الانسان الى مواجهة هذا التأدب الوديع المضجر بعد العمل كل يوم . أخيرا ، وثب عن مقعده قائلا ان لديه أوراقا يريد الاطلاع عليها ، وغادر الحجرة . ومالبت ان انصرفت بعد ذلك بقليل .

رافقتنى « جاناكى » حتى الباب الخارجى ، وبغفوية غير متوقعة ، أَلقت يدها على ذراعى وقالت : « أرجو ان تأتى لتناول الشاى مرة أخرى • أعنى اذا لم تكونى جمة المشاغل • لكم أود هذا ، فليست لى صديقات فى بمباى » •  
 - سيكون هذا من دواعى غبظتى • ويجب ان تأتى انت الأخرى لتناول الشاى معى •

- كلا . شكرا جزيلا لك • قد أفعل ذلك فى وقت لاحق ، ولكن لابد لى من دراسة عادات هذا البيت أولا • أنك تقرين هذا ، أليس كذلك ؟

وسرت الى بيتى على قدمى ، وأنا اعجب من مزيج الاضطراب العصبى والثقة لديها ، ومن واقع أنها كانت تشعر عن يقين بأن لها مكانا دائما فى ذلك البيت ••

وعندما التقينا فى موعد غدائنا التالى ، كان « أناند » هو الذى وجه أسئلة متلهفة : « وبعد ؟ • ماذا وأجبت بعبارة عامة : « بدا انها لطيفة جدا » •  
 - اتعنى •• ربة البيت الصغيرة ؟

- كلا •• اعنى انها وديعة وتواقة للارضاء والتلطف •

- انك أشبه بأمى .، فهى تقول : « فتاة طيبة النفس • جدير بك أن تعتبر نفسك موفق الحظ » •• أحسبها سألتك ان تكونى صديقة لها ؟  
 - كيف عرفت ؟

- انها ليست بلهاء كما تبدو • قالت الشىء ذاته لى : « ألن تسمح بأن تكون صديقين يا أناند ؟ » •

واصطنع لهجة سكرية مصطنعة ، غير مقنعة ، وهو يقول هذا ، ثم عبس واردف : « الطرف الرفيع للوتد ، الا ترين ذلك ؟ • ان الأمر جدير بأن يكون مضحكا ، لولا انه محزن •

قلت مدافعة عنها : « انها حسنة الشكل جدا ، على الأقل » •

- انها أسمن مما ينبغى •

- أظن هذا أنسب لها •

- أمى تقول انها نقطة قوية تحبها •• اذ انها تعوض ضعف تكوينى •

كان « أناند » مرهف الحس ازاء طوله ، وقال بصوت مؤثر يدعو المرء للعطف عليه : « رأى سليم جدا بالنسبة لتحسين النسل •• زواج فتاة قوية ،

موفورة الصحة مثل جاناكي برجل ضعيف مثلي ، فنحظى بفرصة انجاب اطفال اقوياء أصحاء يأخذون عنها صفاتها • ان الأطفال – كما ترى – هم النقطة الرئيسية في هذا التدبير • اننى الابن الأوحده • ويجب أن انجب أطفالا • ولا مئ سياسة بسيطة ساذجة ازاء هذه الأمور » •

قلت بلهجة أقرت الى عدم المواساة : « يجب ان تقر بانها تصلح أما طيبة جدا » •

– ما من شك هناك البتة • انها بطبيعتها تحبذ دور أمنا الارض العظيمة • ولكنى أعاف أن أشاهد تحت هذا الضوء المستمد من الزراعة والأرض والانبات •

غلبت جاناكى على حديننا أثناء الغداء ، فى الأسابيع التى أعقبت ذلك ، كما تناولت الشاى معها مرارا • وكنت أحيانا أتناوله مع جاناكى وحدها ، اذا تأخر « أناند » فى مكتبه ، أو اضطر لحضور اجتماع لمجلس الادارة ، فكانت توجه مئات الأسئلة عن أمريكا ، محاولة – فى ظنى – ان تكون صورة لحياة أناند هناك والخلفية التى بدا انها تؤثر عليه تأثيرا كبيرا • وقالت انها كانت متحمسة باطراد لمعرفة كل شئ أمريكى ، وقد بدا لى الامر ممتعا ، لانه كان يجعلنى أشعر بأننى متفوقة فى خبرتى • ولقد سألتنى مرة ان اعلمها الرقص ، فاذا بى اضطر على غير توقع • كان فى افتقارها للطابع الغربى شئ تراح له النفس ، وماكنت راغبة فى ان تفقده •

– سأعلمك اذا كنت راغبة حقا ، ولكن • •

– ان أناند يحب الرقص ، أليس كذلك ؟

بلى ، ولكن أليس الأفضل ان يعلمك بنفسه ، بعد ان • • أقصد حين • • أعنى ، فى وقت لاحق ؟

قالت : « اتظنين هذا أفضل ؟ » • • وكانت تعنى طبعاً : « الطريقة الأفضل فى معاملة أناند ؟ » •

قلت بلهجة ذات معنى يتسوق وهذا : « نعم • • ما أحسبك تودين ان تلوحى جده مثلثة » •

فاومات برأسها قائلة ، وهى تتقبل رأيى كقرار حاسم : « حسن جدا » •

بهذا المستوى من الصراحة المضمرة ، كانت كل منا تفهم الاخرى أكمل فهم •

وكانت تسألنى – بصراحة أحيانا ، وبأسلوب غير مباشر أحيانا أخرى – عن أذواق أناند وما يفضل • واتذكر اننا جلسنا طويلا نتحدث عن مظهرها •

هل تستعمل مساحيق الزينة ؟ هل تقص شعرها ؟ ما الرأى فى ثيابها ؟ ٠٠ ولقد قلت لها انها كانت رائعة كما هى ، ولكنها ألحت : « ألم يقل أى شىء قط ؟ ٠٠ لا بد انه أبدى ملحوظة ما » .

قلت فى تردد : « الواقع انه ذكر مرة أنه يراك نميلين الى السمينة » . فقالت دون أثر لاستيياء : « سرعان ما سأصبح نحيلة » .

— يا لسماء ! لا تأخذى هذه الملاحظة مأخذ الجد بهذه الدرجة .

قالت تطمئننى : « ليس هذا بشىء يذكر . ما على المرء سوى تحاشى الأرز والدسم » . وقد فعلت كذلك ، ولأحظت الفارق بعد اسبوعين .

كان الجو أكثر اكفهراراً وتوتراً ، فى وجود أناند . من التأدب البارد فى أيامه الاولى مع جاناكى ، تحولت حاله تدريجاً الى ضيق ، يتجلى فى صمت غاضب ، ثم — فى وقت لاحق — الى نوع من المداعبة المتوارية ، الموشاة أحياناً بالرغبة فى جرح الشعور . كان يحييها مثلاً بعبارات مصوغة فى الأسلوب الأتى : « ماذا كنت تفعلين اليوم ؟ تطرزين الملاءات ؟ تحكيين منسوجات لصندوق الأمل ؟ » فكانت جاناكى تبدو مرتبكة وتبتسم ، وكأنها لم تفهم نكتة بارعة ، والواقع انها كانت مبدعة فى اشغال الابرء ، وكانت تقوم بوشى فخم وأنيق على كل أنواع الأشياء — أغطية ظهور المقاعد وأذرعها ، ومناديل المائدة ، ومناشف الوجه — دون ان تغفل اختيار رسوم نساء بشعات ، فى ثياب فضفاضة منتفخة ، وهن يروين الزهور فى حديقة انجليزية ، أو مجموعات من الورود تنساب منها أشرطة . ولقد أجابت جاناكى — ذات مرة — سؤال أناند جادة بحساب كامل ليومها ، أعمال التدبير المنزلى التى قامت بها ، والنساء اللاتى زرن أمه وقدمت اليهن القهوة ، بل وعرضت عليه الوشى والتطريز اللذين كانت عاكفة عليهما .

قال لى أناند ، فى سخرية مفتعلة تقريباً : « ألا ترين هذا ملائماً أروع الملاءمة للهند ؟ »

قلت بلهجة لا تقنع : « انى ارى هذا بديعاً » .

ولم تبد جاناكى تجهما ، بل قالت بهدوء : « ان الرجال لا يندرون التطريز » .

اضطجع أناند فى مقعده ، وحملق فى السقف ، وأطلق زفرة مغالى فيها .

ما كان المرء ليملك الا أن يكرهه فى هذا الدور القاسى . والواقع فعلاً ، أننى كنت — على حد تعبير أناند — أزداد شغفاً بجاناكى دون أن أفطن ، بينما كان ضيقه بها يزداد علانية ، كنت ارى كياسة باسلة ، وسداجة تستهوى النفس فى اقتناعها الذى لم تشبه شائبة بأن كل شىء سينتهى الى ما يرام . والأمر الذى لم

أتبينه ، تمثل فى الواقعية الصلبة وراء مسلكها : كنت قد بدأت أشك فى جدوى حساباتها المدروسة الاناة المحسوبة فى طبيعتها ، التى كانت جزءا من طبيعتها ذات يوم . حين كان أنا نند صعب الاضاء الى درجة مبالغ فيها • أصر على الحديث معها عن كتب لم تكن قد قرأتها ، موجهها اليها - فى حفاوة ظاهرية - تعليقات كان يعرف أنها لا تستطيع الرد عليها •

وظلت جاناكى طويلا لا تقول شيئا ، ثم أقرت بدون ادعاء وكان ذلك خليقا بالاعجاب : « يؤسفنى اننى لم اقرأ سوى القصص التى فى المجلة المصورة الاسبوعية ، ولكن ، اذا أحضرت لى يا أنا نند بعض الكتب التى تراها جيدة ، فاننى سأقرأها » •

أجاب فى صوت غليظ : « سأرى اذا كنت أجد وقتا لذلك » •

وعندما رافقتنى جاناكى الى الباب مودعة ، فى ذلك المساء ، قلت فى سخط ليس بالقليل : « لماذا تحتملين هذا ؟ لاداعى لأن يكون منفرا الى هذا الحد عندما يكلمك » •

- من الطبيعى ان تكون ثمة صعوبات فى البداية • فلا بد من الامتناع فى أشياء هنا ، بعد ان عاش فى أمريكا •

- اننى أراك صبورة أكثر مما ينبغى • ما كنت لأحتمل هذا لحظة •

وكنيت قد بدأت أظن أنها لابد أن تكون غبية . بالرغم من كل شيء ، وقالت جاناكى اذ ذاك : « ماذا كنت تفعلين فى مكانى ؟ »

- ارحل طبعاً ، أعود الى المكان الذى جئت منه •

وفى تلك اللحظة ، أدركت ما كانت تعنيه • • العودة الى ماذا ؟ الى خطبة أخرى يديرها كبار السن من أهلها ؟ الى تعلم ارضاء رجل آخر ؟ • • انها هنا قد أحبت حمايتها المقبلة ، على الاقل ، وقالت : ثم اننى أعترف أنه فى الحقيقة شغوف عطوف • •

ولقد تجلى فى النهاية ان جاناكى كانت أكثرنا حكمة ، وكم خطر لى انه كان من حسن الحظ أنها لم تأخذ بنصيحتى اذ ذاك ، لا لأن أنا نند قد تخلى عن عناده فجأة ، أو لأنه - ذات صباح غير عادى - رآها بغتة بعينين جديدتين ، ولا لآى شيء من هذا القبيل • لقد ظل متمللا نكدا ، لكنه أصبح تدريجيا غرقا فى لعب أكثر الادوار ارضاء للنفس • • دور « بيجماليون المحبر » •

لاحلت هذا - أول مرة - ذات يوم ، اذ فرغ من غداثة فى عجلة ، وقال لـ « من عاينين الى مكشبيننا : » حديث تلك الفتاة يسوقنى الى البنسون • أرى انه

يحسن بي حقا ان أبتاع لها بعض الكتب » . . . و اردف في حرج : « مادمت مضطرا الى صحبتها » .

وافترقنا عند المكتبة . وعلمت - في أحاديث لاحقة - ان « جاناكي » كانت تؤدي واجبها الدراسي باجتهد ومتعة .

من ذلك الحين أخذت الامور تسير بسرعة لا بأس بها . وبدأت أتوقع مقترحات أناند المتكاثرة بأن نقضى جزءا من الساعة المخصصة للغداء ، فى ارتياد الحوانيت . . . وكان يعبر عنها عادة بلهجة غير رقيقة : « علينا ان نلبس تلك الفتاة بعض أزياء » السارى « الاقل ريفية فى مظهرها . . . تلك الفتاة لا تستمع لغير موسيقى الأفلام . لابد من أن أجيئها ببعض الموسيقى الكلاسيكية المناسبة حقا . ماذا تقترحين كبداية ؟ كيسارباي ؟ سوبالكسمى ؟ » .

فسألته بلهجة ذات معنى : « ألا تأتيها بموسيقى غربية ؟ » .  
فأجاب : « انها لن تفهمها » .

ومع ذلك ، فقد ظل - فى البيت - خشمنا معها أو ضيقا بها . وظلت هى هادئة ، ومتقبلة - تلميذة راغبة فى الدراسة ، وتعلم ان غبائها محنة كبيرة لاستاذها . وبرغم هذا ، لم يخالجنى شك ازاء التغير الذى أخذ يطرأ على مسلك أناند . وكنت أود نهاية تكفل سعادة دائمة لجاناكي فيما بعد . غير أننى كنت موقنة فى أغلب الأحيان بأنه لا سبيل لأن تكون لقصة « بيجماليون » سوى نهاية واحدة ، مهما تكن الاختلافات البسيطة .

وكان واضحا ان والدى أناند يعادلاننى اطمئنانا الى النهاية ، اذ أعلن يوما ، ونحن نتناول الشاي - بابتهاج ما كان بوسع أى قدر من عدم المبالاة المصطنعة ان يخفيه - بأن أباه يعتزم ارساله الى نيويوك فى رحلة تجارية ، وأصر على أن سروره يرجع - الى حد كبير - الى أن هذا معناه انه أصبح أخيرا جديرا بأن يؤتمن على مسئولية حقيقية .

قلت : « وستكون بهجة حقيقية ان تعود الى أمريكا » .

- أجل ، هذا أيضا أمر طبيعى . ولكنى لا أدري كم من الوقت سيكون عندى للأضواء البراقة والحفلات .

كان قد تحول الى النظرة الصحيحة لرجل الأعمال بخفة وسهولة جعلتاني أود ان أضحك .

وانغمسنا فى مناقشة تفصيلات الرحلة . وكانت جاناكي - فى تلك الأثناء - قد أصبحت جزءا من مشهد البيت ، حتى اننا توقعنا انها كانت تصغى بالانتباه المعتاد ، وتحاول - كعهدا دائما - أن تنسجم ومزاج أناند .

وكان أنسبه بصدمة ان تكلمت فجأة بصوت واضح . حاسم : « أنا الأخرى  
 راحلة . سأعود الى دارى » . وساد صمت تام للحظة ، ثم اردفت : « غدا » .  
 وشرعت أقول : « ولكن ، لماذا ؟ » . فقالت دون ان تنظر لأى منّا .  
 « هكذا قررت » .

لم يقل « أناند » شيئاً ، واكتفى بأن وقف . وقد تبددت كل مشروعاته  
 البراقة ، الهامة ، وسار مغادرا الحجرة . وانتظرنا ان نسمع صوت اغلاق باب  
 حجرة مكتبه بعنف .

ثم دفعتنى مودنى لجاناكى ( وفضولى . طبعاً ) الى أن أسألها : « ولكن ،  
 لماذا الآن بالذات ، وقد أخذت الامور تسير سيرا حسنا ؟ »

— تلك كانت نصيحتك . ألا تذكرين ؟

— ولكن الأمور كانت مختلفة اذ ذاك .

قالت وهى تهز رأسها ، وكأنا قد أدركنا معا حقيقة معينة : « نعم » .

تصورت — فى ذلك الوقت — انها أمنت بأنها هزمت . وادهشنى وأهمنى  
 ان ما كان يبدو لى واضحاً ، ظل مبهما بالنسبة لها . فقلت فى حذر : « اسمعى .  
 ألسنت ترين أنه . . أنه على الرغم من كل شيء . قد وقع فى حبك ؟ » .

ولا أدري تماماً ماذا توقعت ان يكون عليه جوابها . . أياكون انسامة متهدلة ،  
 أو شعور بانتصار . وما توقعت ان تحدثنى وكأننى عدوة . وأن تقول :  
 « الحب ؟ ! . اننى لا أريد ان يحبنى ، انما اريد أن يتزوجنى » .

قلت بقدر ما بوسعى من اقناع : « الأمر يختلف بالنسبة له ان الحب شيء  
 هام بالنسبة اليه » .

تاملتنى متفحصاً ، وهى نحسب فى ذهنها أمراً . وسألتنى : « امثأكدة  
 أنت ؟ » .

— كل التأكد .

قالت وصورها حاد ينم عن نقاد صبير : « الحب ، آية كتب تقراين ، وهى  
 تحبين الموسيقى ، و « ذوقك » . ومهما كان ما يعنيه هذا كله ، فهل له شأن  
 بالزواج ؟ » .

قلت بلهجة غير المقتنعة بجدوى الجدل : « حسن » .

كيف تسنى لأمريء ان يجعل فكرة الحب الشعاعى جذابة لمن لا تبغى  
 سرى بيت وزوج وأطفال ؟ وخيل الى اننى عرفت سبب قنوطها المفاجئ ، وان لم



يكن ثمة ما يمكن فعله بهذا الصدد . لابد ان يجتهد تجارب أناند في أمريكا قد بدت لها تدويرا بخطير طابع . وحاولت ان اقلصتها . وأن اذكرها بأن أناند ما كان سيغيب سوى أساليب . وأنه . بهتافتها . وان أمريكا . يبدو ان . هي هذه المرة مختلفة . اذ انه تغير كثيرا في العام المنصرم . بل أكثر من عام في الواقع .

لكنها أبت أن تصغي . وظلت تردد : « يجب أن احزم أسياتي وابصر البيت غدا » .

وقلت في ذهني : يا جاناكى المسكينة ! .. كان بوسعى أن أرى ان العملية المضجرة . عملية البدء من جديد في حل عقد « العودة من إنجلترا » لدى أناند . تبدو أكبر من ان تقوى على مواجهتها . ولم يخطر لي انه كان من الممكن ان أقول لنفسى بنفس الثقة : يا جاناكى البارة ! .. فهي الوحيدة دوننا التي تعرف تماما ما تبغى . أتترك البيت ؟ .. انها كانت خليقة بأن تقطع رقبته قبل ذلك .

أننى حين أفكر في ذلك ، لا أتمالك أن أعجب من مدى سذاجتى اذ ذاك . فالواقع أن النساء - أو لعل اعنى النساء اللاتي من دنيا معينة . من عالم جاناكى - ورثن خلال القرون المريعة . احساسا صارما لا يلين بالحفاظ على الذات . ولا يزال يبدو لى - شيئا مروعا ، أنهن ما زلن في حاجة الى الاحتفاظ بهذا الاحساس ، ولكن من الغباء انكار ذلك ، فهن لايزلن على هذه الحال في معظم أرجاء الأرض ، وما كان هذا التصميم الهادئ البارع على السعى الى أمنها والتشبث به ، وعلى ذلك الموقف الذى يقول ان كل شيء مباح - لا فى الحب . فقد أسقطته من حسابها ، بل فى - لا بالحب - الذى استبعدته فعلا - وانما بالحرب ، فى الحرب والكفاح ، لأنها كانت حربا فعلا ، لكسب أو خسارة مملكة - لذلك كان هذا التصميم - وليس أكثر منه - هو ما تستحقه الدنيا من جاناكى . وكما فى الحرب ، كان النصر ، الفتح ، النجاح - أو سمه ماشئت - هو القضية الوحيدة . وبالطبع كان الشيء الوحيد غير المعقول - انه ما كان أحد يفوق جاناكى ارتياحا لو أنك وصفتها بأنها من المطالبات بحقوق المرأة .

والذى حدث ، اننى استمعت فى لهفة الى أناند ، وهو يقول لى تليفونيا فى اليوم التالى : « لتناول الغداء معا ، فأننى أريد أن أتحدث اليك . مطعم «جو»؟ الساعة الواحدة ؟ » .

كنت موقنة بأن جاناكى قد رحلت . ولم تصطحب من الذكريات سوى تفاهات مهينة . بضعة ثياب جديدة . وكثير من الكلام الممل

أدركت بمجرد ان رأيته أيقنت أننى كنت مخطئة . كان مظهره المستخذى المرتبك يغنى عن الاعلان عما عنده من أنباء طيبة . قال : « كان مساء حافلا بالأحداث . أليس كذلك ؟

– بلى .. كان كذلك في الواقع :

ثم ساد الصمت فترة طويلة ، كان يبدو خلالها حائرا مرتبكا ، والفكر لا يواتيني بطريقة لمساعدته على الخروج من حالته . وأخيرا قال ، في اندفاع متعجل : « اسمعى ، قد يبدو هذا مضحكا . أقصد .. الواقع ، اننى وجاناكى سننتزوج » .

قلت وأنا أشعر بارتياح : « ما كان بوسعكما أن تفعلما ماهو أكثر مطابقة للعقل » .

وبدا مخجلا ، وقال : « مطابقة للعقل ؟ قد يبدو والأمر كذلك فى نظرك . الواقع ، ان كلا منا يحب الآخر » .

قلت غير مصدقة : « كل منكما .. الآخر » . وندمت على الفور . فابتسم لى فى شىء من التعالى ، وقال : « كنت أعلم أن الأمر سيبدو غريبا لك . وانى لأذهب الى القول بأنك كنت تظنيننى طيلة الوقت أكرهها . أنا نفسى ظننت هذا فترة . وكان لجاناكى – كما يمكن ان تتصورى – كل العذر فى أن تظن هذا . وجدير بى أن أقول ان الأمر كبدها قدرا كبيرا من الشجاعة . أعنى ، عندما تظنين .. » .

قلت وقد شعرت فجأة باكتئاب : « يحسن ان تبدأ من البداية » .

– ليكن ، لقد سمعتك وأنت تتصرفين بالأمس ، ثم سمعت جاناكى تأتي الى الردهة – وانت تعرفين طريقتها المثيية فى المشى – وتقف خارج باب حجرة مكتبى . كنت فى حال من الحيرة ، ولكنى اعترف بأننى ما كنت خليقا بأن أفعل شيئا ، لو لم تقدم هى .. أعنى ، لو لم يقدم أحد على المبادرة » .

قلت وأنا أدرك ما كان مقبلا ، ولكنى كنت عاجزة عن أن أدفع اكتئابى : « نعم . جاءت لتوضح سبب رغبتها فى الرحيل » .

وتابع كلامه قائلا : « قالت – انها ليست سلبية متزممة كما تظنين – قالت انها بعكس خططها أو أى شىء توقعته – وأدرك أن هذا سيبدو غير معقول – انها قد وقعت فى حبى » .

– فهمت . وهذا كان مفسرا لتصرفها .. أعنى ، كانت تحاول طيلة الوقت ان ترضيك .

– أجل . اذ ذاك تبينت ان ..

قلت أحاول انهاء القصة : « كل نفورك وسوء معاملتك كانا مجرد .. » .

– الواقع ، نعم •

فرددت قوله : « الواقع ، نعم » ، ولم أجسر على التطلع اليه • ولزمنا الصمت برهة ، ثم قلت فى عناء : « حسن – تهانئى »

قال بلهجة معتدة : « أمر عجيب ، أليس كذلك ؟ • أعنى ، ان يقدر لمخططاتهم أن تغلج • ولكن ، على نحو مختلف • ولست أحسبهم • سيفهمون يوما •

– قد يكون الأمر جديرا بالايضاح •

– كلا ، وحق السماء • اسمعى ، اننى سأصطحب جاناكى للغداء غدا • هل تنضمين اليينا ؟

– كلا ، بالتأكيد ، ف ••

– لقد طلبت هى بالذات أن تأتى ، انها تحبك كثيرا ، كما تعرفين ، كما أنها لاترتاح تماما الى الخروج بدون أحد يصاحبنا •

قلت بضيق لم يفطن اليه أناند : « فى هذه الحال •• » • وكنت طيلة الوقت أفكر •• هل كنا جميعا أدوات مستغلة ؟ •• حماة متحمسة ، رجل من الممكن اطراؤه وتملقه ، صديقه سهلة الانخداع يمكن معرفة الخلفية وظروف النضال منها ، ويمكن تحرى الاساليب ونتائجها معها • أما الآن وقد فازت ، فلا بد أنها لا تكن لنا جميعا سوى الازدراء • ولكنى – فى الوقت ذاته – رحت أتساءل ، أكانت برغم كل شيء تحبه حقا ، لو صح هذا لكنت حالا لم تكن تدرى كيف تتغلب عليها ، وما كان بوسعها حينئذ سوى أن تستعمل السلاح الذى تعرف كيف تستخدمه ، وهو القدرة على الارضاء أو محاولة الارضاء • فلماذا اذن كان ينبغى – أو كيف كانت تستطيع أن تخبرنى عن كل هذا بنفسها •• وهو مجال لم تكن واثقة من نفسها فيه ، وكان بعيدا جدا عن تجربتها ؟ •

أظننى الآن – وقد صادفت كثيرا من أمثال جاناكى فى الدنيا – على علم بأى التفسيرين كان هو الصواب ، وسمعت أناند يقول •• اذن فسنلتقى فى « التاج » ، اذا كان هذا يناسبك ؟ •

كان قد حجز مائدة بجوار النوافذ • ولقد تأخرت جاناكى قليلا لتتأكد – كما أوضحت ، وهى لاهثة الانفاس من اننا سنكون هناك قبلها ، لأن الجلوس وحدها كان خليقا بأن يعذبها •

وطلبنا طعاما هنديا ، وقال أناند وهو يرمقنى بنظرة عابرة متسائلة •• لا نبيند فيما أرى ، فما هنالك نوع من النبيلد يتمشى مع الطعام الهندى • اليس كذلك ؟ •

# الفهرس

٥	كلمة المترجم
٦	عن المحرر
٧	كلمة المحرر
٩	مقدمة
٢٩	رابيندرانات طاغور
٣١	كابولى والله
٤١	الأحجار الجائعة
٥٥	سارات شاندراساترجى
٥٧	القحط
٦٧	س. راجوجو بالاتشارى
٦٩	اردهانارى
٧٩	الكفن
٨٩	استقالة
١٠١	ملك راج اناند
١٠٣	نقابة الحلاقين
١١٣	عميل الشرطة
١١٧	روك ناريان
١١٩	يوم فى حياة منجم
١٢٥	الكلب الضريب
١٣١	راجاراو
١٣٣	حانوت الغلال الصغير
١٥٣	نيمكا
١٦١	ب.ب. بهاف



طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٢٥٥ / ١٩٨٤  
ISBN — ٩٧٧ — ٠١ — ٠٣٥٦ — x



هذا الكتاب :

يضم عشرين قصة ، كتبها ثلاثة عشر كاتباً هندياً ، تبن بعض الخصائص التي طرأت على الأدب الهندي الحديث ، وجعلته يشارك الأدب العالمي في أجزاء أخرى من العالم ، بجانب أنها تعكس بوضوح صورة للهند وحياتها الاجتماعية والثقافية ومعتقدات أهلها الدينية وتقاليدهم الموروثة وأخلاقهم وانطباعاتهم الشخصية لما يحدث في دنياهم .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب